

إلى
لقاء المؤمنين
وبناء الجيل المؤمن

ديوان مهرجان القصيد

الدكتور عدنان علي رضا النحوي

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

دار النحوي للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

٨١١٩٥٣١

ن ٢٣٧

النحوي، عدنان علي
ديوان مهرجان القصيد / عدنان علي رضا النحوي - .
ط ١ - الرياض: دار النحوي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م
٢٦٩ ص؛ ٢٤×١٧ سم
ردمك ٤ - ١٠ - ٦٨٧ - ٩٩٦٠
١ - السعودية - الشعر العربي - دواوين وقصائد
أ - العنوان

ردمك ٤ - ١٠ - ٦٨٧ - ٩٩٦٠

رقم الإيداع ١٤/٠٦٣٤



دار النحوي للنشر والتوزيع

ص.ب ١٨٩١ الرياض ١١٤٤١

هاتف وفاكس ٤٠١٠٢٥٧

المملكة العربية السعودية



الاهداء

- إلى كل مؤمن مجاهدٍ في سبيل الله!
- إلى كل مؤمن انطلق وقلبه تنيره آيات القرآن الكريم، وأحاديث رسول الله، ﷺ، فعرف من خلال ذلك واقعه ووعاه، وردّه إلى منهاج الله!
- إلى كل مؤمن عرف من خلال ذلك: من الكتاب والسنة، ومن وعي الواقع وحاجته، عرف دربه ونهجه، وأهدافه وأمانته، على صراط مستقيم!
- إلى كل مؤمن هجر المصيبات الجاهلية، فصدق عهده مع الله، وكان ولاؤه الأول لله، وحبّه الأكبر لله ولرسوله، لينبثق من ذلك كلُّ عهدٍ وولاءٍ وحبٍّ في الحياة الدنيا!
- إلى كل مؤمن انطلق بذلك كله ليساهم في بناء الأمة المسلمة الواحدة في الأرض، ليجمعها على كلمة سواء!
- وليكون الأدب عدة من عدده، وسلاحاً من أسلحته، كما أمر الله ورسوله ﷺ!

الافتتاح

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

[إبراهيم: ٢٤، ٢٥]

عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال :

«جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألستكم»

[أخرجه أبوداود: كتاب الجهاد (٩) باب (٨) حديث (٢٥٠٤)]

المقدمة

هذا الديوان الرابع : «مهرجان القصيد» .
لقد سبق هذا الديوان صدور ثلاثة دواوين شعرية : الأرض المباركة، موكبُ النُّور، جراح على الدرب . وسبقه كذلك صدور سبعة ملاحم ، تتبع الأسلوب الذي عرضته عن الملحمة في الأدب الإسلامي في كتابي «الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته» وفي مقدمة بعض الملاحم . وهذه الملاحم تظهر كذلك تطور الملحمة من حيث الشكل والأداء خلال رحلة ليست بالقصيرة . هذه الملاحم هي : ملحمة الغرباء ، ملحمة الجهاد الأفغاني ، ملحمة فلسطين ، ملحمة القسطنطينية ، ملحمة الأقصى ، ملحمة الإسلام في الهند ، ملحمة البوسنة والهرسك الجريمة الكبرى ، وفي الدواوين السابقة بعض القصائد التي تأخذ شكل الملحمة : وردة ودماء (ملحمة لبنان) ، دويّ التاريخ (ملحمة التاريخ) ، لم يبق في عرفات إلا دمعة !

أبتدىء هذا الديوان بموضوعين يأتيان بعد هذه المقدمة هما : «رحلتي مع الشعر» ، ثم «ما هو الشعر، كيف يولد النصُّ الفنيُّ، ما هي العناصر التي تهبه الجمال» ! وأقدم تمهيداً لرحلتي مع الشعر موجزاً لسيرتي الذاتية .

بعد هذا التمهيد كله أفتتح الديوان بقصيدتين : «دعاء وابتهاال - إلهي -» ، «يارسول الهدى» . والقصيدة الثانية هذه مأخوذة من «ملحمة الأقصى» . وملحمة الأقصى كانت في بدايتها قصيدة أُلقيت في مؤتمر «المدائح النبوية تاريخها وأساليبها» ، الذي عقد في «أورانج آباد» في الهند خلال الفترة (٢٦-٢٨) / ٢ / ١٤٠٩ هـ الموافق (٧-٩) / ١٠ / ١٩٨٨ . ولقد اشتركت في هذا المؤتمر ببحثٍ عنوانه «الإطار الصحيح والأسلوب الأمثل للمدائح النبوية» ، وأردتُ أن تكون القصيدة مثلاً على هذا الإطار الصحيح والأسلوب الأمثل الذي أعرضه في البحث .

أردت أن تكون فاتحة الديوان ذكراً ودعاءً وابتهاً إلى الله سبحانه وتعالى، ونحن نمرُّ بأقصى ظروف مرت بها الأمة الإسلامية، نمرُّ من خلال المجازر والمذابح الوحشية في البوسنة والهرسك، وفي كشمير، وفي فلسطين، وغيرها من ديار الإسلام، من خلال المكر والكيد، من خلال لقاء أعداء الله في صف مرصوص ضدَّ الإسلام، وفرقة قاتلة بين المسلمين، نمرُّ من خلال ذلك كله إلى عالم مجهول لنا، وزحج في غفوة قاتلة، والأعداء لهم مكر شديد. في هذه الظلمة الخالكة لا ينبثق النور إلا من عند الله. وكذلك نتعلم من سيرة الرسول ﷺ النموذج الأمثل لمعالجة مشكلاتنا وممارسة إيماننا في واقع الحياة. لهذا الأمر جعلت فاتحة الديوان هاتين القصيدتين، معترفاً للقارئ الكريم عما قد يجده من تكرار بين «ملحمة الأقصى» المنشورة في كتاب مستقل، وبين ما نقلته منها وسجلته هنا. ولن تكون هذه هي الموضوع الوحيد الذي سيجد فيه القارئ مثل هذا النقل أو التكرار. فهناك مقطوعات أخرى أخذتها من الملاحم التي أصدرتها.

ذلك أنني سأجعل قسماً من هذا الديوان تحت عنوان: «من الملاحم»، أنقل فيه بعض «المقطوعات» التي أعتقد أنها هامة بالنسبة لواقعنا اليوم، وبالنسبة لما قد يهتمُّ به القارئ الكريم، ممن لا يتسنى لهم دراسة كلِّ الملاحم الشعرية التي أصدرتها، أنقل فيه بعض القصائد أو المقطوعات الشعرية من تلك الملاحم. ومما شجَّعني على هذا النقل أنني أوُمن بأن إعادة التذكير والتكرار بما هو أساسي أمر ضروري في مسيرة الأمة ومنهج البناء، وهو أكثر ضرورة حين يُرسَّخ هذا التكرار، ما يفيد في فهم الواقع والنظر إلى المستقبل في حياة الأمة المسلمة. وسأشير مع كل قصيدة إلى الملحمة التي أُخذت منها ليتيسر للقارئ العودة إليها من أجل دراسة أوسع، ومتابعة أعدل. والشعر والأدب كله، كما سنرى في التمهيد، يجب أن يشارك في بناء الأمة!

وبعد قصيدتي الافتتاح، تتوالى قصائد هذا الديوان في موضوعاتها المختلفة. وقد قسمت هذه القصائد إلى أبواب متنوعة على النحو التالي: «فوح الشعر في ميادين الحياة» تدور قصائده في موضوعات متنوعة كالأدب الإسلامي والجمال والوصف وصور من الواقع وفي الدعوة الإسلامية. ثم يلي ذلك «مع الأصدقاء بين الحوار والمعارضات والتهاني

والمداعبات»، ثم باب «الثناء»، ثم باب «من الملاحم»، ثم «تهاني مع الأصدقاء»، ويلى ذلك «مع العائلة أفرح وأعراس». وعسى أن تمثل هذه القصائد صورة لاتساع الميادين التي يستطيع الأدب الإسلامي أن يخوضها في الحياة وتزداد الصورة وضوحاً عندما يرتبط هذا الديوان بالدواوين الثلاثة السابقة والملاحم .

ولا أستطيع أن أفصل هذه الدواوين والملاحم، عن الكتب الأدبية التي قدّمتها، حيثُ أَوْضَحْتُ بِشَكْلٍ متَّصِلٍ فيها رؤيتي للأدب والشعر، ودور ذلك كله في حياة الأمة ومسيرتها، مما أوجزه في البحثين المقبلين بعد هذه المقدمة .

ولا أستطيع أن أفصل الشعر والكتب الأدبية عما أصدرته من كُتُب منهجية في الدعوة الإسلامية، الكتب التي بلغت ثمانية عشر كتاباً، منها كتاب باللغة الإنجليزية، وكتابان مُترجمان إلى اللغة التركية . وكتب دراسة الواقع التي بلغت أربعة كتب، تشترك كذلك مع الملاحم الشعرية السبعة في دراسة الواقع، حيث تُولف دراسة منهاج الله، ودراسة الواقع من خلال منهاج الله الركنين الأساسيين في النهج الذي أدعوله والذي يطلق الممارسة في جميع ميادين الحياة . ومن هذين الركنين تنبثق الأسس الأربعة: الإيمان والتوحيد، المنهاج الرباني، الواقع، الممارسة الإيمانية، وتنبت عناصر النهج والتخطيط والممارسة والميزان والتقويم والموازنة لجميع ميادين الحياة، وسائر العناصر الأخرى . هذان الركنان، والأسس الأربعة، والعناصر تجتمع كلها لتكون النظرية العامة في الدعوة الإسلامية، مما فصلته في كتب الدعوة والفكر الإسلامي .

إني أبتهل إلى الله سبحانه وتعالى، في خشوع وتضرّع وعبودية كاملة له، تنبثق منها عزتي في هذه الحياة الدنيا، وعلى ولاء خالص لله وحب لله ولرسوله أكبر من كل حب، منها تنطلق قوتي وثقتي، إني أبتهل إلى الله في هذا كله ليغفر لي ذنبي كُلَّهُ، دَقَّهُ وجَلَّهُ، فله الملك كله، وله الحمد كله، وإليه يرجع الأمر كُلُّهُ . إني أعلم علم اليقين أننا سنُحاسب على كل كلمة نقولها نشرأ أو شعراً بين يدي الرحمن، الله العزيز الجبار، الغفور الرحيم، له الأسماء الحسنى كلها .

رب اغفر لي وارحمني، أنت وليي في الدنيا والآخرة

والحمد لله رب العالمين

عدنان علي رضا النحوي

الرياض ١٥/٣/١٤١٤هـ

١ / ٩ / ١٩٩٣م

موجز سيرة وتاريخ

وُلدتُ في مدينة صفد، في فلسطين، في الأرض المباركة، باركها الله في كتابه العزيز، في خِصْمِ ثورات فلسطين المتلاحقة التي لم تهدأ منذ دخلها الإنكليز.

وُلدتُ في ٢٣/٧/١٣٤٦ هـ الموافق ١٥/١/١٩٢٨ م، في بيتنا الذي نسفه الإنكليز خلال ثورة سنة ١٩٣٦ م. كان هذا البيت يتألف من ثلاثة أدوار، أمامه من الشرق ساحة فسيحة عند الدور الثاني، وأمامه من الغرب ساحة فسيحة عند الدور الأول، وكنا نسكن في الدور الثالث، لِيُطلَّ من الغرب على جبل الجرمق الذي يبلغ ارتفاعه ١١٩٢ م، وعلى بعض جبال الجليل، في مناظر طبيعية خلّابة، تتماوج أمام عينك زرقة السماء، وخضرة السهول، وألوان الجبال والسفوح، والوديان، ألوان زاهية رائعة، كان الزائرون لمدينة صفد يهرعون لالتقاط الصور، ولصور أخرى من المناظر الطبيعية الغنية بجماها، تدور حول هذه المدينة التاريخية حيث التفتت، فكأنَّ الجمال الساحر كان يحنو عليها، فيلفُّها بأكسية الجمال، وأردية البهاء، وينثر عليها من دُرره الغالية ولآلئه الثمينة. وصفتها في ديوان الأرض المباركة في قصيدة: «لوحة من صفد». في هذا البيت كانت طفولتي بكل جماها.

أقمت في فلسطين بحدود عشرين عامًا، أنهيت خلالها دراساتي الابتدائية والثانوية والكلية العربية في القدس. مضت هذه السنوات العشرون من خلال ثورات متتابعة، ضد الإنكليز واليهود. غادرنا فلسطين مرتين: الأولى خلال ثورة ١٩٣٦ م إلى دمشق لنلحق بالوالدي. والثانية كانت عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م)، عام مأساة الهجرة واللجوء. فأقمت في دمشق خمس سنوات، ثم أقمت في الكويت ثلاث سنوات، وفي مصر خمس سنوات، وعدت إلى سوريا حيث أقمت ثلاث سنوات، أتيت بعدها إلى المملكة العربية السعودية في ١١/٣/١٣٨٤ هـ الموافق ٢٠/٧/١٩٦٤ م. نلُتُ بعد ذلك الجنسية الأردنية.

منذ ذلك الوقت وأنا مقيم في المملكة العربية السعودية في مدينة الرياض، حيث

عملتُ في وزارة الإعلام قرابة خمسة عشر عاماً. وقد عاصرتُ نشأتها ولحظاتها الباكرة، مسئولاً عن المشاريع الإذاعية، حتى أصبحت الشبكة الإذاعية تغطي المملكة كلها، وتغطي مسافات نائية في الأرض على الموجة المتوسطة والموجة القصيرة، وأقيمت بعض محطات إذاعية أخرى على موجات غير المتوسطة والقصيرة.

خلال هذا العمل زرت الأقطار العربية في شمال أفريقيا، وطفْتُ عدداً غير قليل من البلدان الأوروبية، ودرستُ اللغة الفرنسية في بيزانسون في فرنسا في دورة لمدة شهرين، ثم تابعتُ دراستها في باريس من خلال دورة علمية فنيّة.

وخلال هذا العمل دخلتُ صراعاً فنياً وعلمياً وقانونياً استغرق سنين طويلة، لأحمي حقوقاً ومسئوليات، أعاني الله فيها برحمته وفضله على أن أؤدي أمانة وأصدق عهداً مع الله. ولقد تلقيتُ خلال ذلك خطابات شكر وتقدير من مختلف المسؤولين، أرجو أن تكون عاجل بشرى المؤمن، كما حدثنا رسول الله ﷺ بذلك، وأن يكون الأجر الكبير عند الله سبحانه وتعالى.

ولقد مُنحتُ الجنسية السعودية سنة ١٣٩٧هـ الموافقة لسنة ١٩٧٨م. وفي هذه السنة دخلت في صراعٍ جديد، في صراع مع المرض في شرايين القلب، على أثر الإرهاق الشديد، كما يبدو. ولقد انقطعت عن العمل والوظيفة مع نهاية ١٣٩٧هـ، وبدأتُ مرحلة العلاج.

واتجهت إلى العمل الحرّ مع ضغط المرض. ولما اشتد الحال أُجريت لي العملية الأولى في القلب، وبعد ستة أشهر اضطررت لإجراء عملية جراحية ثانية، ألزمتني البيت طويلاً حتى توقّف العمل الحرّ، وتفرّغت للدراسة والبحث والتأليف.

لقد بلغت إقامتي في المملكة حتى اليوم قرابة ثلاثين عاماً. ولقد كانت هذه السنوات هي أغنى سنوات العطاء في حياتي، وأغنى سنوات الدراسة والبحث في علوم شتى وفي تنوع الخبرة ونمو التجربة والزياد: فبالإضافة إلى الإشراف على إنشاء الشبكة الإذاعية على نحو ما ذكرت، وبالإضافة إلى زيارة عدد كبير من البلدان في أوروبا وأفريقيا وآسيا وزيارة أمريكا، بالإضافة إلى هذا فقد تابعت دراسة مذاهب الفكر الأوروبي من مصادر باللغة

العربية والإنكليزية، ودراسة الأدب كذلك ومذاهبه، وتابعت التحصيل العلمي في هندسة الاتصالات، من خلال المرض الذي امتدَّ سنين من المعاناة، نلت شهادة الماجستير والدكتوراة في ذلك، وتابعت دراسة الأدب العربي في النقد والشعر وتابعت ملازمة دراسة القرآن والسنة، ودراسة بعض العلوم الإسلامية والتاريخ الإسلامي، ودراسة الواقع وأحداثه من مراجع عربية وأجنبية، ذلك كله على منهج محدّد مدروس. ولم أنقطع كذلك عن الدعوة إلى الله ورسوله، إلى الإيمان والتوحيد، إلى الكتاب والسنة، وتابعت الكتابة والتأليف حتى بلغ عدد كتب الدعوة والفكر مع ما ترجم منها ثمانية عشر كتاباً، وفي الأدب ثلاثة كتب، مع ثلاثة دواوين شعرية وسبع ملاحم، وثلاثة كتب في دراسة الواقع، وكتاب في هندسة الاتصالات (انتشار الموجات الإذاعية المتوسطة) باللغة الإنجليزية.

كان لابد، كما أعتقد، من هذا الموجز السريع عن سيرتي الذاتية، لتكون تمهيداً للبحث المقبل وهو: «رحلتي مع الشعر».

إن هذا العرض الموجز يُلقي ضوءاً عن النشأة والشباب والكهولة، وعن مصادر المعرفة والزاد، وعن المعاناة التي مررتُ فيها، وبعض الميادين التي خُضتُها، والبلاد التي عشت فيها أو زرتها، مما يلقي ضوءاً ولو قليلاً على نشأة الشعر ونموّه وتطوره في حياتي. ديوان «جراح على الدرب»، مثلاً، صدر بعد العملية الجراحية الثانية ومعظم قصائده متأثرة بالجراح التي كانت تنزف مني، أو الجراح التي كانت تنزف من الأمة. كانت العملية الجراحية الثانية في «٢٢ أيار (مايو) ١٩٨٢» في لندن. وفي تلك السنة كانت الدماء تنزف في لبنان وفي غيرها.

ديوان «موكب النور» صدر بعد توقفي عن العمل الوظيفي، صدر وأنا أطوف هنا وهناك أحمل المرض الذي أشرت إليه، وأبحث عن أبواب ألج منها إلى فرج ومخرج. كنت كأني أطوف في ظلمة لا أجد فيها بصيصاً من نور إلا نور الإيمان، يتدفّق في هذه الظلمة وينساب كأنه موكب النور.

ديوان «الأرض المباركة» وهو أول ديوان نشرته، يحمل كل ذكريات الصبا والشباب، وهو يعتصر ألماً وحزناً على مأساة بعد مأساة، حين كنا نعلل النفس بأمل العودة إلى الأرض

المباركة، وحين كانت فلسطين، الأرض المباركة، أغنية الطفل والشاب في أمة الإسلام
الممزقة، حين كانت القضية لاتزال تحمل بركة الفطرة وتدفق العاطفة، قبل أن تغيب خلف
الضباب الأسود الكثيف! فإلى رحلتي مع الشعر خلال سيرتي في الصفحات المقبلة.

رحلتي مع الشعر

أذكر أنني كنت في الصف السادس الابتدائي أو السابع في مدينة عكا في فلسطين، حين كان يطلب مني بعض زملائي أن أنظم لهم بعض الأبيات الشعرية في مناسبات تخصهم. وأذكر كذلك أنني كنت أَدعى لإلقاء بعض القصائد من الأدب العربي أو الأدب الإنجليزي مما كُنَّا نحفظه في المدرسة أمام طلاب الصفوف الأعلى الابتدائية أو الثانوية، أو في بعض المناسبات المدرسية واحتفالاتها في مدينتي صفد وعكا. كانت الصفوف الابتدائية سبع سنوات والثانوية أربع، إلا أن معظم مدن فلسطين لم يكن بها أكثر من سنتين ثانويتين إلا في بعض المعاهد في القدس ويافا. كان ذلك بين سنتي ١٩٤١ - ١٩٤٢ م.

كنت شغوفاً بالمطالعة والقراءات الخاصة في أوقات الفراغ وفي الأجازات المدرسية. كنتُ أقرأ للمنفلوطي والرافعي والعقاد، وجرجي زيدان في رواياته التي شوه فيها التاريخ الإسلامي وافترى عليه، ولطه حسين، وغيرهم من الكتاب الذين انتشرت كتبهم آنذاك. وكنت شغوفاً بقراءة ديوان الحماسة لأبي تمام، وللمدائح النبوية التي جمعها يوسف إسماعيل النبهاني (١٢٦٥هـ - ١٣٦٥هـ، مما يوافق ١٨٤٩م - ١٩٣٢م) في أربعة أجزاء. وكذلك عكفت على قراءة شعر محمود سامي البارودي وشوقي وحافظ والأخطل الصغير بشاره عبدالله الخوري الذي نشرت له الصحف قصيدته «المسلول»، وكذلك المتنبي وأبي تمام والمعري وابن الرومي والمعلقات العشر وغير ذلك مما كان يقع بين يدي، أقرأ وأحفظ ما يستهويني من ذلك كله.

وكان من أجل الهدايا التي تلقيتها في تلك الفترة «الشوقيات» حملها وقدمها لي خالي عز الدين الحاج عيسى رحمه الله. فعكفت عليها دراسة وحفظاً بنهم وشوق.

وفي الإجازات الصيفية كنتُ أتقل بين عكا وصفد، فأقضي ساعات غير قليلة مع

بعض كتب اللغة والأدب وغيرها في مكتبة والدي ومكتبة آل النحوي التي زارها وتحدث عنها محمد كرد علي في كتابه «خطط الشام». وأذكر أنه وقع بين يدي ديوان صغير الحجم مكتوب بالخط الأسود الجميل لأحد أجدادي الشيخ عبدالغني النحوي أو الشيخ حسن النحوي، وكلاهما كان معروفاً بالعلم والأدب والشعر. وعندني الآن أبيات من الشعر بخط الشيخ حسن النحوي كتبها على كتاب «هدية الأمم وينبوع الآداب والحكم» الذي كان أهده له مؤلفه الشيخ عبدالرحمن الناجم مدعي عمومي ولاية بيروت سنة ١٣١٠هـ. وقد كتب المؤلف إهداءه على الكتاب كما يلي: «أهديتُ هذه النسخة المهداة للفاضل الأديب جناب الشاعر الأديب الشيخ حسن الصفدي النحوي رئيس بلدية صفا . . . وأنا الراقم عبدالرحمن ناجم مدعي عمومي ولاية بيروت» ١٣١٠هـ. وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة جريدة بيروت سنة ١٣٠٨هـ، برخصة من «نظارة المعارف الجليلة». ومطلع هذه الأبيات الشعرية:

خليلي! ما هذا العبيرُ الذي بدا فأصبح منه القطرُ نشوان سرمداً
هو العالمُ التحريرِ والجهبذ الذي غداً بأحاديثِ البلاغة مُفرداً

ومن الدواوين الشعرية التي ضمتها مكتبة آل النحوي: ديوان الأديب الشاعر «حسام الدين عيسى بن سنجر بن بهرام الأربلي المعروف بالحاجري رحمه الله». وقد رتبته وأصدره عمر بن محمد بن عمر بن الحسن بن خوجا الفارسي الدمشقي سنة ١٢٨٠هـ في (٨٧) صفحة من الحجم الصغير. وكذلك ديوان الأمير أبي محمد عبدالله بن سعيد بن محمد المشهور بابن سنان الخفاجي الحلبي المتوفى سنة ٤٦٦هـ. وكان قد طبع في بيروت برخصة «نظارة المعارف الجليلة» في ٣ حزيران «١٣٠٩» في «المطبعة الإنسية» في بيروت، في (١١٦) صفحة من القطع الصغير أيضاً. وغير ذلك من الدواوين الشعرية وكتب الأدب واللغة والفقه والتاريخ والقانون وأبواب شتى من علوم الإسلام. لقد كانت مصادر العلم والثقافة حولي غنيّة، أهل منها بشوق ومتعة، على قدر ما يسمح به السن آنذاك، وأوقات فراغ الطالب المجدّد على دروسه، فلقد كنت أنال الترتيب الأول في معظم حياتي الدراسية، أو الترتيب الثاني.

يضاف إلى ذلك ما كنا نحفظه في تلك المرحلة الدراسية وغيرها من عيون الشعر في الأدب العربي، وعيون الشعر في الأدب الإنجليزي. أما دراسة القرآن والسنة فكانت واهية ضعيفة في مدارس الانتداب البريطاني، ومتوقفة كلية في الصفوف الثانوية، إلا من «مجلة الأحكام» التي كانت تدرس في السنتين الأوليين من الدراسة الثانوية. ولكن البيت كان يراعى ذلك ويرعى عبادتنا وسلوكنا.

وأخذت أنظم الشعر قبل أن أدرس العروض، وربما كنت أردد بعض الأبيات مع بعض زملاء في الزهات وبين اللهو والمرح، وأحاول أن أستشف حقيقة الأوزان الشعرية التي نسمع عنها دون دراستها. وكان يوافق التقطيع أحياناً حقيقة الوزن، حتى ملكت الأذن حلاوة النغمة وجمال الأوزان. ووقعت بين يدي الأوزان في مقدّمة أحد الكتب الشعرية التي كنت أقرأها وربما كان ذلك في كتاب المدائح النبوية أو غيره. ولكنها كانت أوزاناً دون شرح أو تعليق.

ولم أكن أنشر ما أنظم من شعر مع أهمية الموضوعات. وكثير منها كان سياسياً يواكب أحداث البلاد الهائجة القلقة، والفتن الثائرة. كنت أقرأ لمن حولي من زملاء وأقارب أو جيران: وكان أخي الكبير فوزي رحمه الله أكثر الناس تشجيعاً لي. كان يأخذ من شعري ويدور به بين الأهل والأصحاب معجباً معتزاً به. وكان أخي فوزي صاحب موهبة شعرية كذلك، وموهبة في الرسم. إلا أنها لم تنكشف إلا بعد أيام الهجرة دون أن يلقي الرعاية والتوجيه. وكان يقرأ لي وأقرأ له. ومازلت أحتفظ ببعض رسوماته الجميلة لبعض مواقع مدينة صفد، وكذلك لعدد من قصائده ومقالاته التي كانت تنشرها بعض صحف دمشق، وخاصة عن تاريخ صفد والخليل والقدس، وبعض مقالاته السياسية، وبعض أشعاره.

لم أكن حريصاً على نشر ما أنظم من شعر. ربما كان ذلك لعدم وجود صحف محلية في صفد أو عكا، أو لعدم توافر وسائل التشجيع. وربما كان سبب ذلك الحذر الذي كنا نعاني منه في الجو السياسي المضطرب في البلاد، وما كان يعانیه والدي من مضايقات شديدة من الإنجليز، مضايقات كانت تؤثر في جميع نواحي حياتنا. كان والدي رحمه الله يعمل مع ساحة مفتي فلسطين ومع سائر قادة البلاد في بناء أسباب الجهاد في فلسطين منذ أول عهد

الانتداب، في عمل صامت ينظر إلى المستقبل، وعمل صاحب يوفر أسباب الضغط والمقاومة الضرورية. ولقد غادر والدي فلسطين حين اشتدت ملاحقة الإنكليز له ولغيره، غادر فلسطين كما غادرها سباحة الحاج محمد أمين الحسيني، وعدد من رجال البلاد وعلمائها ليقودوا الثورة التي تفجرت في فلسطين سنة ١٩٣٦م، وليكونوا اللجنة المركزية في دمشق وبيروت^(١)، لعل هذه الأجواء المضطربة الممتدة طوال حياتنا في فلسطين ساعدت على عدم النشر، وحالت بيننا وبين وسائل الإعلام، ولكنها لم تكن تحول بيننا وبين العمل الدائب الصامت لإنقاذ البلاد من جريمة مروعة تخطط لها السياسة الدولية كلها، وتشرف على تنفيذها، وتستعين بالضعفاء والجنباء، والجهلاء المغفلين، والمجرمين الخائنين في فلسطين وفي العالم العربي وفي العالم الإسلامي الممزق.

من خلال هذه الذكريات العاصفة المدّمية، أذكر أن أول ما نظمته من شعر كان خلال السنوات ١٩٤١م - ١٩٤٣م. ولقد فقد معظمه ونشرت ما بقي منه في ديوان الأرض المباركة. وكنت أسجل في نهاية كل قصيدة ستها، ومازلت أحافظ على هذا الأسلوب حتى اليوم.

أنهت الدراسة الثانوية في مدينة عكا حين أنهيت الصف الثاني الثانوي. وكان يؤخذ من كل مدينة في فلسطين أوائلها إلى القدس، ليتموا دراستهم في الكلية العربية أو المدرسة الرشيدية حتى نهاية الصف الرابع الثانوي، حيث يتقدمون في نهاية السنة إلى امتحان «الاجتياز إلى التعليم العالي الفلسطيني» أو ما كان يسمى «متركيوليشن»، أو في الكلية العربية (أو دار المعلمين) حيث تمتد الدراسة سنتين آخرين بعد امتحان الاجتياز إلى التعليم العالي، فيحصل الطالب على الشهادة الجامعية المتوسطة (انترميديت) وعلى شهادة دار المعلمين في التربية والتعليم. وكانت الكلية العربية تقوم على جبل المكبر في القدس قرب حي «تليوت» اليهودي، وقرب دار المنسوب السامي الإنجليزي، وملاصقة لمدرسة زراعية يهودية.

(١) يراجع كتاب على أبواب القدس للمؤلف لتفصيلات أوسع عن ذلك.

وكان نصيبي ، بعد مقابلة مدير المعارف البريطاني «فَرل» الكلية العربية . وهناك في الموقع الساحر الجميل ، والحدايق الغناء ، والأشجار الكثيفة الملتفة ، والملاعب الرياضية المتنوعة ، والمناظر الطبيعية الخلابة ، هناك نما الشعر وامتدّ عطاؤه . كان أستاذنا في مادة اللغة العربية الدكتور إسحق موسى الحسيني - رحمه الله . وكان من أهم مواد الدراسة الأدب وخاصة الأدب العباسي ، والبلاغة ، والعروض ، وفقه اللغة . هذا بالنسبة للغة العربية . أما بالنسبة للغة الإنجليزية ، كنا ندرس تاريخها وفقهها وأدبها ، ومعظم مسرحيات شكسبير (١٥٦٤م - ١٦١٦م) ، وقصائد لأخرين مثل الفردوس المفقود (Paradise Lost) للمتون (١٦٠٨م - ١٦٧٤م) ، مع دراسة أدب القرن الثامن عشر . وكنا ندرس تاريخ اليونان والرومان وفلسفاتهم وبعض آدابهم ، مع تفصيل مملّ لتاريخ إنكلترا ، وكذلك مادة المنطق ، بالإضافة إلى علوم الرياضيات والفيزياء والكيمياء وتاريخ الرياضيات وغير ذلك من العلوم في القسم العلمي . أما القسم الأدبي فكان يدرس الأدب الإنجليزي بتوسع أكبر مع دراسة اللغة اللاتينية . ولقد كنت في القسم العلمي . وفي الستين الأخيرتين كان عدد طلاب صفنا اثنين فقط أنا وزميلي عامر مخلوف . أما الصف الأدبي فربما زاد عن الأربعة .

أما دراسة تاريخ الإسلام فكانت ملغاة . وكذلك دراسة الإسلام كانت تنحصر خلال الستين الأوليين في حصة واحدة صباح يوم الجمعة ، حين كان يحضر أستاذ المادة يحمل معه كتاب نور اليقين . ثم يكلف هذا الطالب ليقراً صفحة أو أكثر ، ثم يكلف غيره ، حتى تنتهي «الحصّة» ومعظم الطلاب في غفوة وسهوة وهو . وربما لا نجد بعد ذلك وقتاً لإدراك صلاة الجمعة لمن كان يريد ذلك .

وكان مدير الكلية الأستاذ أحمد سامح الخالدي رحمه الله يقيم وعائلته في مبنى

خاص داخل مساحه الكلية .

وكان لا بد من هذا الاستطراد لنقدّم صورة عن الانتداب البريطاني وجريمته الكبيرة

التي نفّذها في فلسطين خلال أكثر من خمس وعشرين سنة .

خلال السنوات الأربع التي قضيتها في الكلية تابعت المطالعة والقراءات الجانبية

باللغة العربية واللغة الإنجليزية . وإذا لم تخنّي ذاكرتي فمن أهم ما قرأت باللغة الإنجليزية

بعض الروايات العالمية مثل : ديفيد كوبرفيلد لشارلز ديكنز، وأوليفر تويست له أيضاً، رحلات جليفر لجوناثان سويفت، البؤساء لفكتور هيغو، جزيرة الكنز لروبرت ستيفنسون، مرتفعات وذرنج لإميلي برونتي، ذهب مع الريح لمرغريت ميشتل، الأرض الطيبة ليرل باك، «لمن تفرع الأجراس» . . و«أنا كارينا». وكانت مكتبة الكلية العربية غنيّة واسعة ميسرة لمن يحب المطالعة والدراسة. لا أستطيع أن أتذكر كل ما قرأت. ولكن قرأت كثيراً.

كان لابد من هذا الاستطراد لندرك طرفاً من السياسة الإجرامية التي كانت تتخذ ضد الإسلام والمسلمين بصورة هادئة. ولولا رعاية البيت وما فيه من ثروة فكرية وغذاء إيماني وزاد إسلامي، لولا هذه العناية التي كانت تتعهدنا منذ الطفولة، لنشأنا جاهلين بديننا، غرباء عن إسلامنا، فريسة سهلة لكل قوى الضلال والفتنة.

وأذكر أن أستاذنا الدكتور إسحق موسى الحسيني، حين كان يدرسنا العروض، طلب منا جميعاً أن نحاول نظم أبيات من الشعر في أي موضوع يرغبه الطالب. فنظمت أبياتاً قليلة في وصف الكلية العربية فسرّ بها، وفي هذه المرحلة أيضاً لم أجد الفرصة لنشر ما كنت أنظمه. وظل الشعر حبيس الأوراق وعلى السنة بعض الزملاء. وقد ضم ديوان الأرض المباركة معظم ما نظمته في تلك السنوات الأربع (١٩٤٤م - ١٩٤٧م).

وكان النزوح عن فلسطين سنة ١٩٤٨م. حملت معي بعض أوراق وشعري. وأخذ الشعر يلحُ بصورة أقوى والجريمة تكشفت والمأساة وضحت. ولكنني مضيت لا أحرص على النشر، في جو يحمل أثر الغربة مع ما كان من حسن استقبال وتوفير الأرحام والأصحاب. ولكنني اشتركت في مسابقة شعرية أعلنت عنها إحدى المجلات في دمشق سنة ١٩٥٢م. اشتركت تحت اسم مستعار «حنين». ونالت القصيدة الترتيب الثالث، وعلق عليها أحد أعضاء لجنة التحكيم بأنها تنحو منحى الشعر العباسي. ولم ترق لي القصيدتان اللتان فازتا بالترتيب الأول والثاني أو لم أفهمهما. ولم أشعر يومها أنني كنت أقرأ بها شعراً. ولعلّها كانتا من الشعر الحديث الذي لم أكن على صلة به أو اطلاع. ولعل المجلة كانت تحمل هذا الاتجاه، وكما أذكر فقد كانت المجلة واللجنة معروفين بالاتجاه

القومي . ولكنني سررت بهذه النتيجة وبذلك التعليق . وأخذ ميدان الشعر يتسع قليلاً وموضوعاته تمتد، وظلت قضية فلسطين وأحداثها وسائر قضايا العالم الإسلامي محوراً رئيساً .

كنت أعمل مدرساً للغة الإنجليزية في دمشق . ولكن بيتنا ظل محور نشاط سياسي بالرغم من قسوة الظروف والأحوال . وتوفيت والدتي فرثيتها قبل أن يتم دفن جثمانها رحمها الله رحمة واسعة . وأطلقت الأحداث من قلبي قصائد شتى .

وانتقلت إلى الكويت سنة ١٩٥٣م . وكانت لي هناك فرصة هدوء وتأمل ، كنت بحاجة إليها . وكان يشغلنا حوار هنا وحوار هناك مع زملائنا المدرسين . فهذا يساري وهذا قومي وهذا ضائع . . . ! نماذج شتى من الشباب كانت تموج بها الكويت . ووضحت السبيل أمامي وأشرقت الدرب ، وملاً الله قلبي بنور الإيمان ، وعكفت على دراسة كتاب الله وحفظه مبتدئاً من سورة البقرة . ولقد وضحت السبيل بعد أن قرأت بعض أمهات الفكر اليساري : الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية ، البيان الشيوعي (المانفستو) ، المادية الجدلية والمادية التاريخية ، وغير ذلك من الكتب الفكرية . وضحت السبيل بعد دراسة وتأمل ، وحوار واستماع . ونما الفكر الإسلامي عندي حتى أصبح منهج حياة بعد أن كان عاطفة قليلة الزاد . وأخذ الزاد ينمو ويزداد مع مسيرة الحياة ومتابعة دراسة القرآن والسنة ، ومتابعة الاطلاع على أبواب متعددة من العلوم والفكر . وأثناء دراستي الهندسة في مصر استمر نمو الزاد والثقافة ، ونما الشعر واستقرّ دربه ، حتى أصبح الشعر بما فيه من جمال وكلمة طيبة عدّة وسلاحاً في درب الحياة ، في أمة تراحت عليها شعوب الأرض لتغزوها وتحتلها وتنبه خيراتها .

وانطلق الشعر بعد ذلك ، وأنا أحمل له مفهوماً محدداً نابعاً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأصبح له من خلال هذا المفهوم الإياني رسالة ومهمة ، أوضحتها سيرة خاتم النبيين وهو يرعى هذه الموهبة الشعرية الإيانية في أصحابه الشعراء ، يدفعهم بها إلى ميادين العزة والجهاد ، إلى ميادين بناء أمة الإسلام ، إلى بناء حياة الإنسان في الأرض على طهر وأمن ، إلى إنقاذ الإنسان من برائن المجرمين ، وأنياب الظالمين ، إلى إنقاذ شعوب الأرض من فساد

ممتد وقتنة طاغية . بما كسبت أيدي الناس ، إلى إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار، ربّ السموات والأرض وما بينهما، ورب كل شيء، الله الذي له الأسماء الحسنى كلها، حتى ينجو الإنسان في الدنيا من هلاك في الفتنة والشرك ، وينجو في الآخرة من عذاب النار.

ونما الشعر على هذا النهج مع نمو الزاد في مسيرة الحياة، ومع العودة إلى سوريا، ثم الانتقال إلى السعودية حيث استقر بي المطاف . ولما تحررت من العمل والوظيفة على أثر المرض، وبعد أن نشرت ديواني الأول، الأرض المباركة، تدفّق الشعر، وتدفّق النثر، كما يوضح ذلك الدواوين والملاحم وسائر الكتب التي صدرت بعد ذلك في الفكر الإسلامي والدعوة، وفي الأدب، وفي الهندسة .

لقد أصبح الشعر والنثر يعملان معاً على نهج واضح محدد، نهج مشرق بالإيمان، بيزاد القرآن والسنة وما يحملان معها من بركة وخير. ونمت دراستي وتوسّعت في أنواع مختلفة من كتب الأدب والفكر باللغتين العربية والإنجليزية، ودراستي لدواوين الشعر.

لعل هذه المقدمة الموجزة لرحلتي مع الشعر لا تكون مملة للقارئ، ولكنني أشعر بضورتها لإلقاء بعض الضوء على انطلاقة الشعر ومسيرته ورحلتي معه .

وأشعر كذلك أنه لا بد من أن أقدم للقارئ مفهومي للشعر، لحقيقته وجوهره، وقد اختلفت النظرة إليه، بين أمة وأمة، وشاعر وشاعر، وعصر وعصر . واشتد الخلاف حوله في القرن العشرين خاصة مع بروز اتجاهات فكرية وفلسفية متعددة اتسع انحرافها عن منهاج الله، وأخذت تترك أثراً في الواقع الإسلامي . وكذلك لا بد من تقديم مفهوم واضح موجز للأدب الإسلامي عندي، فصّلته في الكتب الأدبية التي سيشار إليها في مناسباتها . ولا بد من الإشارة إلى أن الشعر لم يكن وحده رفيق الرحلة، ولكن النثر كان رفيقاً مؤنساً على الدرب الطويل . وكان النثر تعبيراً في الأدب له جماله المتميّز عن الشعر، وكان مع كتب الدعوة الإسلامية والفكر، وكان مع كتب الواقع ودراساته .

للإنسان رسالة يؤديها في الحياة، وكلمة يجب أن يبلغها ويوصلها لغيره، وفاء بعهد وأمانة ارتبط بها الإنسان مع ربه وخالقه . والكلمة يمكن إيصالها وتبليغها شعراً ونثراً .

ولكلّ دوره الذي لا يمكن إلغاؤه في أداء الرسالة .
لذلك جاءت الملاحم التي قدّمها توضّح هذه الصورة . فجاءت معظم الملاحم نثراً
وشعراً في آن واحد، حتى يكون البيان أوسع والبلاغ أكبر، وحتى يجتمع النثر والشعر
ويشتركا في رسم النهج والأهداف والرسالة في هذه الحياة الدنيا .

كلّ ذلك يقوم عندي على ركنين أساسيين هما :

دراسة المنهاج الرباني وتدبره وممارسته

دراسة الواقع من خلال المنهاج الرباني

ومن هذين الركنين تتضح الأسس الأربعة المتناسقة المتناسكة :

الإيمان والتوحيد : إيماناً والتزاماً ودعوة وبياناً .

المنهاج الرباني : دراسة وتدبراً .

الواقع : من خلال منهاج الله .

الممارسة الإيمانية : ممارسة منهاج الله في الواقع البشري .

وفي الكتب التي قدمتها في مسيرة الحياة تفصيل ذلك كله مع عرض لعناصر العمل
والتطبيق في مختلف ميادين الحياة الأدبية، والفكرية، والدعوة، والتربية والبناء، والممارسة
والتطبيق، والإعداد والتدريب، والمنهج والتخطيط، والعزيمة والنية، والميزان والتقويم .
وفيها يتضح دور الأدب في الحياة، ودور الشعر كذلك .

وفي ختام عرض هذه الرحلة أورد مقتطفات من ديوان الأرض المباركة لتمثل رحلة
الشعر منذ سنة ١٩٤٣م حتى سنة ١٩٧٤م، لنرى تطور الشعر ونموه خلال أبيات قليلة،
تكفي لإلقاء قليل من الضوء :

في قصيدة «نذير» سنة ١٩٤٣م :

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| لا يذفع الدمعُ عنّا أي نازلة | ولا يُعيد التغيّي زهوَ ماضينا |
| نرقي إلى المجد إن صحّت عزائمنا | وبارك الله ما تبني مساعينا |
| لا تذهبوا فُرصَ الأيام عاطلةً | وقد أتتكم حُلاها من أمانينا |

وَحَقَّقُوا أَمَلًا فِي الصُّدُورِ مُضْطَرِبًا
وَفِي قَصِيدَةِ عِيدِ فِي فِلَسْطِينَ سَنَةِ ١٩٤٥ :

فَهَلِ الْعِيدُ حُلَّةً مِنْ حَرِيرٍ
إِنَّمَا الْعِيدُ أَنْ تُدَوِّيَ السَّرَايَا
وَفِي عِيدِ سَنَةِ ١٩٤٤ مَ قَلْتُ فِي قَصِيدَةٍ :

مَا الْعِيدُ إِلَّا إِذَا قَامَتْ دَعَائِمُنَا
مَا الْعِيدُ إِلَّا لِحُرٍّ لَمْ يَهْنُ أَبَدًا
وَفِي قَصِيدَةِ «أَخِي» سَنَةِ ١٩٥٧ مَ قَلْتُ :

أَخِي مِنْ يَكُنْ هُمُّهُ يَوْمَهُ
وَمَنْ كَانَ مِثْلَكَ بَيْنِي الْحَيَاةِ
وَفِي قَصِيدَةِ دِمَاءِ بَرِيثَةِ سَنَةِ ١٩٥٥ مَ :

يَا شَعْبُ! بِاسْمِكَ كَمْ تَبَاحُ مَظَالِمِ
وَفِي قَصِيدَةِ رِثَاءِ سَيِّدِ قَطْبِ رَحِمَهُ اللَّهُ (سَنَةِ ١٩٧٢ مَ) :

لَانَ فِي كَفِّكَ الْحَدِيدُ كَمَا
فَإِذَا أَنْتَ بَيْنَهُمْ سَيِّدُ حُرٍّ
وَالْخَفَافِيشِ مِنْهُمْ فِي الزَّوَايَا
وَفِي قَصِيدَةٍ لَمْ يَبِقْ فِي عَرَفَاتِ إِلَّا دَمْعَةٌ (سَنَةِ ١٩٧٢ مَ) :

يَا أُمَّةَ الْقُرْآنِ دَارِكِ حَلْوَةَ
مِغْنَاكَ مِثْثُورِ الْأَزَاهِرِ كُلِّهَا
لَا أَنْتَقِي مِنْ غُرْسِ رَوْضِكَ زَهْرَةَ
وَفِي قَصِيدَةِ الشَّهِيدِ سَنَةِ ١٩٧٤ مَ :

رَوْضَةُ الْحَقِّ! وَالشَّبَابِ أَزَاهِيرُ
لَمْ تَزَلْ تَنْتَقِي يَدَ الْحَقِّ مِنْهَا
هِيَ عُقْبَى الْإِيْيَانِ، غَايَةُ آجَا

لَوْلَاهُ مَا نَبَّضْتُ أَعْرَاقُنَا فِينَا

وَشَبَابٌ يَلْهُو وَلَيْلٌ وَغَيْدٌ
وَتُدْمَى مِنْ الطَّعْمَانِ النَّجُودُ

وَفَوْقَهَا عَلَّمَ لِلدِّينِ مَعْقُودُ
وَلَا بَدَا وَهُوَ فِي الْأَغْلَالِ مَصْفُودُ

يُرَدُّ مَعَ الْعَدِّ فِي قَبْرِهِ
يُشَعُّ الْخُلُودُ عَلَى فُجْرِهِ

وَالشَّعْبُ لَا يَدْرِي وَلَا هُوَ يَحْكُمُ

لِنْتُ عَلَى آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ
حَوَالِكَ عَصَبَةِ الْعِبْدَانِ
فَزَعْتُ مِنْ بَوَارِقِ الْإِيْيَانِ

مَا طَوَّفْتُ ذَكَرِي وَهَاجَ حَنَانُ
عَبَقُوقٍ وَقَدْ خَضِرَتْ بِهِ الْعِيدَانُ
إِلَّا وَكَانَ عَيْبَرُهَا الْإِيْيَانُ

وَطَيْبٌ يَرْفُ مِنْ أَغْصَانِهِ
وَرْدَةٌ بَعْدَ وَرْدَةٍ لِحَنَانِهِ
لِ، سَبَاقُ يَعْجُ مِنْ فِرْسَانِهِ

فليبّ ماضٍ يرُدُّ هوى النفس ويرتاد ممسكاً بعنانه
وجَهولٌ تاهتْ عليه أمانيه وألقتُهُ في خِصَمِّ افتنانه

* * *

ثمَّ يمضي الشعرُ وصفاً ورثاء، وسياسةً وملاحم، وفكراً وأدباً، ومع الأصدقاء،
وأعراس وأفراح، وغير ذلك من أبواب الشعر، في رحلة طويلة استغرقت أكثر من خمسين
عاماً حتى يومنا هذا، أخوض بها ميادين واسعة في الحياة، كلها مفتحة للشعر أو النشر.

ما هو الشعر؟! كيف يولد النص الفني؟! ما هي العناصر التي تهبه الجمال؟!

ما هو الشعر؟

الشعر في أبسط تعريف له هو أحد نوعي الأدب. والأدب بجميع أشكاله كلها في نوعين: النثر والشعر، ولا بد أن يكون هنالك فرق بين هذين النوعين من الأدب.

وما هو الأدب؟

الأدب باب من أبواب الفن. وهو أشرف أبوابه وأعمها خيراً وبركة!

وما هو الفن؟

«الفن» هو «التعبير» الذي يحمل معه الجمال والتأثير في نفس الإنسان، من عناصره الرئيسة التي تهبه هذا الجمال والتأثير. ولكل باب من أبواب الفن عناصر خاصة به تهبه الجمال وترقى به إلى المستوى الفني المؤثر.

فالأدب إذن هو فنّ التعبير باللغة والبيان، حين تحمل عناصره الرئيسة الجمال الذي يرفع التعبير إلى مستوى الأدب والفن.

والشعر هو نوع من التعبير الفني له عناصره الفنية الخاصة به، يهبه كل عنصر درجة من الجمال، حتى يرقى إلى المستوى الذي يستحق معه أن يسمى فناً وأدباً. والنثر كذلك، حتى يكون أدباً، يجب أن يكون تعبيراً فنياً له عناصره الخاصة التي تهبه الجمال المؤثر.

والشعر ظاهرة ثابتة في حياة الإنسان، في حياة الشعوب كلها، والعصور كلها، لا تكاد تخلو أمة من الشعر، ولا عصر من العصور ولكنه مع العرب كان ظاهرة أبعد عمقاً، حتى كان ديوانهم وملكة البيان فيهم، يفرحون بنبوغ الشاعر فرحاً عظيماً ويحتفلون به، دون أن يلغي ذلك دور النثر فيهم.

واختلف الناس في تفسير هذه الظاهرة. فقد اعتمد سقراط نظرية التقليد والمحاكاة

لتفسير ظاهرة الرسم والشعر والموسيقى والرقص والنحت وغير ذلك من أبواب الفنون . وكذلك اعتبر أفلاطون أن الشاعر محاكٍ ، واعتبر أرسطو طاليس القصيدة محاكاة أيضاً ، على اختلاف في مفهوم المحاكاة .

وامتدت نظرية المحاكاة في الفكر الأوروبي عصوراً طويلة مع ما يطرأ عليها من تعديل بين حين وآخر . وتتردّد نظرية المحاكاة بين محاكاة الطبيعة ومحاكاة الآخرين الذين حاكوا الطبيعة . وأخذت النظريات تتبدّل في أوروبا إلى الرومانطيقية ، والواقعية بأنواعها المتعدّدة ، والرمزية وسائر مذاهب الحدائث التي عرفتها أوروبا . ومع هذه المذاهب اضطرب التصور للشعر ومفهومه ووظيفته ، وتضاربت التصورات وانحرفت في متاهات بعيدة . اختلفوا في الغاية والمهمة ، والجوهر والطبيعة ، والشكل والمضمون ، والعوامل المؤثرة فيه . اختلفوا في ولادة النصّ وعلاقته بالشاعر ، حتى ظهر من يعزل الشاعر عن نصه الذي قدّمه فلا يعود هناك أي علاقة بين الشاعر والنصّ . وإذا تحرّكت الرحمة قليلاً قالوا لا بأس فهناك علاقة كعلاقة الميت بآثره . فهم يحكمون على الشاعر بالموت بعد ولادة النصّ وخروجه . ما أكبر هذه الرحمة؟!

المؤلم حقاً هو أنّ عدداً من الأدباء يريدون أن يخضعوا الأدب الإسلامي إلى مقاييس الغرب من كلاسيكية ومحاكاة ، ورومانطيقية وعاطفة وخيال ، واشتراكية وواقعية وحدائث وغير ذلك . وكلما نعق ناعق في الغرب قام من بيننا من يقول هذا هو الحق فاتبعوه واخضعوا له ، حتى أصبح الغرب هو النموذج في كل شيء يتبعه التائهون الضائعون على غير هدى ونور ، هو النموذج حتى في الأكل والملبس^(١) !

أليس لأدبنا مقاييسه؟! أليس لنا تصورنا وفهمنا وعقولنا؟! أليس لنا رسالة في الحياة

(١) ويشير حديث رسول الله ﷺ إلى هذه التبعية الذليلة لضلال هؤلاء . فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَتَبْعُنَّ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِيرٍ أَوْ ذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، حَتَّى لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبِّ لَسَلَكَتُمُوهُ » قالوا : اليهود والنصارى ؟ قال : « فمَنْ ؟ » صحيح الجامع الصغير للألباني : (ج ٥) ، (ص ١٢) ، (حديث : ٤٩٣٩) . رواه أحمد والبخاري ومسلم وابن ماجه عن أبي سعيد ، ومالك عن أبي هريرة .

ترسم لنا درب الأدب والاجتماع والسياسة والاقتصاد، درباً لكلِّ ميدان في الحياة؟! لقد قتلنا مواهبنا وعطلنا طاقاتنا بهذه التبعية الذليلة والتيه المظلم!
تختلف نظرة الإسلام للأدب عن نظرة الفلسفات الغربية من يونانية ورومانية، وكلاسيكية ورومانطيقية وواقعية، وحدثائية وبنوية اختلافاً واسعاً^(١).

وأساس هذا الاختلاف هو الاختلاف الواسع في النظرة إلى الحياة والكون. وينتج عن هذا الاختلاف الواسع في النظرة للإنسان، وفي فهم فطرته ومهمته في الحياة الدنيا، ومصيره بعد الموت، وفهم وسعه وقدراته، ومعدنه وجوهره: ويتبع ذلك اختلاف واسع أيضاً في تقرير مصادر المعرفة للإنسان، ومصادر العلم. فاختلف مفهوم «علم المعرفة Epistemology» اختلافاً واسعاً. إن أول مصدر للعلم الحق في نظر الإسلام هو الوحي من عند الله، الوحي الحق الذي جاء به النبيون والمرسلون الذين خُتموا بسيد المرسلين محمد، ﷺ. وتلك المذاهب تنكر هذا الحق المبين، وبعضها يحرفه.

الإسلام يربط الإنسان بربه وخالقه الله الذي لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى كلها، يربطه ربطاً يقوم على عهد وميثاق يلتزمه المؤمن، يلتزمه على ولاء خالص لله لا يشرك به أحداً. ومن هذا العهد الثابت مع الله ينبثق كل عهد آخر في الحياة الدنيا، ومن هذا الولاء ينبثق كل ولاء آخر في الدنيا. ومن هذا كله ينشأ معنى الحبِّ الحقِّ ليكون حب الله ورسوله هو أعظم حبِّ في حياة المؤمن، ومن هذا الحب الأكبر ينشأ كل حب آخر في الحياة الدنيا. وإذا انحرفت عهود الإنسان أو انحرف الولاء وانحرف الحب عن العهد مع الله أو الولاء لله أو الحب لله ولرسوله، فسد العهد والولاء والحب، وضلَّ الإنسان وتاه، ونشأت المذاهب والفلسفات. ويمضي المؤمن على عهده وولائه ووجهه على وعي وبقظة لا على خدر وسكر، يمضي على وعي مشرق صادق للألوهية والربوبية، ولحقيقة عبوديته لله رب العالمين، ربِّ

(١) يُراجع بحث: «موقف الأدب الإسلامي من الحداثة» الذي قدّمته في ندوة الأدب الإسلامي التي دعت إليها رابطة الأدب الإسلامي واتحاد الجامعات الإسلامية في جامعة عين شمس بالقاهرة خلال الفترة: (٢٣-٢٥)/٤/١٤١٣هـ الموافق (٢٠-٢٣)/١٠/١٩٩٢م. والذي أصبح الآن جزءاً من كتاب «تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها». في طبعته الثانية.

العرش العظيم، وعلى وعي للأمانة التي يحملها في الحياة الدنيا، ولحقيقة المصير بعد الموت، وعلى وعي وتصديق بالجنة والنار، والبعث والحساب، فيرتبط الإنسان المؤمن بالكون أوسع ارتباط، ارتباطاً يمتد من الدنيا للآخرة، ليرى آيات الله الممتدة رؤية تصديق وإيمان وتوحيد، فيخشع وينيب، ويزداد إيماناً ويقيناً، ويصبح هو الإنسان القوي على الأرض بالرسالة التي يحملها.

هذا الإنسان بهذا الإيمان والتوحيد، بهذا الوعي والعلم، بهذا العهد والولاء والحب، بهذا الخشوع والإنابة، بهذه القوة والرسالة التي يحملها، هو الإنسان الذي كرمه الله وأكرمه بالأمانة التي حملها، والخلافة التي أنيطت به، والعمارة التي أمره الله بها، والعبودية لله رب العالمين. العبودية التي خلق لها ليكون بها عزيزاً في الحياة الدنيا، ناجياً في الدار الآخرة. ويجمع هذا التصور كله ويفصله مناجاة الله - قرآناً وسنة - كما جاء وحياً على محمد ﷺ باللغة العربية بياناً معجزاً جلياً ميسراً للذكر.

من هذا الإنسان المؤمن، وهو يحمل هذا الخير العظيم، يخرج الأدب الإسلامي نثراً وشعراً ليسهم الأدب عندئذ في أداء الأمانة وحق الخلافة وواجب العمارة وعزة العبودية لله رب العالمين. من هذا الإنسان يخرج الأدب الإسلامي، ومن هذا التصور وحده، دون انحراف عنه أو اصطدام.

إن هذا الإنسان هو غير الإنسان الذي تحدث عنه لودفيج فيورباخ وماركس وإنجلز وكمال أبوديب وأدونيس وغيرهم ممن أرادوا أن يجعلوا من الإنسان مركزاً للكون أو إلهاً، أو جباراً مفسداً في الأرض ظالماً مجرماً شقيماً. هذا الإنسان المؤمن يخرج منه أدب واحد هو أدب الإسلام، وإنسان المادية الجدلية والمادية التاريخية والرأسمالية، وإنسان الاشتراكية والديمقراطية، وإنسان الحداثة والبنوية، تخرج منه آداب شتى تُسهم في شقاء الإنسان في الدنيا والآخرة.

إن هذا الإنسان المؤمن هو حاجة البشرية كلها، وأدبه الصادق، هو حاجة البشرية كلها، تتطلع الدنيا إلى الأفق تنتظر إشراقه عودته ليعود الخير والصدق والأمانة، وليسعد الطفل والفتى والشيخ، والرجل والمرأة، ليسعد الإنسان. من أجل ذلك كان الجهاد في

سبيل الله، ومن أجل ذلك كان الأدب الإسلامي أدب الجهاد، في سبيل الله فتفتحت له كل ميادين الكون، كل موضوعاته، ليرتفع بالبيان الرائع إلى ذروة الأدب الإنساني، وليكون هو الأدب الحق في الحياة الدنيا:

عَرَّةٌ فِيهِ! إِنَّهُ أَدَبُ الْإِسْلَامِ
شَرَفُ الْقَوْلِ مِنْ هُدَى الْحَقِّ
أَدَبٌ يَرْتَوِي الْبَيَانَ لَدَيْهِ
هُوَ فِي الْكَوْنِ آيَةٌ حَوْمَ الْمَجْدِ
كَمْ جَلَاهُ عَلَى الْمِيَادِينَ فُرْسًا
فَانْهَضِي يَا رَوَائِعَ الشُّعْرِ هُنْدِي
أَنْتَ فِي ذِرْوَةِ الْبَيَانِ عَطَاءُ
سَلَامٍ، غَرَسُ الْإِيمَانِ، رِيُّ الْعُهُودِ
سَقِّ وَسِحْرُ الْبَيَانِ بِالتَّوْحِيدِ
مِنْ حَدِيثِ، مِنَ الْكِتَابِ الْمَجِيدِ
دُعَايَهَا فَعَادَتْ رَوَائِعًا مِنْ نَشِيدِ
نُ وَغَتَّتْهُ وَثْبَةٌ مِنْ صِيدِ
سَاحَةِ زَعْرَدِي لَهَا وَأَعْيَدِي
زَاخِرُ بِالْهُدَى وَأَبْحَرُ جُودِ^(١)

هذا هو أدب الإسلام! ومن هذا الأدب يخرج الشعر ليكون أدب العلم والوعى والصدق والحق، أدب اليقظة الدائمة، لا سكر ولا خدر، ولا ظنون ولا جهل أبداً، ولا أساطير ولا خرافات.

وإذا كان أدب الإسلام هذا يختلف عن سائر الآداب بما ذكرناه من: اختلاف النظرة للكون والحياة، للإنسان، للعلم والمعرفة ومصادرها، فإنه يختلف اختلافاً واسعاً كذلك من حيث النظرة للماضي والتراث والمستقبل. وحسبنا أن نقول إن كثيراً من المذاهب تريد قطع الصلة مع الماضي على تناقض واضطراب. والإسلام يصل الأجيال كلها بالحق الذي يدعو إليه ويطرح الباطل، ويصل الدنيا بالآخرة.

وأبرز مظاهر التناقض في تلك المذاهب الأدبية ينكشف حين تدعو تلك المذاهب إلى قطع الصلة بالماضي، ثم تأخذ بالأسطورة والخرافة والأوهام وتجعل ذلك محوراً رئيساً للأدب تحمله من تراث الماضي، من تراث اليونان والرومان، كما يذكر ذلك سوسان، وكما

(١) من قصيدة مهرجان القصيد التي ألقيت في مؤتمر الأدب الإسلامي في لكهنو في الهند خلال الفترة: (٢٥ - ٢٧) ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ، (٧ - ٩) كانون الثاني (يناير) ١٩٨٦ م.

يكشفه ليفي ستراوس ورولان بارت وغيرهما من رجال هذه المذاهب . والأدب في الإسلام يرفض الأسطورة والخرافة والوهم ، ويقوم على الحق واليقين . إنه يؤمن بالغيب الحق الذي يأتي من عند الله . ولا تظهر الأساطير والخرافات في الأدب والفن إلا عندما ينقطع الإنسان عن مصادر العلم اليقين ، علم الغيب الحق من عند الله . الأدب الإسلامي يصل الأجيال كلها صلة أرحام وصلة رسالة وتاريخ تمتد مع الحياة . ويرعى الأسرة وروابطها ، ويحدد دوراً كريماً للرجل ودوراً كريماً للمرأة على طهر صلة وسكن وتعاون . وتلك الآداب تقطع الأجيال وتهدم الأسرة وتدعو إلى الفاحشة والجنس الملوث والشهوة المحرمة تحت شعار باطل كاذب من مساواة المرأة بالرجل .

وتلك الآداب تأخذ بتناقضها عن الماضي الأسطورة والخرافة تقليداً أعمى ، والإسلام يرفض التقليد الأعمى والاتباع الجاهل ، ويدعو إلى الإيمان والعلم والوعي . والإسلام يرى في سنن الحياة والكون آيات بينات لله . وتلك المذاهب تنكر السنن الربانية وتحاول بجهلها مصادمتها . وتعلن تلك المذاهب الحدائية حربها على اللغة ، وتدعو إلى إفراغ الكلمات من معانيها ، وإلغاء المعاجم ، وإلغاء علم المعاني والنحو ، ويسمون هذا وغيره نظرية «الشاعرية» ليجعلوا منها تيهياً واسعاً يضع في الإنسان على وهم وضلالة . والإسلام أساسه منهاج الله لساناً عربياً بيناً لا عوج فيه . تنهض اللغة العربية وهي كاملة النضج غنية الثروة ليختارها الله لغة قرآنه المعجز .

من هذا الاختلاف الواسع بين نظرة الإسلام للأدب والفن وللشعر كذلك وبين نظرة مذاهب الحدائثة ، ينشأ الاختلاف الهام الرئيس بين النظرتين في النمو والتطور والتجديد . والإسلام ، والأدب الإسلامي ، يدعو إلى النمو والتطور والتجديد في الجهد البشري على أن يظل محتفظاً بجذوره وساقه وامتداده ، وتنمو الثمار والزهور والأوراق ، وتتجدد الحياة فيها ويغني العطاء وتزكو الثمار ، وتتجدد من شجرة إلى شجرة حتى لا يكاد يحصرها عد^(١) . ينمو الأدب الإسلامي كما تنمو الشجرة الطيبة ، فهو كلمة طيبة :

(١) يراجع كتاب «تقويم نظرية الحدائثة وموقف الأدب الإسلامي منها» للمؤلف - الباب الثاني : النمو والتطور بين نهجين .

﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون. ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦].

إذا كان هذا هو موجز الاختلاف بين الأدب الإسلامي وبين أدب المذاهب الأخرى^(١)، فكيف نطبق على الأدب الإسلامي مقاييس تلك المذاهب وموازينه، وكيف نقيس بمعاييرها أو ننهل منها في تبعية عمياء ذليلة؟ ألسنا نحن المأمورين أن نبلغ ديننا ورسالة ربنا إلى الناس؟ ألسنا إذن نحن المأمورين أن ننقل عطاءنا وأدبنا إليهم ومقاييسنا وموازيننا، ليتعلموا منها ونخرجوا من ظلمات الضلالة وويلات الجريمة والحروب والفتنة والفساد، وسعير الشهوات وهيب الأهواء، قبل أن يدمروا العالم بالجريمة الممتدة والظلم المرعب؟!!!

من هذا التصور الذي عرضناه قبل قليل بإيجاز عن مفهومنا للشعر والأدب ومنطلقه، من هذا التصور الذي ينبع من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، يجب أن نخرج نظرياتنا عن الأدب والشعر والنثر. لذلك أعرض هنا التصور الذي آراه من خلال كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، ومن خلال تجربتي مع الشعر والأدب في رحلة طويلة، ومن خلال الواقع الذي نعانى اليوم مرارته وآلامه. أعرض من خلال هذا كله أساس النظرية في الأدب الإسلامي لنبين كيف يتولد النص الأدبي، أو التعبير الفني، وما هي سمات الجمال فيه وما هو مداه وميدانه، بصورة موجزة هنا مفصلة في كتبها الخاصة بها.

إن هذه القضية احتلت مساحات واسعة في تاريخ الدراسات الأدبية والنقد والفكر. ولقد امتد التصور للجمال والأدب والشعر منذ أفلاطون (٤٢٩ - ٣٤٧ ق.م). وانتقلت أفكار اليونان إلى روما ثم إلى أوروبا في تاريخ طويل. وقويت دراسة الجمال في أوروبا في القرن الثامن عشر عند بوجمارتين (١٧١٤ - ١٧٦٤م)، وديدرو (١٧١٣ - ١٧٨٤م)،

(١) يراجع كتاب الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، وكتاب الحدائث في منظور إباني، للمؤلف لدراسة المذاهب الأدبية الغربية والحدائث.

وكانت (١٧٠٤ - ١٨٠٤م) وفيتشه (١٧٦٢ - ١٨١٤م)، وشوبنهاور (١٧٨٨ - ١٨٦٠م). وامتدت النظريات في الجمال في أوروبا على غير استقرار. فتيوفيل جوتييه (١٨١١ - ١٨٧٢ Teophile Gautier) من أهم دعاة الفن للفن. وهو القائل: «لا وجود لشيء جميل حقاً إلا إذا كان لا فائدة له. وكل ما هو نافع قبيح»^(١) ثم تلا ذلك إدجار آلن بو (١٨٠٩ - ١٨٥٢م) متأثر بفلسفة كانت وهيغل (١٧٧٠ - ١٨٣١م) وبندتو كروتشيه الإيطالي (١٨٦٦ - ١٩٥٢م) متأثراً بهيغل. وت. س. اليوت Thomas Sterns Eliot. وتبع رجال الحداثة اليوم نظريات متضاربة متناقضة، في مذاهب متتالية متصارعة، حتى انتحر بعض رجالها وجُنَّ آخرون، واشتركوا كلهم بنشر الفتنة والفساد في الأرض. هذه الرحلة لتاريخ دراسة الجمال حملت صراعاً قوياً بين مختلف النظريات. فهذا يغلب العاطفة على الفكر، وهذا يغلب الفكر، وهذا يعتبر الواقع هو العامل الأول، وذاك يمجد الإنسان نفسه، وآخر يحدد دور الإنسان أو يلغيه في مرحلة ما، وبعضهم يرفع من النزعة الإنسانية وغيرهم يخفضها. ولكنهم جميعاً حطوا من قيمة الإنسان وقيمة الجمال حين عزلوه عن الإيمان والتوحيد.

كيف يولد النص الأدبي وكيف تولد معه سمات الجمال؟! (٢)

الفطرة في الإنسان، كما يمكن أن نفهمها من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، هي مستودع طاقات الإنسان وغرائزه وميوله وأهوائه. وأهم هذه القوى هي قوة الإيمان والتوحيد التي غرسها الله في فطرة بني آدم، حتى لا يكون لأحد حجة أبداً. وجاءت آيات الله في الحياة والكون لتغذي هذا الإيمان رحمة من الله، ثم جاءت الرسل والكتب المنزلة لتُختَم برسالة محمد ﷺ وبالقرآن والسنة، حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

(١) د. محمد غنيمي هلال. النقد الأدبي الحديث (ص: ٣٠٤ - ٣٠٥).

(٢) يراجع كتاب الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته. وخاصة الفصل الثاني من الباب الثاني: الموضوع الأدبي الفني؛ والباب الخامس: الإسلام والجمال.

فالإيمان والتوحيد هما القوة التي توازن بين سائر القوى والميول والغرائز والشهوات، وهما النبع الذي ترتوي منه هذه القوى كلها رتباً عادلاً يحفظ عليها الموازنة والعدالة. ومادامت كل قوة من هذه القوى مرتبطة بالإيمان مرتوية منه فهي قوة خير وتقوى، فإذا انعزلت أو جفّ النبع أصبحت هذه القوة أو تلك شراً وفجوراً^(١).

﴿فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسها﴾. [الشمس: ٨، ٩]

ومن بين القوى الهامة في فطرة الإنسان قوتان رئيستان تعملان مع سائر القوى والميول والغرائز مما نعلم أو نجهل. هاتان القوتان هما: العقل والفكر، والعاطفة والشعور. والقوة الأولى هي قوة التأمل والتدبر والتفكير، والدراسة وجمع المعلومات والتحليل. ولنصطلح عليها هنا بقوة «الفكر». والقوة الثانية هي قوة الإحساس والشعور. إنها القوة التي تدفع الدمعة إلى العين، والخفقة إلى القلب، أو تحرك الرحمة أو القسوة، والحنان أو الغلظة. ولنصطلح على هذه القوة «بالعاطفة».

هاتان القوتان تعملان معاً في وقت واحد مع كل عطاء يُقدّمه الإنسان. ولا يختلف الأمر إلا بدرجة هذه القوة أو تلك مع هذا العطاء أو ذاك. ففي عطاء يغلب قدر الفكر دون أن يموت الإحساس والشعور ولكنه يضعف ويبهت. وفي عطاء آخر تغلب العاطفة ولكن يبقى للعقل دوره مهما قل أو ضعف. إنها إذن قوتان رئيستان في فطرة الإنسان تعملان معاً على درجات متفاوتة بين عطاء وعطاء.

ومع مسيرة الإنسان في الحياة يمرُّ بأحداث وتجارب تترك آثارها في الإنسان، في فكره وعاطفته على سنن لله ماضية. وإذا شَبَّهنا القوتين الفكر والعاطفة بقطين كهربائيين أو مغناطيسيين، فيمكن أن نشبه كثر التجارب والأحداث والعلوم وحصاد الإنسان في الحياة بالشحنات الكهربائية التي تتجمع على هذا القطب وذلك. ومع مسيرة الحياة ونمو حصاد الإنسان تزداد هذه الشحنات على القطين. ومع المؤمن تظل القوتان الفكر والعاطفة،

(١) يراجع من أجل تفصيلات أوسع عن الفطرة والميول والقوى التي تعمل فيها كتاب «التوحيد وواقعنا المعاصر» وكتاب: «النية في الإسلام وبعدها الإنساني»، للمؤلف.

وتظل الشحنات، ترتوي وتتغذى من ربي الإيمان والتوحيد، كما تتغذى سائر القوى على موازنة خاضعة لسنن ربانية.

وعندما يتحرك الإنسان للعمل تتحرك فيه قوة هامة أيضاً هي النية. والنية هي في حقيقتها العزيمة والقصد والتوجه. ولا عمل بغير نية. فإذا كانت النية لله فإنها هي القوة التي تفتح نبع الإيمان والتوحيد ليرتوي منه الفكر والعاطفة وسائر القوى العاملة في فطرة الإنسان مما نعلم أو نجهل. وفي الوقت ذاته تمر التجارب والأحداث وكل حصاد الإنسان على النية وعلى الإيمان والتوحيد لتغسل وتنقى وتصفى، ثم تستقر على قطبي الفكر والعاطفة شحنات تنمو عليها وتزداد كأنها تنتظر لحظة محددة تنطلق معها. وحين تحين هذه اللحظة المحددة على قدر من الله سبحانه وتعالى، وحين تكون الشحنات هنا وهناك نمت واقتربت من بعضها للفاعل، في تلك اللحظة تتحرك «الموهبة»، القوة الكامنة في فطرة الإنسان وفي كيانه، تتحرك هذه القوة الدافعة وتدفع التفاعل بين مجموعتي الشحنات على القطبين، فتنتلق الومضة الغنية على شكل عطاء فني أو علمي، على حسب الموهبة التي أودعها الله في هذا الإنسان أو ذاك. تنطلق الومضة عملاً غنياً يحمل معه عناصر الجمال المؤثر في النفس المتلقية المؤمنة: نور الإيمان وإشراق النية، وغنى التجربة والزراد والحصاد في الصياغة والأسلوب وغيرهما، وطهارة الفكر والعاطفة، وصدق الإحساس والشعور، وقوة الموهبة وإشعاعها، ليحمل هذا كله الجمال الحق المتصل بالكون، المتصل بالحياة الدنيا والآخرة، في لحظة من أعظم لحظات الإنسان المؤمن الذي من الله عليه بموهبة خاصة تدفع عطاءً خاصاً. وعلى قدر ما تكون هذه العناصر كلها غنية تكون الومضة غنية بالعطاء والجمال. ومن الزاد والحصاد اللغة والثقافة والعلم.

إن هذه الومضة الغنية قد تدفع جولة عبقرية من الجهاد في سبيل الله، أو ممارسة إيمانية رائعة في ميدان من ميادين الحياة، أو نصاً فنياً من نثر أو شعر، يحمل روعة الجمال وصدق التأثير.

هذا هو الشعر وهكذا يتولد، وهكذا يحمل معه الجمال الرائع، والحسن الممتع، تتفاعل في إخراجه وولادته قوى متعددة تعمل على سنن الله ماضية: الإيمان والتوحيد، النية

وصدقها وإخلاصها، الفكر، العاطفة، الأحداث والتجارب والزاد والحصاد (وهذا يمثل الواقع والبيئة والتاريخ وغير ذلك)، الموهبة وأنواعها. إنها كلها تعمل معاً بطريقة ربانية لاندرك منها إلا القليل القليل.

ومن هنا نستطيع أن نضع تعريف الأدب الإسلامي على النحو التالي:
«الأدب الإسلامي هو ومضة التفاعل بين الفكر والعاطفة في فطرة الإنسان، تمدها الأحداث والتجارب والزاد والحصاد بالشحنات التي تنمو على الفكر وعلى العاطفة، يروي هذه كلها الإيمان والتوحيد اللذان يطلق نبعهما صدق النية وإخلاصها، حتى تحين اللحظة المحددة بقدر الله فتطلق الموهبة التفاعل بين شحنتي الفكر والعاطفة، فتنتقل الومضة الغنية من هذا التفاعل عملاً فنياً ونصاً أدبياً، تحمل معها عناصر الجمال الفني، ليشارك الأدب الإسلامي الأمة المسلمة في الوفاء بأمانتها وأداء رسالتها وتحقيق أهدافها، وليسهم الأدب الإسلامي في عمارة الأرض وبناء حضارة الإيمان، ولينقذ الإنسان من هلاك الفتنة في الدنيا وعذاب النار في الآخرة، خاضعاً في هذا كله لمنهاج الله - قرآناً وسنة - كما نزل به الوحي على محمد ﷺ بلسان عربي مبين».

فالنص الأدبي إذن مرتبط بصاحبه لا يمكن عزله عن صاحبه ولا عزل صاحبه عنه. فصاحب النص مسئول عن كل كلمة، مسئول في الدنيا ومسئول بين يدي الله في الآخرة. فالأدب الإسلامي هو أدب المسئولية.

لذلك كانت نظرية الجمال في الأدب الإسلامي وفي الإسلام تنبع من الإيمان

والتوحيد:

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن الرسول ﷺ أنه قال: «إن الله جميل يحب

(رواه مسلم والترمذي) (١).

الجمال»

ويرد في القرآن الكريم ألفاظ متعددة تشير إلى ظل من ظلال الحسن والجمال أو معنى من معانيه. ولكن لكل لفظة دلالة تتميز بها. فكلمة «زخرف وزينة» لفظتان عامتان لجميع أنواع الزخارف والزينة والجمال. فإذا كانت الزينة طهراً جاءت كلمة «الجمال» لتختص

(١) صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب الكبر وبيانه حديث (٩١).

بذلك، وإذا كانت الزينة فساداً وشرّاً جاءت لفظة «الفتنة» لتحديد ذلك. ومتعة الجمال هي متعة دائمة لأنها من متعة الإيمان. ومتعة الفتنة متعة عابرة تنتهي إلى شرّ وعذاب^(١). من هذا التصوّر نرى أن الجمال الفنيّ في الأدب يمثل جزءاً من نظرية الإسلام في الجمال الممتد في الكون كله، الممتد بين الدنيا والآخرة، فإذا هو نور وجمال وجلال. فمن هذا الجمال الممتد يقتبس الأديب المسلم الجمال الفنيّ في نصّه الأدبي على الصورة التي عرضناها.

والعناصر الخاصة بالأدب، العناصر التي تهبه الجمال المؤثر يمكن أن نضعها في قسمين، قسم مرتبط بالنصّ ذاته، وقسم مرتبط بالإنسان. فالقسم المرتبط بالنصّ: الصياغة الفنية وخصائصها، الموضوع أو القضية التي يدور حولها النصّ، الشكل، الأسلوب. أما القسم المرتبط بالأديب الإنسان: الإنسان الأديب وفطرته وموهبته وسائر ما يرتبط به، والإنسان المتلقي والرأي العام والأمة التي يتفاعل معها الأديب بطاقته وفطرته وموهبته، ثمّ العقيدة التي يحملها الأديب ومدى صدقه معها، ومدى تأثيرها على العناصر السابقة^(٢).

وينبوع الجمال في الأدب الإسلامي هو العقيدة، الإيمان والتوحيد، وما يغذي ذلك في كيان الأديب المسلم وينجيه في فطرته ويرعاه. وأهم ذلك الكتاب والسنة، ثمّ آيات الله الممتدة في الإنسان نفسه، وفي واقعه وما فيه من أحداث، ثم آيات الله الممتدة في الكون. فالجمال في الأدب الإسلامي أصيل نابع من فطرة وحياة وتفاعل مع الكون. وبذلك ينبع من لغة غنية، ونفس غنية.

وكلّ عنصر من العناصر الفنية الخاصة بالأدب يعمل مستقلاً ليضيف شيئاً من الجمال، ويعمل في الوقت نفسه مع سائر العناصر حتى تصبح كلها عملاً متناسقاً يبني الجمال الفنيّ. فإذا ضعف عنصر من هذه العناصر فقد النصّ شيئاً من جماله.

(١) تفصيل ذلك في الباب الخامس - الفصول: الثالث والرابع والخامس، من كتاب الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته.

(٢) الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته (ص: ٤٩ - ١٤٥).

والجمال الفني في الأدب الإسلامي له عاملان : عامل دافع يفتح ينبوع الإيمان والتوحيد ليروي سائر الطاقات وجميع العناصر، وهو «النية». وعامل منظم وموجه وهو «الموازنة»، حتى لا تطغى العناية بالصياغة مثلاً على سائر العناصر، فيكثر السجع الممل المتنافر، أو يطغى الفكر حتى تقلّ العاطفة، أو تنعزل التجارب والأحداث، إلى غير ذلك من أشكال الموازنة الآمينة.

ويمكن أن نصوّر الجمال الفنيّ في صور أربع مترابطة متناسقة : النغمة، والجرس، الصورة، الحركة، الموضوع. وكلّ صورة تضيف قدراً من الجمال الفنيّ.

والجمال الفنيّ يرتبط بالمتعة التي يقدّمها للإنسان. والمتعة في الجمال الفنيّ في الأدب الإسلامي متعة ممتدة غنية. إنها متعة حلال طاهرة. أما غيرها فهي متعة عابرة، لا تكاد تعيش إلا مع فطرة منحرفة وطبيعة مريضة.

والجمال الفنيّ في النصّ الأدبي يرتبط بالحرية والأمن في ذات الإنسان، وفي داخله، وكذلك في واقعه الذي يتفاعل معه. فهي حرية نابعة من ذاته وفطرته، مرتبطة بعقيدته، بالإيمان والتوحيد، وكذلك الأمن الذي يشيع في نفسه طمأنينة وبشراً. أو هي حرية وأمن يعيشهما في واقعه أو يجاهد لبنائهما في واقع الإنسان، لأنها حق طبيعي، ومصدر غني من مصادر الجمال النابع من الإيمان والتوحيد.

هذه لمحة موجزة سريعة عن : عناصر الجمال الفنيّ، ينبوعه ومصادره والعاملان المؤثران فيه، وصوره الأربع، وارتباطه بالمتعة والحرية والأمن، وامتداده في الحياة والكون، وبين الدنيا والآخرة.

وكذلك فإن الجمال الفنيّ والأدب كله يتأثر إلى حدّ بعيد بواقع الإنسان، بيئته، بالرأي العام، بالقوى المتحركة هنا وهناك ومدى تأثيرها على الأديب وإنتاجه. وهو إذن يتأثر بنفسيته ومدى تفاعلها مع هذه العوامل المتحركة في ذاته ومن حوله.

إن هذا التفاعل يتمّ على سنن ربّانية، يمكن أن ندرك بعضاً منها وتخفي علينا سنن أخرى كثيرة لا يعلمها إلا الله. فحين نطرح تصوراً لا يمكن أن ندعي إذن أنه هو التصوّر المطلق الشامل الذي جمع كل التفاصيل والدقائق. فهذا لا نطمح أن نبلغه. ولكننا نرسم

نهجاً نظمتن إلى سلامته لنسير عليه، ونحكم على سلامته بميزان أمين عادل. ثم تنمو التفصيلات مع المسيرة والمضي على النهج المحدد، ونحن مطمئنون واثقون مادام ميزاننا هو منهاج الله، ندرس من خلاله واقعنا وعطاءنا ونهجننا.

فالأدب الإسلامي هو أدب الجمال. هو أدب الإنسان. هو أدب الإيمان. ويبدأ الجمال في نفس الإنسان، في داخله وذاته. فإذا لم يبدأ هناك فلن يستطيع أن يعطي جمالاً ولا أن يتذوق الجمال الصادق أو يحسّ فيه.

والجمال في فطرة الإنسان يرتوي من الإيمان والتوحيد اللذين يتميزان بنقاط نوجزها هنا، لنرى جوهر الميزان الأمين الذي يحكم على النهج والمسيرة، ولنرى عظمة النبع الذي يرتوي منه الأدب الإسلامي:

١ - أن يعي المؤمن أن قضية الإيمان والتوحيد هي أخطر وأهم قضية في حياته، وأنها أكبر حقيقة في هذا الكون كله.

٢ - وأن يعي أن الانحراف عن الإيمان والتوحيد هو انحراف في الفطرة، ذلك لأن قضية الإيمان والتوحيد هي قضية الفطرة أولاً، فطر الله الناس كلهم عليها لتسقط حجة الكافرين والمنافقين. وتأتي آيات الله في الكون لتثبت الإيمان والتوحيد وتُنمِّيها، وتأتي الرسل والكتب المنزلة حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

٣ - أن يعي الإنسان حقيقة الألوهية والربوبية من خلال التصور الذي يعرضه منهاج الله - قرآناً وسنة -.

٤ - أن يعي الإنسان حقيقة عبوديته لربه وخالقه الله الذي لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى كلها، وذلك من خلال التصور الذي يعرضه منهاج الله.

٥ - أن يدرك الإنسان المؤمن حقيقة عهده مع الله إدراكاً ووعياً، يجعل كل عهد يرتبط به في الحياة الدنيا نابعاً من عهده مع الله، مرتبطاً به خاضعاً لشروطه.

٦ - أن يكون ولاؤه الأول لله رب العالمين، حتى لا يكون له ولاؤه في الدنيا إلا ولاؤه نابعاً من ولائه الأول لله مرتبطاً به خاضعاً لشروطه.

٧ - أن يكون حبه الأكبر لله ولرسوله، ومن هذا الحب العظيم ينبع كل حب له في الحياة

الدنيا ويرتبط به ويخضع له .

- ٨ - أن يكون لجوؤه وخشوعه وتضرعه لله رب العالمين لا يشرك به شيئاً .
 - ٩ - أن يعي ويدرك أن الإيمان والتوحيد يمثلان قضية تكاليف والتزام ، وقضية مسئولية وحساب ، وبذلك تكون قضية مفاصلة وحسم .
 - ١٠ - أن يعلم أن تكاليف الإيمان والتوحيد وقواعد الالتزام والمحاسبة والمسئولية يعرضها منهاج الله - قرآناً وسنة - عرضاً مفصلاً لا يدع عذراً لتفلت من المسئولية .
 - ١١ - أن يدرك أن عليه أن ينهض لهذه التكاليف والمسئوليات ، فينهض لمصاحبة منهاج الله صحبة عمر وحياة لا تتوقف ، صحبة منهجية بجد ، وعزم ، يأخذ أخذاً متكامللاً لا يأخذ جزءاً ويدع جزءاً . ذلك كله على قدر وسعه وطاقته التي سيحاسبه الله عليها ، على قدر وسعه الصادق ، لا وسعه الكاذب الذي يزعمه ويدّعيه ليتفلت من المسئولية .
 - ١٢ - أن يدرك أن عليه مسئولية الدعوة والبيان على نهج وخطة ، على أن يقوم الجهد كله والنشاط كله والنهج والتخطيط على القاعدتين الكبيرتين : منهاج الله والواقع ، والأسس الأربعة الرئيسة : الإيمان والتوحيد ، منهاج الله ، الواقع ، الممارسة الإيمانية والتدريب عليها .
- من هذا التصور يصل الأدب الإسلامي الماضي والحاضر والمستقبل نوراً يهتدي به الإنسان . ويصبح الأدب قوة في رسالة ودعوة ، وعدة في وثبة وجهاد ، وعزة في أمن وسيادة ، وحاجة ملحة للإنسان على الأرض .
- من هذا التصور يحمل الشعر خصائصه الفنية كلها . ويصبح الشعر نبتة نامية من غراس اللغة العربية ، نما بنموها ونضج بنضجها . ولم تكن قواعده بلاغاً من لجنة أو رأيا لصاحب هوى . وجاء الإسلام ليرويه الريّ الغنيّ ، وليرسم له دربه وأهدافه ، وليفتح له ميادين الحياة وآفاق الكون .
- لذلك كان الوزن والقافية جزءاً رئيساً من خصائص الشعر الفنيّة ، لأنها نما معهما من خلال تاريخ طويل حتى نضج شكله واستوى ، وفتح مجالات واضحة لتغيّر الوزن والقافية ، مجالات كافية لانطلاق غنية إيمانية .

إن المعاني والصور والموضوعات التي يمكن للشعر أن يطرقها في اللغة العربية يستطيع النثر أن يطرقها كذلك. ولكن الشعر يحمل معه عناصره الفنية التي تهبه الجمال وتميِّزه عن النثر. وكذلك النثر يحمل معه عناصره الفنية التي تهبه الجمال ليرقى به إلى مستوى الأدب وليتميِّز بها عن الشعر. ومن أهم عناصر التمايز الموسيقى والنغمة. فللشعر نغمته الخاصة به، وللنثر نغمته الخاصة به. ونغمة الشعر لم تأت مصادفة ولم تكن قرار لجنة ولا اختراع الخليل بن أحمد الفراهيدي. إنها ثمرة تاريخ طويل ونموً هاديء طبيعي، وهبت اللغة العربية هذه النغمة الحلوة الرائعة تنبيء عنها الأوزان والقافية، حتى سمى أهل اللغة وأصحابها هذا الكلام شعراً.

إن اللغة العربية لغة متميِّزة عن لغات الأرض كلها. إنها أعظمها وأجملها وأغناها وأقواها. تحدت الأعاصير والمؤامرات والجرائم خلال عصور طويلة وانتصرت. إنها تتميز باللفظة والتعبير، والصياغة والتركيب. فلكل لفظه خصائص أربع: المعنى، الظلال، النغمة والجرس، القدرة على الاتصال والارتباط. فمن خلال التعبير والتركيب تتشابه المعاني والظلال والنغمات لتهب النصّ الجمال الفني عندما تدفعه ومضة التفاعل بين الفكر والعاطفة. من هذا التشابك ينبثق جمال لا تجده في أي لغة أخرى. وللنثر جماله الفني الرائع الخاص به، وللشعر جماله الفني الخاص به، وسيظل في اللغة العربية النثر نشراً بخصائصه التي حملها من خلال تاريخ طويل، وسيظل الشعر شعراً بخصائصه كذلك.

وكلمة الشعر في معاجم اللغة ترتبط بالعلم والفطنة والعقل، لا بالخدر والغيوبية والأساطير. ففي قاموس المحيط للفيروزآبادي: «والشعر غلب على منظوم القول لشرفه بالوزن والقافية».

لقد كان الوزن والقافية شرفاً لهذا النوع من القول. وسيبقى شرفاً له ما بقيت اللغة العربية. ولا يمكن اعتبار الشعر الحديث، المنشور وصاحب التفعيله شعراً أبداً. إنه، إذا استطاع أن ينهض لمستوى الأدب فهو نثر لا علاقة له بالشعر.

الوزن والقافية عند الشاعر المتمكن من اللغة مرشدان هاديان لجواهر اللغة ولآلئها. إنها يفردان اللغة كلها للشاعر، ويفتحان له كل أبوابها، وينثران أمامه كل جواهرها

ودررها، ثم يرشدانه إلى الأعلى الأعلى، والأصفي الأصفى، ليأخذ الشعرُ جماله الفنيّ المتميّز. الوزن والقافية عون للشاعر الحق لا عقبة أمامه، وشرف للشعر لا عيب فيه.

على الشاعر اليوم أن يعرف لغته أولاً فلا يظل غريباً عنها. عليه أن يعيد انتسابه إلى لغة القرآن بعد هجر طويل وغربة طويلة. عليه أن يقطع غربته قبل أن ينزل ميدان الشعر فيؤذي ويسيء. عليه أن يجدّد هويته وأصالته، لينساب منه الشعر انسياباً، وليهديه الوزن والقافية إلى أجمل أسرار اللغة وأحلى معانيها وألفاظها وأنغامها.

والأدب الإسلامي يجب أن يتقدّم للعالم عزيزاً قويّ الثقة بنفسه وزاده ورسالته، ليقدّم النظرة الإيمانية للأدب ونظريته في مختلف الميادين في حياة الإنسان، ليعلم البشرية جمالاً جديداً للأدب، وحلاوة جديدة لجولاته، وأهدافاً كريمة تنشد سعادة الإنسان.

ولقد عرضنا بعض النماذج من التصورات التي نظرناها في هذا السبيل، موجزة هنا مفصلة في بعض كتبنا: الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، الحداثة في منظور إيماني، تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها. ولكننا نودّ هنا التأكيد على قضية متميزة في ميدان الأدب، ألا وهي قضية الملحمة.

لا يوجد لدينا اليوم تصور خاص للملحمة في الأدب الإسلامي. وما زال الأدباء والجامعات يخضعون للتصور الموروث عن اليونان والرومان. ونحن نرى أن هذا التصور مرفوض من جذوره في الأدب الإسلامي ديناً وعلماً وعقلاً. ولكن الأدباء لم يطرحوا تصوراً جديداً، إلا ما قدّمته في: كتابي الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته وفي مقدّمة بعض الملاحم مثل: ملحمة البوسنة والهرسك الجريمة الكبرى، ملحمة الأقصى وغيرها، وكذلك فيما دار من حوار حول هذا الموضوع في بعض الصحف. وموجز ذلك أن كلمة ملحمة هي ترجمة خاطئة لكلمة (Epic) الإنجليزية ذات الأصل اليوناني. والترجمة الأصح هي: «الأسطورة أو الخرافة» وكلمة الملحمة نأخذ معانيها من المعاجم ومن أحاديث رسول الله ﷺ. ولذلك يجب الانطلاق بتصوير إسلامي للملحمة يقوم على ما يلي:

١ - فصل الملحمة عن التصور اليوناني الوثني وأدبه وفلسفته ولغته.

٢ - أن ينبع تصورنا للملحمة من طبيعة لغتنا وتاريخنا وقواعد ديننا.

٣ - مفارقة الأساطير والخرافات والأوهام واعتماد الحق والصدق وما يقوم عليها من أحداث في تاريخنا الإسلامي وحقائقه .

٤ - أن لا يكون الطول الذي يتجاوز آلاف الأبيات شرطاً للملحمة الإسلامية وحسبنا أن نتفق على الحد الأدنى من الأبيات الشعرية مع سائر الخصائص الفنية، حتى تنبع الملحمة من حقائق التاريخ الإسلامي وطبيعة اللغة العربية وقواعد منهاج الله .

٥ - لا بد من أن يكون للملحمة الإسلامية أهداف مُحددة تستحق هذا الجهد الكبير من الشاعر الأديب . وتتحدد الأهداف على أساس الإيمان والتوحيد، ومنهاج الله قرآناً وسنة، والحاجة التي يقرها منهاج الله في واقعنا، لتصبَّ جهود الأمة كلها في معركتها الحالية، معركتها الشرسة، بعد أن تداعت عليها أمم الأرض تداعي المجرمين الجشعين، تداعي الأكلة على قصعتها، ولتساهم الملحمة الإسلامية في بناء الجيل المؤمن الواعي حتى لا يكون غناء كغناء السيل:

فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن تداعي عليكم الأمم كما تداعي الأكلة على قصعتها» فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟! قال: «لا، ولكنكم غناء كغناء السيل . ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن» فقال قائل: وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكرهية الموت» [رواه أبوداود في سننه كتاب الملاحم (٣١) باب (٥) حديث (٤٢٩٧)].

وكذلك لتساهم الملحمة الإسلامية في تثبيت الإيمان في قلوب المؤمنين، وفي الإقبال على الآخرة، وفي الجهاد في سبيل الله كما فرض الله، وفي جمع كلمة المؤمنين على لقاء المؤمنين، وإيقاف التنافس على الدنيا، والتحاسد والتباغض:

فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغارها . وإن أمي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأصفر . وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم . وإن ربي قال لي: إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد . وإني أعطيت لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم

عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، أو قال من بين أقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً»

[رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. كتاب الفتن (٣٤) باب (١٤) حديث (٢١٧٥)].

إذن وضحت مهمة الأدب الإسلامي ونظريته ونهجه، ومهمة الشعر ونظريته ونهجه، والملحمة الإسلامية ونظريتها ونهجها، إذا كانت أمتنا تريد النجاة حقاً، وتريد العزة والنصر، فقد رسم الله الدرب إلى ذلك كله.

ولكن يبقى هنالك أسئلة يدور حولها خلاف بين الأدباء اليوم. منها مصطلح الأدب الإسلامي. ولن أخوض في هذا الموضوع كثيراً بعد أن أوضحت رأيي في عدد من الصحف والمجلات حين دار حوار عن ذلك. ولكنني أقول إننا يجب أولاً أن نتفق على جوهر هذا الأدب وحقيقته، ومهمته وأهدافه، وخصائصه الفنية والفكرية. ثم بعد ذلك نتفق على المصطلح هذا أو ذاك.

أعتقد أنني أوضحت جوهر هذا الأدب الذي نتحدث عنه وطبيعته وخصائصه وأهدافه وغير ذلك في كتيبي التي ذكرتها قبل قليل، وفي مقدمة بعض الدواوين والملاحم وغيرها. وأعتقد أنني أوجزت هنا ما فصلته هناك.

الأدب الإسلامي ليس شيئاً نبتدعه اليوم. ولكنه الأدب الذي انطلق مع دعوة محمد ﷺ، دعوة الإسلام الخاتمة. وهو الأدب الذي يلتزم بالتصور الذي يعرضه منهاج الله، والفكر والنهج. وهو أدب له نهجه الممتد لا يقف عند بيت أو قصيدة أو عمل واحد. إنه عطاء الأديب المؤمن المسلم الملتزم أولاً، الذي ينطلق من فطرة الإنسان التي فطره الله عليها، ومن القوى التي غرسها الله فيها، ترتوي من ربي الإيمان والتوحيد، مادامت الفطرة سليمة لم تنحرف أو تفسد، هذا الأدب هو أدب إنساني عالمي لصدوره عن فطرة الإنسان، عن الإنسان السوي الذي خلقه الله ليبتليه في هذه الحياة الدنيا. من هذه الأصالة الإنسانية اكتسب أصالته وإنسانيته وعالميته، ومنها أيضاً اكتسب طهارته، ومن رساله الإيمان والتوحيد، ومن المسؤولية والأمانة، اكتسب نهجه وأهدافه ومسئوليته.

ابتدأ هذا الأدب مع انطلاقة الدعوة، وظل مستمراً يضعف ويقوى، وسيظل

مستمراً يقوى بقوة الأمة المسلمة ودعوتها، ويضعف بضعفها، لا يستطيع أحد أن يزيله . ولكن ستظل سائر نماذج الآداب وأجناسها، موجودة كذلك في الميدان تصارع، والآداب الإسلامي يصارع أيضاً ويجاهد . وكلُّ أدب سيظل يدعو إلى فكره ورسالته، على سنن الله ماضية وابتلاء حق .

أسئلة كثيرة ستظل تدور حول هذا المصطلح للأدب الإسلامي . وربما تقع بعض المغالطات أثناء الحوار بين مختلف وجهات النظر . وقد أثار الدكتور مرزوق بن صنيان بن تنيك عدداً من الأسئلة حول هذا المصطلح في مقاله : « مصطلح الأدب الإسلامي » الذي نشرته مجلة الدارة في عددها الثالث للسنة الثامنة عشرة سنة ١٤١٣ هـ . ولقد كان البحث هادئاً وأثار قضايا جوهرية أثارها في نفسه، كما يبدو، الكتب التي اختارها حول الأدب الإسلامي، وأبدى ملاحظات جيدة كما جاء في الصفحة (١٠٧) من المجلة حول التقاط نماذج من الآداب الأخرى لتنسب إلى أدب الإسلام . ولكن هنالك قضايا أخرى أثارها، وأثارها غيره تحتاج إلى إيضاح .

إن الحكم على مفهوم الأدب الإسلامي، أو أي مصطلح آخر يلتزم بالخصائص والنهج والأهداف، لا يتوقف عند آراء الأديباء السابقين أو المعاصرين ولكننا نردّ المفهوم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ رداً خاضعاً لشروط : الإيمان والتوحيد، العلم بمنهاج الله، العلم بالأدب، ووعي الواقع . فما وافق كتاب الله وسنة رسوله وقواعد اللغة العربية وخصائصها قبلناه إذا كان باللغة العربية، وما خالف ذلك رددناه .

والنقطة الثانية التي أشعر أنها تختلط أثناء الحوار هو عدم التفرقة بين إخراج النصّ من دائرة الأدب الإسلامي، وإخراج الأديب من دائرة الإسلام . هاتان قضيتان منفصلتان . فقد نرفض النصّ في ميزان الأدب الإسلامي، ولكن لا نكفر الشاعر أو الأديب في ميزان الإسلام . فالتكفير قضية تتحدّد بقواعد شرعية ثابتة، وكذلك الحكم بفسقه .

ومهما جعل الثعالبي والجرجاني وغيرهما للكلمة من منزلة، ومهما فصلّ هذا أو ذاك بين الكلمة والمعتقد، فإن كتاب الله وسنة نبيه جعلاً للكلمة منزلة فصلّاهما وحدداها .

ويظل حكم الله ورسوله أعلى من حكم البشر مهما علت منزلتهم . ولقد فصلت ذلك في كتاب الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، مما لا مجال لتفصيله هنا .
وما ورد في كلمة الدكتور مرزوق في الفقرة (٢)، (ص: ١٢) من مجلة الدارة يتعارض مع مفهوم شمولية الإسلام من ناحية ومع مفهوم الأدب ووظيفته من ناحية أخرى . «إضافة صفة الإسلام ومعناه الشامل إلى جزء من مناهج الحياة» كالأدب لا «يجرر أجزاء الحياة الأخرى من الإسلام» ولا «يسلبها هويته»، كما يذكر الدكتور، لأننا بهذه الإضافة نربط الأدب بالإسلام، لا العكس . فحين نقول الأدب الإسلامي ينطلق الأدب ويأخذ امتداده وشموله من الإسلام دون أن ينقطع الإسلام عن سائر مناهج الحياة . وكذلك حين نقول الاقتصاد الإسلامي والسياسة الإسلامية . وتظل بذلك جميع أجزاء الحياة مرتبطة بالإسلام على تناسق وقوة، وتمضي الحياة كلها بجميع أجزائها على جمال التناسق والنشاط بهذه الإضافة وهذا الارتباط . إننا لا نربط الإسلام ولا نقيده بالأدب، ولكننا نربط الأدب بالإسلام ليستمد منه القوة والنشاط، ولينطلق الأدب غنياً في ميادين الحياة . إن هذا الربط والانتساب لا «يحدّ من قدرات الأديب المسلم»، ولا هو «تأطير قسري»، ولكنه انفتاح واسع على الحياة والكون .

إننا لا ندعو للأدب الإسلامي ليكون ردّ فعل أو صدئاً لدعوة الاشتراكيين والشيوعيين وغيرهم، كما يذكر بعض الأدباء ذلك . إننا ندعو للأدب الإسلامي لأنه جزء من دعوة الإسلام، وعدة من عدده، كما جاءت بذلك الآيات والأحاديث، وكما دلت على ذلك سيرة النبوة . إننا ندعو إليه لأصالته وضرورته .

إن قواعد الإسلام لا تقدّم صرامةً للالتزام وتضييقاً للعمل الفني والإبداع . إن قواعد الإسلام هي أوسع باب ينفذ منه الأديب إلى آفاق الكون والحياة، والدنيا والآخرة . والذي يضيق ويختنق هو الفتنة والفجور والفساد . وعالم الطهر أوسع للإنسان وأرحب . وعالم الفساد عالم منحوق بطبيعته، آفاقه الجنس الملوث والفساد القاتل .

إن ضعف بعض الأدباء المسلمين، أو ضعف نشاطهم في مرحلة من مراحل حياة الأمة المسلمة لا يمثل حجة ضدّ الأدب الملتزم بالإسلام الممتد مع الحياة كلّها، مع الكون، مع الإنسان بفطرته النقيّة غير المنحرفة، مع الدنيا والآخرة . وإن ضعف المسلمين

وهوانهم في سائر ميادين الحياة، في مرحلة قَصُرَتْ أو طالت، لا يمثل حجة ضدَّ الإسلام، ضد كتاب الله وسنة رسوله. وسيظل منهاج الله هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ذلك لأنه تنزيل من عزيز حميد. وسيظل منهاج الله هو منطلق نظرية الأدب في الإسلام، وهو الذي يحدّد خصائصه ونهجه وأهدافه ومسئوليته.

إن ضعفنا وهواننا اليوم جعلنا نقف من المبادئ غير الإسلامية، لا من الأدب فحسب، موقف الاستسلام، موقف البحث عن نقاط التلاقي، وإغفال نقاط الاختلاف. وهذا هو مكنم الخطر المريع. إننا لا نستطيع بقوتنا البشرية وحدها أن نقف أمام طوفان الأعداء وسلاحهم المبيد. ولكننا حين نصدق الله بالسّرّ والعلن، بالإيمان والعلم، بالعلم والتطبيق، فإنّ الله قادر أن يمدّنا برحمته بقوة تحمل معها النصر. وحين لا نصدق الله نخسر عون الله ونخسر القوة المادية وأثرها أيضاً، نخسر الدنيا والآخرة.

إننا نخاطب العالم كله كما أمرنا الله لا نزيد ولا ننقص:

﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾
[آل عمران: ٦٥].

نعم! «... فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون»! واشهدوا بأننا أدباء نلتزم بالإسلام لفظة وتعبيراً وفكراً وعاطفةً، ومبنى وصياغة، في عالم رحب واسع لا نخشع فيه. إننا دعاة ومفكرون وأدباء ملتزمون.

ولنسهل الأمر على تصور الأدب الإسلامي وتمييزه عن غيره، يمكن أن نضرب المثل الذي ذكرناه في الكتب التي سبق ذكرها: لتتصور عدداً من الشعراء أرادوا وصف روض أو زهرة أو منظر. فشاعر يرى في الزهرة آية من آيات الله. فيصف جمالها فيبدع ويربط الوصف كله بربه وبرب الزهرة، الله الذي وهبها الجمال لتكون آية دالة عليه. فهذا أديب مسلم، وهذا أدب مسئول ملتزم بالإسلام، يحمل رسالة الإسلام في حياته.

وشاعر حصر رؤيته في جمال الزهرة فوصفها وأبدع وصفها، لغة ونغمة، ولكنه لم يربط جمالها برسالة في الحياة، ولا إيمان، ولا توحيد، ولا خالق. فهذا أدب حيادي قد

يكون صاحبه مسلماً، لم يقل كلمة الكفر، فلا نخرجه من إسلامه . ولكن نصه الأدبي قصر عن مهمة الأدب الإسلامي ، ولكن لم يصطدم معه .

وشاعر وصف الزهرة وانحدر في وصفه إلى الجنس الفاحش ، والكلام البذيء ، فخرج عن الأدب الإسلامي وصادمه ، ولكننا لا نخرجه من الإسلام ولا نكفره ، وربما نعتبره قد فسق وانحرف ، فيحاسب بموجب دين الله وبمقدار فسقه وجنوحه .

وشاعر وصف الزهرة وصفاً مادياً جميل اللغة جميل النغمة ، ونصّ في وصفه على أنه لا خالق لها ، وقال كلمة الكفر ونصّ عليها بوضوح لا ريب فيه . فنقول هذا الأدب مهما حمل من جمال اللغة والنغمة هو أدب كافر من أديب كافر . فيخرج الأديب من الإسلام ويخرج أديبه من الأدب الإسلامي .

أعجب كيف يريد بعضهم . إن يأخذ الأدب الفاسق والفاجر والكافر حقّه في الساحة الأدبية ، ولا يريدون للأدب الملتزم بالإسلام أن يكون له نفس الحقّ على الأقل !

ولعلّ غيري يشاركني هذا العجب ! ولكن العجب الأكبر من الأدباء المسلمين . عجب وعُتِبَ على بعض الأدباء المسلمين ألا نجد أحياناً بين بعض الأدباء المسلمين الحنان على الكلمة الفنية الجميلة الطيبة ، حتى لا تكاد تجد لها فسحة من الإعلام . وربما تجد التحاسد والتباغض والتناجش على غير ما أمر الله ورسوله ، حتى يفقد الأديب المسلم كلمة الإنصاف ، وحتى يفقد كلمة التشجيع . المرضُ فينا نحن المسلمين ! فلننظر في أنفسنا قبل أن نطرح أدبنا ، وقبل أن نحاسب الأعداء . فقد لا نجد النصيحة في النقد ، ولا نجد الدقة في العرض ، ولا نجد التعاون الجادّ الجامع . وقد تثور العصبية الجاهلية .

الأدب الملتزم بالإسلام ليس جمعاً لفتات من هذا الأدب وذاك ولا هو نصّ واحد شريد في حياة تائهة ، ولا هو شعار تزخرفه الأهواء والمجاملات !

إنه نهج ممتد ، نهج ورسالة وأهداف ، نظرية وعطاء وتطبيق ، نحملها بثقة واطمئنان ، وقوة ويقين ، إلى العالم كله .

إذا لم يكن الأدب الإسلامي يحمل هذه الخصائص الجليلة ، فما حاجتنا إليه ؟ وما حاجة الأمة إليه ؟! لن يفيدنا المصطلح مهما كان إذا خفيت الخصائص والأهداف ، والنهج

والرسالة . أما إذا وضحت هذه كلها فلن يطول الخلاف حول المصطلح .
وربما اقترح بعض الأدباء مصطلحاً آخر، كمصطلح «الأدب الملتزم بالإسلام» ليشير
إلى قضية الالتزام أكثر من الانتساب . ولكن أعود وأوضح أن جوهر الخلاف الحقيقي ليس
المصطلح أبداً . إن جوهر الخلاف هو في المفهوم والخصائص كما هو واضح من كلمة
الدكتور مرزوق، ومن كلمات أخرى لأدباء آخرين، جعلوا المصطلح هو عنوان الخلاف،
فإذا دققت في المحتوى رأيت أن جوهر الخلاف لم يكن المصطلح نفسه .
ويبقى مصطلح «الأدب الإسلامي» مصطلحاً مناسباً إذا اتفق على خصائصه
وطبيعته وأهدافه .

إن خصائص الأدب الإسلامي تتميز بأنها تسمح للأدب أن ينمو ويتطور ليناسب
المرحلة التي تمر بها الأمة تطوراً يحتفظ بالجذور والساق . نحن اليوم أمة تتعرض لأبشع
صور العدوان، وأقسى صور الظلم، تهاقت علينا الأمم حتى انتهكت أعراضنا ونهبت
ثرواتنا وأذلت كرامتنا . لذلك نريد الجمال الفني في الأدب ليدفع الأمة إلى ميدان تحمي فيه
أعراضها وشرفها! لا نريد الأدب الذي يهدف لإشغال الناس بسفساف الأمور، ويهبط عن
معالي الأخلاق . لا نريد الأدب الذي يجعل من المرأة نهذاً وخصراً وجنساً ويبني على ذلك
حرّيتها . نريد الجمال الفني الذي يرسم النهج ويحدّد الأهداف، ويدفع الأمة الإسلامية
لتكون أمة واحدة لها رسالة واحدة في الحياة، هي رسالة الإسلام، تحملها علماء وفكراً وأدباءً،
ولندعو العالم كله إلى ذلك، عندئذ يصبح أدبنا أدباً إنسانياً عالمياً برسائله وخصائصه
وإبداعه .

والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيد المرسلين

عدنان علي رضا النحوي

الرياض: ١٥/٣/١٤١٤هـ

١/٩/١٩٩٣م

فاتحة الديوان

- دعاء وابتهاال (إلهي!)
- رسول الهدى!

دعاء وابتهاال

إلهي

وإِنِّي أُوَابُ إِلَيْكَ وَخَائِفُ
تَدَوُّرُ وَدَمْعُ بَيْنَ ذَلِكَ نَازِفُ
رَلَازِلُ جُنَّتْ حَوْلَنَا وَرَوَاجِفُ
أَعَاصِيرُ مَا زَالَتْ بِهِ وَعَوَاصِفُ
حُشُودُ تَوَالَتْ فِي الدِّيَارِ رَوَاجِفُ
فَضَجَّتْ لَهَا أَحْشَادُهُمُ وَالطَّوَائِفُ
وَكُلُّ فُؤَادٍ دُونَ ذَلِكَ وَاجِفُ
فَإِنْ وَثِبْتَ فَالْمَوْتُ مَاضٍ وَخَاطِفُ

إلهي! وفي جنبي خفقة وامق
وفي الدار أهوال تمور وفتنة
ودفق دماء والضحايا تناثرت
تصدع بنيان فأهوى وهذه
تهافتت الدنيا علينا فأقبلت
كانهم مالوا إلى قصعة لهم
وحوش على أنيابها الموت مقبل
كان الردى بين المخالب رابض

* * *

قواها وغشاها هوى وزخارف
ويدفعها بين الأعاصير واكف^(١)
جباه وأهوى في الوحول غطارف^(٢)
لثام فلم يلقوا كمامة تخالف
وروعها في النائبات الكواشف^(٣)
وفي أرض «كشمير» لظى وقذائف

إلهي! وهذي أمتي مزق الهوى
يقود خطاها في الدياجير تائه
فهنأ وداستنا زخوف ومرغت
ومالوا على أعراضنا فاستباحها
فكم من فتاة مزق القهر سترها
هناك على «البوسنا» دواه وفتنة

(١) وكف: يوكف وكفا: مال وحرار، أو وقع في عيب أو مائم، أو فسد رأيه.

(٢) غطارف: السيد الكريم.

(٣) كشفت الكواشف فلاناً: فضحته.

وهذي فلسطين المدمّاة وئلتنا
تغيب وراء الأفق منها معالم
تطير قلوب المؤمنين لساحها
وللمسجد الأقصى حنين ولهفة
وفي كل أرض فتنة بعد فتنة
وقد كشفت عوراتنا وتقطعت
تمر بنا الأحداث حتى كأنها
إلهي! فمن للمسلمين وقد غفوا
إلهي! أعنا واسكب النور بيننا
والف قلوباً فرّق الحقد بينها
وهبنا يقيناً في القلوب لعلنا
وأنزل علينا رحمة تغسل الذي
ونزغ عن آثامنا، علّ توبة
فتدقق في الميدان منا جحافل
ونحمل للدنيا رسالة ربنا
ونمضي بها صفّاً كأن جنوده
فتنزل نصراً يا إلهي ورحمة

يغيب تليد المجدي منها وطارف
ندي ظلال من رباها ووارف
فتنهض للقاء ربي ومشارف
تجيش بها أشواقنا والعواطف
ويوم عبوس الشر والهول كاسف^(١)
عرانا وهانت ساحة ومواقف
أحاديث لهو تنطوي وسوالف
وما أيقظتهم آية ومصاحف
بأفئدة ضاقت عليها المصارف
وقد يجمع الأضداد يوماً تألف
نهب إلى ساحاتنا ونشارف
نهم به من مائمه ونقارف
يفيق بها لاه عن الأمر عازف
يموج بها شاكى السلاح وعاطف
نخاصم في هذي لها ونعاطف
قواعد ببيان، فداع وزاحف
إذا صح عزم في الميادين عاكف

* * *

الجمعة ٢٣/١١/١٤١٣هـ

١٤/٥/١٩٩٣م

(١) يوم كاسف: شديد الشر والهول.

رسول الهدى^(١)

محَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
(من ملحمة الأقصى)

| | |
|--|--|
| يَا رَسُولَ الْهُدَى! سَلَامٌ مِنَ اللَّهِ | — وَمِنَ الْمُؤْمِنِ لَهُ تَرْدِيدُ |
| وَصَلَاةٌ عَلَيْكَ، تَخَشَعُ فِيهَا | أَضْلَعُ أَسْلَمْتُ وَهَدِي الْكُبُودُ |
| كُلُّ فَتْحٍ بَلَّغْتَهُ هُوَ آيَا | تُ مِنَ اللَّهِ خَيْرُهَا مَمْدُودُ |
| غَيْرَ أَنْ الْقُلُوبَ أَقْسَى عَلَى الْفَتْحِ | حِ وَأَعْلَى سَبِيلُهَا وَالْجُهُودُ |
| فَسَبِيلُ الْقُلُوبِ هَدْيِي مِنَ اللَّهِ | هَ، سَبِيلُ الْبِلَادِ سَيْفٌ حَدِيدُ |
| فَإِذَا مَا التَّقَى عَلَى الْحَقِّ سَيْفٌ | وَبِلَاغٌ فَذَاكَ فَتَحَ مَجِيدُ |
| فَبَنَيْتُ الَّذِي تُقْصِرُ عَنْهُ | عَبَقْرِيَّاتُ أَغْصِرُ وَحُشُودُ |
| أُمَّةً لَمْ تَزَلْ إِلَى اللَّهِ تَسْمَى | هِيَ فَتَحَ مِنْهُ وَنَصْرُ فَرِيدُ |

* * *

| | |
|--|-------------------------------------|
| يَا رَسُولَ الْهُدَى! سَلَامٌ مِنَ اللَّهِ | — وَمِنَا الْوَفَاءُ وَالتَّوْحِيدُ |
| وَصَلَاةٌ عَلَيْكَ نَعْبُدُ فِيهَا اللَّهَ | هَ نَرْجُو رِضَاءَهُ وَنُعِيدُ |

(١) أَلْقَيْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي مَوْقِعِ حَوْلِ «المدائح النبوية تاريخها وأساليبها». أورانج آباد في الهند خلال الفترة: (٢٦-٢٨) / ٢/ ١٤٠٩ هـ الموافق (٧-٩) أكتوبر ١٩٨٨ م ثم جعلت هذه القصيدة جزءاً من ملحمة الأقصى. وهنا أنقلها لتكون مع فاتحة هذا الديوان وقدمت في هذا المؤتمر بحثاً حول: «الإطار الصحيح والأسلوب الأمثل للمدائح النبوية».

رَحْمَةً أَنْتَ لِلْعِبَادِ مِنَ اللَّهِ
فَاذْكُرِي «أُمَّ مَعْبِدٍ» قِصَّةَ الشَّ—
مَسَحَ الضَّرْعَ فِي يَدَيْهِ رَسُولُ ال—
رَوَى الصَّحْبُ وَانْتَنَوْا وَكَانَ الضَّ—
آيَةَ اللَّهِ فِي يَدَيْهِ وَذَكَرُ ال—
إِنْ رَوَى الصَّحْبُ كَفَّهُ فَهَدَاهُ
يَرْتَوِي الدَّهْرُ مِنْ هُدَاهُ فَيَدْنُو

هِ وَفَضَّلَ مُهْدَى وَخَيْرٌ مَدِيدُ
سَاءَ وَقَدْ جَفَّ ضَرْعُهَا وَالْوَرِيدُ^(١)
لَهُ فَاشْتَدَّ دَرُّهَا وَالْجُودُ
رَعٌ تَدْعُو: لَنْ ظَمِئْتُمْ فَعُودُوا
لَهُ فِي قَلْبِهِ خُشُوعٌ وَحِيدٌ
يَرْتَوِي مِنْهُ صَاحِبٌ وَيَعِيدُ
مُؤْمِنٌ خَاشِعٌ وَيُنَائِي كُنُودُ

* * *

أَيْهَا الْمُصْطَفَى! تَفَرَّدْتَ فِي الْخَلْدِ
أَنْتَ مَعْنَى الْوَفَاءِ: ذِكْرُكَ فِي الْأَرْضِ
زَانَكَ اللَّهُ! حَسُنْ وَجْهَكَ إِشْرًا
لَا تَكَادُ الشُّهُودُ تَمَلَأُ عَيْنِي—
ذِرْوَةَ الْبَاسِ فِي فُؤَادِكَ فِي الْحَرِّ
لَوْ تَنَادَوْا مِنَ الْفَوَارِسُ فِي الدَّهْرِ
أَنْتَ فِي الْحَرْبِ يَحْتَمِي بِكَ أَبْطَا
حَسْبُكَ الْمَدْحُ أَنْ تَكُونَ عَلَى خُلْدِ
كُلِّ آيٍ مِنَ الْكِتَابِ وَذِكْرٍ

قِي نَبِيًّا عَلَاكَ أَفْقُ فَرِيدُ
ضِحْمٌ حَمِيدٌ وَفِي السَّمَاءِ حَمِيدُ
قُ وَإِشْرَاقُهُ جَلَالٌ وَدُودُ
هَذَا فَيَغْضِي مِنَ الْجَلَالِ الشُّهُودُ
بِ إِذَا أَحْمَرَ بِأَسْهُا وَرَعُودُ
رَلَقَالُوا: ذَا الْفَارِسُ الْمَعْدُودُ
لُ وَيَأْوِي لِظِلِّكَ الصَّنْدِيدُ
قِي عَظِيمٌ يُتَلَمَّى بِهِ الْكِتَابُ الْمَجِيدُ
هُوَ ذِكْرٌ عَلَى الزَّمَانِ جَدِيدُ

* * *

(١) «أم معبد» صاحبة الخيمة التي مر بها رسول الله ﷺ وأبو بكر يسألان لحما وتقرأ يشتريانه منها. فلم يصيبوا شيئاً. فمسح رسول الله ﷺ ضرع شاة خلفها الجهد عن الغنم ودعا وسمى الله تعالى، فتفاجت عليه وذرت وروي الجميع. فأمنت وبايعت على الإسلام.

يَا رَسُولَ الْهُدَى! حَمَلْتَ إِلَى النَّاسِ
كَمْ مَسَحَتِ الدَّمُوعَ آسِيَتِ مَحْزَوِ
وَدَفَعْتَ الْأَسَى وَرَعَشَةَ خَوْفِ
أَنْتَ أَرْجَعْتَ لِابْنِ آدَمَ حَقًّا
وَعْتَاةً بَغَوْا عَلَى النَّاسِ حَتَّى
يَاحْقُوقَ الْإِنْسَانَ! هَذَا هُوَ الْحَدُّ
إِنَّهَا مِئْخَةٌ مِنَ اللَّهِ! حَقٌّ
فَاسْتَقِيمُوا لِلَّهِ نَبِينَ سَلَامًا

* * *

سِ سَلَامًا يَرْعَاهُ دِينٌ وَصِيدُ
نَا فَحَنَّتْ إِلَيْكَ مِنْهُمْ كِبُودُ
فَاطَمَأَنَّتِ إِلَى الْوَفَاءِ الْعُهُودُ
كَمْ أَضَاعَتْهُ فِتْنَةٌ وَجُحُودُ
تَاهَ فِي الدَّرْبِ جَائِعٌ وَطَرِيدُ
حَقٌّ! سِوَاهُ فَبَاطِلٌ مَرْدُودُ
لَمْ تُشْرَعْهُ عُصْبَةٌ وَعَبِيدُ
لَمْ تَخَالِطْهُ فِتْنَةٌ وَوَعُودُ

يَا رَسُولَ الْهُدَى! عَدَلْتَ وَسَاوَدَ
جَمَعَ اللَّهُ أُمَّةَ الْحَقِّ إِخْوًا
غَيْرَ أَنَّ الزَّمَانَ حَالَ فَعَادَتْ
أَشْعَلُوا الْأَرْضَ فَجَرَوْهَا بِرَاكِبِ
صَاحٍ مِنْ هَوْلٍ مَكْرَهُمْ كُلِّ جَبَا
غَيْرَ أَنَّ الْيَقِينَ يَبْقَى وَيَمْضِي

تَ فَمَا جَارَ سَيِّدٌ وَمَسُودُ
نَا فَهَبَّتْ عَزَائِمٌ وَجُهُودُ
لِلشَّيَاطِينِ دَوْلَةٌ وَجُنُودُ
نَ فَمَادَتْ ذُرًّا وَمَادَ عَمُودُ
رَ وَجَنَّ اللَّهَيْبُ «وَالْأَخْدُودُ»
مَوَكَّبُ الْحَقِّ يَجْتَلِي وَيَرُودُ

* * *

كَيْفَ أَرْقَى إِلَى مَدِيحِكَ لَكِنْ
غَلَبَ الشُّوقُ رَهْبَتِي، وَصِرَاعُ
كُلَّمَا لَجَّ فِي فُؤَادِي شُوقُ
وَإِذَا بِالْخُشُوعِ يَرْفَعُ أَشْوَا
إِنَّمَا اللَّهُ وَالرُّسُولُ هُمَا الْحُ-

غَلَبَ الشُّوقُ وَالْحَنِينُ الشَّدِيدُ
فِي فُؤَادِي يَغِيبُ ثُمَّ يَعُودُ
دَفَعَ الشُّوقُ رَهْبَتِي فَتَزِيدُ
فِي فَتَصْفُو وَتَرْتَقِي فَتَجُودُ
بُ وَلِلَّهِ وَحْدَهُ التَّوْحِيدُ

يَالدَّرْبِ شَقَّقَتْهُ «فِي سَبِيلِ الْ
مَآجِ فِيهِ مِنَ الْهَدَايَةِ نُورٌ وَسَرَايَا تَتَابَعَتْ وَحُشُودٌ

* * *

٢١ / ٢ / ١٤٠٩ هـ

٢ / ١٠ / ١٩٨٨ م

فَوْحُ الشَّعْرِ فِي مِيَادِينِ الْحَيَاةِ

- الشعر بين الجاهلية والإيمان : مع بيتين لامريء
- القيس، أنا الغني
- الأدب الإسلامي أو مهرجان القصيد
- مواكب بدر
- رؤى في الجمال
- الجمال
- زخرفٌ وحقيقة
- الجنى الحلو
- الإنسان بين الذهب والنحاس
- بحيرة طبريا
- خضراء الدَّمن
- هوى وهوان
- القاعدون
- عندما غابت الشمس
- تحية إلى شباب الإسلام
- ليميز الله الخبيث من الطيب
- أرج الميدان
- هي النجاة أدركيها (النجاة من حضارة الغرب)

الشعر بين الجاهلية والإيمان

١ - مع بيتين لامرؤ القيس :

يقول امرؤ القيس في قصيدته التي مطلعها:

أَلَا عِمَّ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلُّ البالي وهَلْ يِعْمَنُ مَنْ كان في العُصْر الخالي

يقول:

ولو أَنَّ ما أُسْعَى لأدنى معيشة كَفَّاني، ولم أَطْلُبْ، قليلٌ مِنَ المالِ
ولكنَّما أُسْعَى لمجدٍ مُؤثَّلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ المَجْدَ المُوثَّلَ أُمثالي

جمع امرؤ القيس في هذين البيتين شهوة الدنيا والسعي إلى زخرفها، فرسم الجاهلية بكل مطامحها وغرورها، وأهوائها وشروها، وكبرها وفتنتها. ومثل هذا الشعر يغرس في نفوس الناشئة مطامح الدنيا، وحب زينتها، فلا بد من توعية إيمانية حين نعرض هذا الشعر وأمثاله على الناس في ميدان التربية والبناء، أو في ميدان الأدب والنقد. ولا بد من أن تكون هذه القضية، ركناً أساسياً في أسلوب النقد الأدبي، حتى يتميز أمام الإنسان الحق من الباطل، والإيمان من الضلال. فهذه مهمة رئيسة لكل نواحي النشاط الإنساني المؤمن.

فقلت معارضاً امرأ القيس :

وَلَوْ أَنَّ ما أُسْعَى لِدُنْيا وَزُخْرُفٍ شَقِيتُ بِما أَجْنِيهِ مِنْ زُخْرُفِي بِالِ
ولكنَّما أُسْعَى لِفِرْدَوْسٍ جَنَّةٍ وَذاك بِعَوْنِ اللهِ غايَةُ آمالي

وأعدت البيتين على قافية أخرى :

وَلَوْ أَنَّ ما أُسْعَى لِدُنْيا رَحِيصَةٍ شَقِيتُ بِسَعْيِ أو رَجَعْتُ بِخُسْرانِ
ولكنَّما أُسْعَى لأَعلى بِضاعةٍ مِنَ الله: جَنَّتْ وَنَفَحَتْ رِضوانِ

١/١/١٤٠٧هـ

٢ - واقتلف الناس حول الغنى، واعتز أهل الثراء، بثرائهم، فقلت في ذلك :

أنا الغني

أنا الغني فقلبي من جواهره كنز وكفائي جود البحر والسحب
حملت من آية القرآن جوهرة ومن حديث نبي وفرّة النسب

* * *

١ / ٤ / ١٤١٠ هـ

٣٠ / ١ / ١٩٨٩ م

مهرجان القصيد

أو

الأدب الإسلامي (١)

«مَهْرَجَانِ الْقَصِيدِ» غَنَ قَصِيدِي
فَالْمَعَانِي انْتَقَيْتُهَا مِنْ جِنَانِ
وَالْقَوَافِي كَانَهَا عَبَقُ الرَّوِّ
بَيْنَ زُهْرِ الْمُنَى وَحُلُوِّ النَّشِيدِ
وَالهَوَى صُغْتُهُ مَائِرَ صِيدِ
ضِ وَنَفْحِ الْوُرُودِ بَيْنَ الْوُرُودِ

* * *

هَاهُنَا نَفْحَةٌ مِنَ الْأَمَلِ الْحُدِّ
وَلِقَاءُ يَمُوجٍ بِالنُّورِ يَجْلُو
إِنِّهِ «لَكُنُو» فَكَمْ ضَمَمْتِ نَدِيًّا
يَا حَنَانَ الْهَوَى وَصَفْوًا وَدَادِ
رَيْبِي دَارِكِ الْغَنِيَّةِ بِالشُّوِّ
وَفَيْضٌ مِنْ خَيْرِهِ الْمَمْدُودِ
مَكْرُمَاتِ الْبَيَانِ دَفَقَ الْجُودِ
مِنْ شَيْوُخٍ وَمِنْ شَبَابٍ نَجِيدِ
عَرْدِي مِنْ قَصِيدِكَ الْمَعْهُودِ
ق، بِمَجْدٍ بِمَلَحَمَاتِ الْجُدُودِ

* * *

كَمْ دَعَوْتُ الْقَصِيدَ مِنْ دَمْعَةِ الدُّدِّ
كَمْ تَلَفَّتْ فِي دُرُوبِ هَوَانِ
لِ قَالُوِي إِلَى مَكَانٍ بَعِيدِ
وَحَوَالِي أَلْفِ خَطْوٍ شَرِيدِ

(١) أقيمت في مؤتمر الأدب الإسلامي في لكهنؤ الهند الذي عُقد خلال الفترة (٢٥ - ٢٧) ربيع الثاني

١٤٠٦هـ، الموافق (٧ - ٩) كانون الثاني ١٩٨٦م.

وَبَقَايَا قَوَافِلِ مَرْقَتِهَا
رَحِمَتْهَا عَلَى الدَّرُوبِ زَوَايَا
أَفَلَّتْ مِنْ يَدَيِّ زُهْرِ القَوَافِي
وَالْمَعَانِي تَنَاطَرَتْ فِي فِضَاءِ
كِبْرِيَاءِ القَصِيدِ يَشْمُسُ عَنْ ذَلِكَ
عِزَّةً فِيهِ، إِنَّهُ أَدَبُ الإِنْسَانِ

عَضَّةُ الرِّيحِ وَالتَّطَامُ النُّجُودِ
وَرَمَتْهَا فِي غَيْبِ سُودِ
وَنَأَى اللِّحْنُ فِي بَطُونِ البِيدِ
وَاخْتَفَتْ خَلْفَ أَفْقِهِ المَسْدُودِ
لِ وَنَأَى عَنِ الهَوَى وَالجُحُودِ
لَامِ غَرَسُ الإِيمَانِ، رِيَّ المُهُودِ

* * *

يَا إِبَاءَ القَصِيدِ يَرْفَعُهُ الصَّدُ
لَا يَسِفُ الهَوَى وَلَا يَهْطُ الحَسَدُ
شَرَفَ القَوْلِ مِنْ هُدَى الحَقِّ
أَدَبُ يَرْتَوِي البَيَانَ لَدَيْهِ
رَفٌ بِالطَّيِّبِ عُوْدُهُ فَتَمَنَّى
يَنْشُرُ الجَوْهَرَ الكَرِيمَ عَلَى الدَّهْرِ
فَأَتَى الشَّاعِرُ المَدِيدُ عَلَيْهِ
فَتَمَنَّتْ مُهْفَهَفَاتُ الغَوَانِي

قُ فَيَرْقَى إِلَى مَطَافِ خُلُودِ
سُ وَلَا يَنْحِنِي لِعَضِّ قُبُودِ
سُ وَسِحْرُ البَيَانِ بِالتَّوْحِيدِ
مِنْ حَدِيثِ، مِنْ الكِتَابِ المَجِيدِ
كُلُّ رَوْضٍ نَدَاوَةٌ مِنْ عُوْدِ
رِ غَنِيًّا بِاللُّؤْلُؤِ المَنْضُودِ
صَاعَهُ مِنْ أَسَاوِرِ وَعُقُودِ
حَلِيَّةٍ حَوْلَ مِعْصَمِ أَوْجِيدِ

* * *

هُوَ رَفُّ النَّدَى عَلَى الوَرَقِ اليَا
هُوَ خَفَقُ الأَوْتَارِ بِالنَّعْمِ الحَا
هُوَ زَهْوُ الصَّبَا التَّقِيِّ وَشَوْقُ
هُوَ فِي الكَوْنِ آيَةٌ حَوْمِ المَجْدِ

بِسِ يَهْتَزُّ فِي رَبِيعِ جَدِيدِ
نِي عَلَى بَهْجَةٍ وَفَرَحَةٍ عِيدِ
مَنْ عَفَافٍ وَزِينَةٍ فِي بُرُودِ
لِدُ عَلَيْهَا فَعَادَتْ رَوَائِعًا مِنْ نَشِيدِ

* * *

يَا حَنَانَ الْقَصِيدِ، يَا لِمَسَّةِ الْإِسْدِ
يَا رِحَابَ الْأَمَانِ يَمْسَحُ ذُلًّا
يَا حِمِّيَ يَفْرَعُ الضَّعِيفُ إِلَيْهِ
يَا غَنَاءَ الْفَقِيرِ فِي مَنْهَجِ الْحَقِّ
يَا نِعْمَى الْإِنْسَانِ يَحْمِلُ مِنْهُ

* * *

لَامِ سَلْوَى الْجَزِينِ مَأْوَى الطَّرِيدِ
عَنْ جُفُونٍ وَدَمْعَةٍ عَنْ خُدُودِ
فَإِذَا فِيهِ قُوَّةٌ مِنْ أَسْوَدِ
تَقَى وَفِي دَرْبِهِ الْأَمِينِ الرَّشِيدِ
مَشْعَلًا شَقَّ مِنْ لَيَالٍ سُودِ

رَفَرَفَ الشَّوْقُ، فَانْتَقَى أَدَبُ الْإِسْدِ
وَهَبَ الْحُبُّ عِنْدَهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى
فَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ سِوَاهُ
رَجَّعِي يَادُنَا جَلَالَ هَوَانَا
أَنَا عَبْدٌ لَلَّهِ مَا أَعْظَمَ الْحُبَّ
يَا أَهَازِيحُ يَا نَشِيدَ اللَّيَالِي
أَنَا بِالْحُبِّ نَشْوَةٌ فِي فَمِ الدَّهْرِ

* * *

لَامِ مِنْهُ قُمْرِيَّةَ التَّغْرِيدِ
رَى وَأَغْنَى قُدْسِيَّةَ التَّرِيدِ
هِيَ أَعْلَى هَوَى وَأَحْلَى نَشِيدِ
وَاسْجُدِي وَانْعَمِي بِهَذَا السُّجُودِ
سَبِّ وَأَغْنَاهُ بِالْيَقِينِ الشَّدِيدِ
رَجَّعِي اللَّحْنَ أَوْ أَعِيدِي قَصِيدِي
رِرْ وَلَحْنٌ مِنَ الْهَوَى الْمُنْشُودِ

يَا عَطَاءَ الْإِسْلَامِ يَا نَفْحَةَ الْإِيْبِ
أَدَبُ شَعِّ فِي اللَّيَالِي مَعَ الْعَزْ
كَمْ جَلَاهُ عَلَى الْمَيَادِينِ فُرْسَا
فَانْهَضِي يَارَوَائِعِ الشُّعْرِ هَذِي
أَنْتِ فِي ذِرْوَةِ الْبَيَانَ عَطَاءَ

* * *

مَانَ يَادِرَّةَ الْعَطَاءِ الْفَرِيدِ
مَ زَكَ عِطْرُهُ دَمًا مِنْ شَهِيدِ
نُ وَغَتَّتْهُ وَثْبَةٌ مِنْ صِيدِ
سَاحَةً زَغْرَدِي لَهَا وَأَعِيدِي
زَاخِرُ بِالْهَدَى وَأَبْحُرُ جُودِ

يَادِيَارَ الْإِسْلَامِ جُنَّتْ رَبَاهَا
أَطْلُقِي دُونَهُ الْبَرَائِكِينَ، صَبِّي

بَيْنَ عَادِ مَرُوعِ وَحَسُودِ
حِمْمًا، زَلْزَلِي الْقَوَاعِدَ، مَيْدِي

فَوَقَّهَ مِنْ قَنَابِلِ وَحَدِيدِ
يَكُ شِعْرِي قَدَائِفًا مِنْ وَقُودِ
أَوْ خَلَا السَّاحَ مِنْ هَوَى صِنْدِيدِ
كَالَّذِي رَفَّ فِي رَبِيعِ جَدِيدِ

* * *

نَزَعَتْ عَنْ مَضَاجِعِ وَمُهُودِ
خَاطِفَاتٍ بَقِيَّةً مِنْ كُبُودِ
حُجِّ فَمَا جَتَّ عَلَى لَهَبِ النَّشِيدِ
«ن» ذَوِيًّا فِي يَوْمِهَا الْمَشْهُودِ
ضُ لَهِيًّا وَأَرَعَدَتْ بِالْجُنُودِ

* * *

بَيْنَ كَأْسِ مُحَطَّمٍ أَوْ غِيدِ
رِ لَخْصِرٍ مُهْفَهَفٍ وَنُهُودِ
بَيْنَ أَحْضَانِهِ جُفُونِ الْعَبِيدِ
كَاذِبٍ أَوْ زَخَارِفِ وَوُعُودِ
أَدْبُ الضَّاعِ الشَّقِيِّ الْجَحُودِ
أَدْبُ الْحَقِّ شُعْلَةً فِي الْوُجُودِ

* * *

وَاعْصِفِي غَضَبَةَ الْأَعَاصِيرِ، وَارْمِي
لَسْتُ بِالشَّاعِرِ الْمُدَّلِّ إِذَا لَمْ
وَإِذَا مَا أَنْطَوَى عَلَى الْغَمْدِ سَيْفُ
سَوْفَ يَمْضِي عَلَى الطَّرِيقِ قَصِيدِي

يَا أَدِيبَ الْإِسْلَامِ أَيْنَ السَّرَايَا
أَيَقُظَّتْهَا صَوَاعِقُ مِنْ نِدَاءِ
دَفَعْتَهَا إِلَى النَّزَالِ أَهَازِي
وَجَلَّتْهَا عَلَى بَطَاحِ «فِلَسْطِينِ»
وَعَلَى «كَابِلِ»، وَزَمَزَمَتِ الْأَرْ

أَدْبُ التَّائِهِينَ لَيْلٍ وَخَمْرُ
حِينَ يَغْفُو الْقَصِيدُ فِي خَدْرِ السُّكْرِ
أَدْبُ ذَلِّ فِي الْفُجُورِ وَنَامَتْ
يَتَوَارُونَ خَلْفَ سِحْرِ شِعَارِ
سَمَّ مَا شِئْتِ مِنْ مِثَالِ فَهَذَا
سَوْفَ يَفْنَى مَعَ الزَّمَانِ وَيَبْقَى

١٤٠٦/٤/٢٠ هـ

١٩٨٦/١/١ م

مواكب بدر

في السابع عشر من رمضان سنة ١٤٠٨هـ، الموافق الثالث من نيسان (إبريل) سنة ١٩٨٨م، دعاني الأخ أحمد الخاني لمنزله، وقد دعا عدداً من رجال الفكر والأدب والشعر، الأساتذة: عبدالعزيز الرفاعي، الدكتور عبدالعزيز الثنيان، الفريق يحيى عبدالله المعلمي، الدكتور إبراهيم أبو عباة، الدكتور عبدالرحمن العشماوي، الدكتور عبدالعزيز المسعود، محمد منير الجنباز، سناء شيبة الحمد، أحمد سالم باعطب، أحمد يحيى البهكلي، فيصل محمد الحجي، فتحي الدويك، عوض حسين الشالدة، وكان يدير الجلسة عبدالكريم الخطيب.

وكان الإسلام والأدب الإسلامي محور الحديث، ودور الأدب الإسلامي في الردّ على المدارس الأدبية المنحرفة ومذاهبها المتعددة. وكان الندوة كانت تهدف مع ذكرى هذا اليوم العظيم، ذكرى موقعة بدر انطلاقة مدرسة أدبية شعرية تردّ على الأدب المنحرف وشعره، وتنطلق من ظلال معركة بدر الكبرى وأثارها العظيمة في التاريخ البشري، ولتُسمّى «مدرسة بدر».

ومع هذه الذكرى الطيبة العبة، في هذه الأمسية النديّة، كان أطيّب ما نتعلمه هو محاسبة النفس حتى نطلّ نتزوّد بصفاء الإيمان والتوحيد، وصدق الولاء لله سبحانه وتعالى والعهد معه، والتوجّه بعملنا كلّ صغيره وكبيره إلى الله العليم الخبير، حتى لا تشوبه شائبة من شوائب الدنيا، ولا تنحرف نيّة، ولا ينخدع مؤمن بزُخرفِ كاذبٍ، ومتعّةٍ عاجلة، وزهوة من خُضرة الدنيا، فلا يظلم ولا يفسد.

في هذه الأمسية الغنيّة النديّة شارك جميع الإخوة في حوار جميل وآراء غنية،

وشاركت كذلك في إبداء رأيي في الأدب الإسلامي والشعر وقدمت هذه القصيدة في تلك الأمسية، مع التحية والشكر للأخ الكريم أحمد الخاني صاحب الدعوة، والأساتذة الأجلاء الذين أغنوا الأمسية بالرأي والفكر، والشعر والأدب.
ولا ننسى المائدة الشهية بعد ذلك.

مواكب بدر

زَهَرَتْ بِالْقَصِيدِ وَالْمَهْرَجَانِ
مِنْ فَعَالٍ وَرَقَّةٍ مِنْ بَيَانِ
لِ وَسْرِي بَيْنَ الضُّلُوعِ الْحَوَائِي
رِي وَدَفَقُ مِنْ رَحْمَةٍ وَحَنَانِ
فِي الدِّيَابِيرِ خُطُوءُ الْإِنْسَانِ
شَعَّ مِنْ جَوْهَرِ كَرِيمِ الْمَعَانِي
تَكَ حُرِّيَّةً لَصَدَقِ لِسَانِ
يَكُ أَغْلَاهُ آيَةٌ مِنْ بَيَانِ

* * *

بَيْنَ أَوْحَالِنَا خُطَا الْفُرْسَانِ
تَأْ فَمَاتَتْ فِي غُصَّةٍ وَهَوَانِ
دُفِنَتْ بَيْنَ مُجْرِمٍ وَجَبَانِ
بَيْنَ أَحْنَائِنَا، وَصَفُو الْأَمَانِي
عِزَّةً أَوْ يُعِيدُ مِنْ إِيْمَانِ

* * *

وَمَضَى الْحَرْفُ مِنْ هُدَى وَجِنَانِ
رُ شَتِيَتِ الْأَهْوَاءِ وَالْأَشْجَانِ

طَوْفِي حَيْثُ شِئْتَ هُنْدِي الْمَعَانِي
يَا لِنَفْحِ الْإِيْمَانِ يَنْشُرُ طَيْباً
يَا لِنُورِ يَشُقُّ مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ
يَا لَهَا خَفَقَةٌ مِنَ الْكَيْدِ الْحَا
أَسْعَفِينَا فَكَمْ ضَلَلْنَا وَتَاهَتْ
أَسْعَفِينَا بَابِيَةً مِنْ بَيَانِ
كُلُّ حُرِّيَّةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ
كُلُّ حُسْنٍ يَمُوتُ فِينَا إِذَا لَمْ

كَمْ سَقَطْنَا وَمَا نَهَضْنَا فَأَهْوَتْ
كَمْ خَنَقْنَا عَلَى الْحَنَاجِرِ أَصْوَا
الْحُرُوفِ الْخَرَسَاءِ ذُلٌّ وَمَوْتُ
لَهْفَةٌ الشُّوقِ لَمْ تَزَلْ تَتَعَالَى
أَسْعَفِينَا بِرُوعَةِ الْحَرْفِ يَجْلُو

كَمْ عَدُوٌّ تَرَاهُ يَقْتُلُ فِينَا
يَالِدُلَّ الْإِنْسَانَ يَطْرَحُهُ الْكُفَّ

يَا عَيْبِدَا يَسُوقُهَا السُّوْطُ فِي الْأَرْ
سَرَقُوا الْوَمِضَةَ الْغَنِيَّةَ لَكِنْ
سَرَقُوا الْعَطْرَ ثُمَّ وَلَوْا وَلَكِنْ
كُلَّمَا أَوْغَلَ الْجَبَانَ بِظُلْمٍ

* * *

ضِرِّ فَتَمْضِي هُنَاكَ كَالْقَطْعَانِ
أَشْرَقَتْ رَغْمَ ذَاكَ مِنْهَا الْيَدَانِ
نَثَرَتْهُ الْخَطَا بِكُلِّ مَكَانٍ
جَعَلَ اللَّهُ فُرْجَةً مِنْ أَمَانٍ

يَا لِدُلِّ الْعَبِيدِ تَرَكَعٌ فِي دُنْ
كُلِّ يَوْمٍ لَهُمْ إِلَهٌ جَدِيدٌ
نَحْتُوهُ مِنَ الْخُرَافَةِ وَالْجَهْلِ
كُلِّ يَوْمٍ لَهُمْ مَذَاهِبٌ شَتَّى
ثُمَّ سَمَوْهُ فَلَسَفَاتٍ وَفِكْرًا
فِتْنَةٌ أَشْعَلَتْ أَبَالِسَةَ الْأَرْ
فَدَعَوْهَا يَا قَوْمِ! أَيُّ فَسَادٍ
لَا تُرَاعِي يَا نَفْسُ! هُمْ جُبْنَاءُ

* * *

يَا «أَبُولُو» فِي زَحْمَةِ الْأَوْثَانِ
يَا لِدُلِّ الْأَرْيَابِ وَالْعُبْدَانِ
لِ وَصَاغُوهُ مِنْ هَوَى فِتَانِ
مِنْ ضَلَالِ الْيُونَانِ وَالرُّومَانِ
بَيْنَ جُورِ الضَّلَالِ وَالْبُهْتَانِ
ضِرِّ لَظَاهَا تَمُدُّ مِنْ نِيرَانِ
لِبْنَاءِ الْأَجْيَالِ وَالْأَوْطَانِ
مَا أَذَلَّ الْجَبَانَ عِنْدَ الْجَبَانِ

هَا هُنَا نَفْحَةُ النُّبُوَّةِ مِنْ بَدْ
هَا هُنَا تُصْنَعُ الرِّجَالُ وَتَبْنَى
يَا لَبَدْرًا وَيَا لِمَعْرَكَةٍ تَمَّ
يَنْحِي عِنْدَهَا الزَّمَانُ فَيَلْقَى
فِي مِيَادِينِهَا تَمُوجُ اللَّيَالِي
وَالنِّطَامُ الزُّحُوفِ، حَمَحَمَةُ الْخَيْبِ
عَبْقَرِيَّ الْجِهَادِ مِنْ عَزْمَةِ الشُّوْ
عَبَقُ الْمَجْدِ كُلُّهُ فِي الثَّنَايَا

ر وَهَذَا مَلَا حِمُّ الْفُرْقَانِ
أُمَّةً بَيْنَ آيَةٍ وَسِنَانِ
ضِرِّ مَضَى الدُّهُورِ وَالْأَزْمَانِ
شُعْلًا مِنْ عَزَائِمِ الْإِيمَانِ
وَدَوِيٍّ مِنْ آيَةٍ وَأَذَانِ
لِ، نِدَاءُ الرَّحْمَنِ لِلْإِنْسَانِ
قِ، وَمِنْ مُهَجَةٍ، وَمِنْ إِحْسَانِ
فِي ذُرًّا أَشْرَقَتْ وَفِي وُدْيَانِ

كُلُّ شَيْءٍ مُضْمَعٌ بِدِمَائِهِ
هَا هُنَا يُرْفَعُ الْقَصِيدُ وَيُنَى
أَدَبٌ يَرْتَوِي الْبَيَانَ لَدَيْهِ
هُوَ نَبْعٌ مِنَ الْهَدَايَةِ، فَيَضُ

كُلُّ سَاحِ زَهْوِ الرَّبِيِّ وَالْمَغَانِي
أَدَبٌ مُلْهِمٌ وَفِيضٌ مَعَانِي
مِنْ حَدِيثِ الرَّسُولِ، مِنْ قُرْآنٍ
مِنْ وِفَاءٍ، وَخَفَقَةٍ مِنْ جَنَانٍ

* * *

طَابَ لِي عِطْرُهَا! فَكَمْ رَفَّ مِنْهَا
خَشَعَتْ أَضْلَعِي لِأَيْتِهَا الْكَبْرُ
هَاجَنِي الشُّوقُ مِنْ هَوَى قَتْلِ
أَيْنَ أَمْجَادِ أُمَّتِي؟! كَيْفَ تَرْضَى
هَا هُنَا تَزْخُرُ الْبُطُولَاتُ فِي النَّأِ
فَتَنَاوَلْتُ مِنْ هُنَاكَ مِنَ النَّأِ
جَوْهَرَ الْمَجْدِ أَوْ لَالِيَاءِ فَتَحَ
وَوُدُوداً تَفْتَحَتْ وَزُهُوراً
فَإِذَا كُلُّهَا تَجَمَّعَ آيَاءُ
لَمَحَّةٌ تَجْمَعُ الْفَرَائِدَ مِنْ بَدْرِ
لَا تَغْيِي عَنَّا مِيَادِينَ بَدْرِ
وَيْبِي يَا مَوَاكِبَ الْحَقِّ طُوفِي
وَأُضِدِّي اللَّهَ! وَاظْلُبِي الْجَنَّةَ لَا الدُّنَى
إِنَّ أَعْلَى الْبَيَانِ دَفَقَ دِمَائِهِ
كُلُّ حَرْفٍ يَصُوغُهُ دَمٌ حُرٌّ

عَبَقُ الصِّدْقِ أَوْ شَذَا الْإِحْسَانِ
رَى وَإِشْرَاقِ جَوْلَةٍ وَطَعَانِ
فَتُّ! وَنَادَيْتُ: أَيْنَ عَزْمُ الْبَانِي
سُونَ «أَبُولَو» وَدَعْوَةٌ مِنْ هَوَانِ
رِيحٍ مِنْ صَادِقِ الْوَفَاءِ وَحَانِ
رِيحٍ، مِنْ رَوْضَةِ وَمِنْ بُسْتَانِ
أَوْ عَقُوداً مَنْظُومَةً مِنْ جُمَانِ
عَبَقَتْ بِالشِّدَا، وَنَفَحَ جِنَانِ
فِي فُؤَادِ حَانٍ وَفِي وَجْدَانِ
رٍ وَمِنْ وَثْبَةٍ وَزَهْوِ يَمَانِ
أَطْلِقِي مِنْ مَوَاكِبِ وَعِنَانِ
بَيْنَ نَضْرٍ وَبَيْنَ صِدْقِ الْأَمَانِي
يَا وَلَا زُخْرَفِ الْحَيَاةِ الْفَانِي
فَجَرَّتْهَا مَوَاقِعُ الْإِيمَانِ
هُوَ نُورٌ يَسْرِي مَعَ الْأَرْمَانِ

* * *

لَفْتَةٌ مِنْكَ يَا أَخِي رَفٌّ مِنْهَا الـ
لَفْتَةٌ حُلُوءٌ وَمَدْرَسَةٌ كُتُبُ
وَكَأَنِّي أَرَاكَ! قَمْتًا! تَلَفُّ
انْهَضُوا! أَدْرِكُوا الْبَيَانَ وَصُونُوا
وَدَعِي أُمَّتِي مَذَاهِبَ يُونَا
وَانْهَضِي! هَذِهِ مَدَارِسُ بَدْرِ
كَمْ رَمَى الْحَقْدُ وَالتَّحَاسُدُ فِينَا
لَكَ مِنِّي تَحِيَّةٌ يَا أَخِي أَحـ

الثلاثاء

* * *

١٧/٩/١٤٠٨ هـ

١٣/٥/١٩٨٨ م

رُؤْيٌ فِي الْجَمَالِ

قال الشاعر الزنديق المشعوذ عطاء الخراساني الملقب بالمقنع الخراساني :
 خَلَقْتَ الْجَمَالَ لَنَا فِتْنَةً وَقُلْتَ لَنَا يَا عِبَادِي اتَّقُونُ
 فَأَنْتَ جَمِيلٌ تُحِبُّ الْجَمَالَ فَكَيْفَ عِبَادُكَ لَا يَعْشَقُونَ

وقال الشاعر المسلم عمر بهاء الأميري مُعارضاً:

خَلَقْتَ الْجَمَالَ لَنَا نِعْمَةً وَقُلْتَ لَنَا يَا عِبَادِي اتَّقُونُ
 وَإِنَّ الْجَمَالَ تَقَى وَالتَّقَى جَمَالٌ وَلَكِنْ لِمَنْ يَفْقَهُونُ
 فَذَوْقُ الْجَمَالِ يُصَفِّي النُّفُوسَ وَيَحْبُو الْعُيُونَ سُمُو الْعُيُونَ
 وَإِنَّ التَّقَى هَاهُنَا فِي الْقُلُوبِ وَمَا زَالَ أَهْلُ التَّقَى يَعْشَقُونَ
 وَمَنْ خَامَرَ الْعَشْقَ أَخْلَاقَهُ تَأْتِي الصَّغَارَ وَعَافَ الْمَجُونُ

نشرت إحدى الصحف الأبيات السابقة للخراساني وللأستاذ الأميري ، فقلت معارضاً:

خَلَقْتَ الْجَمَالَ لَنَا آيَةً يُمَحِّصُ فِيهَا الْهَوَى وَالْيَقِينَ
 فَكَمْ مِنْ جَمَالٍ بِهِ فِتْنَةٌ فَيُضِلُّ عَلَى نَارِهَا الْمَاجِنُونَ
 وَكَمْ مِنْ جَمَالٍ بِهِ رَحْمَةٌ حَيْنُ الْقُلُوبِ وَشَوْقُ الْعُيُونَ
 وَأَجْمَلُ آيَاتِهِ أَنَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَالطُّهْرُ أَنِّي يَكُونُ
 وَفِي كُلِّ نَاحِيَةٍ نَفْحَةٌ مِنْ الْحُسْنِ أَوْ آيَةٍ مِنْ حَيْنِ
 تَدُلُّ عَلَى أَنَّكَ اللَّهُ هُوَ رَبُّ الْخَلَائِقِ وَالْعَالَمِينَ
 وَلَيْسَ يَرَاهَا سِوَى مُحْسِنٍ وَلَيْسَ يَرَاهَا سِوَى الْمُتَّقِينَ
 وَأَنْتَ جَمِيلٌ تُحِبُّ الْجَمَالَ فَكُلْتُ لَنَا يَا عِبَادِي اتَّقُونُ

* * *

٥ / ٥ / ١٤٠٨ هـ

٢٥ / ١٢ / ١٩٨٧ م

وخطر لي بعد مدة أن أتحدث عن الجمال بصورة أوسع تنبع من الإيمان والتوحيد
فقلت القصيدة التالية :

الجمال

خَلَقْتَ الْجَمَالَ لَنَا آيَةً
وَأَبْدَعْتَ فِي الْكَوْنِ مَا تَجْتَلِي
وَزَيَّنْتَهُ! يَا لِهَذَا الْجَمَالِ
فَتَخَشَعُ فِي نُورِهِ أَضْلَعُ
تَطُوفُ الْقُلُوبُ بِهَا وَالْعُيُونُ
عُيُونٌ وَمَا هُوَ سِرٌّ دَفِينٌ
وَهَذَا الْجَلَالُ وَهَذَا الْحَيْنِ
وَتَخَفُقُ أَشْوَاقُهَا وَالشُّجُونُ

* * *

فهذي السَّمَاءُ وَأَفَاقُهَا
فَكَمْ بَصَرٍ عَادَ مِنْهَا حَسِيرًا
وَعَيْبٌ وَرَاءَ وَثُوبِ الْخِيَالِ
فُطِفَ حَيْثُ شِئَتْ فَأَيَاتُهَا
بُرُوجٌ تَزِينُ لِلنَّاطِرِينَ
عَلَى خَشْيَةٍ وَهَمٌّ مُشْفِقُونَ
عَصِيٌّ عَلَيْهِ وَسَقْفٌ مَتِينٌ
جَلَالُ الْمَدَى وَجَلالُ الْقُرُونِ

* * *

وهذي هي الْأَرْضُ كَمْ جَنَّةٍ
وَرَوْضٍ تَنْفَسُ عَنْهُ الصَّبَاحُ
وَطَيْرٍ كَانَ رَفِيفَ جَنَاحَيْهِ
يُسَبِّحُ اللَّهَ فِي مَوْكِبِ
تَفَجَّرُ بَيْنَ جَنَاهَا الْعُيُونُ
شَدًّا مِنْ وُدُودٍ وَمِنْ يَاسَمِينِ
رَفُّ الْبُكُورِ وَهَمْسُ الْغُصُونِ
جَلِيلٍ وَحَشْدٍ مِنَ الْخَاشِعِينَ

* * *

وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ تَشَقُّ دُرَاهَا
وَكَمْ أَبْحُرٍ غَيْبَ اللَّهُ فِيهَا
عَنَانَ السَّمَاءِ وَسَهْلٍ يَلِينُ
غُيُوبًا وَأَطْلَقَ فِيهَا السِّفِينُ

وَنَهْرٌ .. تَدْفُقُ أَمْوَاهُ
يُرْوِي الْحَيَاةَ وَيُغْنِي الْقُرُونَ
يُزِينُهَا اللَّهُ كَيْفَ يَشَاءُ
وَيَمْنَحُهَا عَبَقْرِيَّ الْفُنُونَ

* * *

وَأَنْشَأَتْ مِنْ زِينَةٍ فِي الْحَيَاةِ
وَتَبَلَّوْا مِنْهَا حَبَايَا الصُّدُورِ
فَكَمْ زِينَةٍ سَعَرَتْ فِتْنَةً
وَكَمْ زِينَةٍ رَفَّ فِيهَا الْجَمَالُ
فَزِينَةُ هَذَا الْحَيَاةِ رِيَاشُ
يُبَدِّلُهَا النَّاسُ فِي سَعِيهِمْ
فَكَمْ جَاهِلٍ ضَلَّ فِي غِيٍّ
وَلَهُوَ الْحَرَامُ عَلَى شَهْوَةٍ
لِتَبَلَّوْا مِنْهَا الْهَوَى وَالْيَقِينَ
وَتَجَوَّى الْقُلُوبَ وَهَمَسَ الْجُفُونَ
تَلَطَّتْ عَلَى شَهْوَةٍ أَوْ مُجُونُ
يُطَهِّرُ أَشْوَاقَنَا وَالْحَنِينَ^(١)
وَزَهْوَةَ مَالٍ وَشَوْقَ الْبَيْنِ
شُكُورَ التَّقَى أَوْ جُحُودَ الْفُتُونِ
فَطَنَّ الْجَمَالَ هَوَى الْمُعْتَدِينَ
تَوَائِبُ بَيْنَ غَوَانٍ وَعَيْنِ

* * *

رَفِيفُ الْجَمَالِ نَوَالِ الْحَلَالِ
وَأَجْمَلُ آيَاتِهِ أَنَّهُ
وَنُورٌ تَدْفُقُ مِلءَ الْوُجُودِ
وَحَرِيَّةٌ أَطْلَقَتْ أَنْفُسًا
وَصِدْقُ الْوَفَاءِ وَعَهْدُ أَمِينِ
هُوَ الْحَقُّ وَالطُّهْرُ أَنَّى يَكُونُ
يُزِيحُ الظَّلَامَ وَيَنْفِي الظُّنُونَ
لِتَمْضِيَ فِي مَوْكِبِ الْعَابِدِينَ

* * *

سَيِّقَى الْجَمَالِ لَنَا آيَةٌ
وَيَقَى هَوَانَا هَوَى الصَّادِقِينَ
يَرَى اللَّهُ فِي صِدْقِهَا الْعَالَمُونَ
فَمَا الْحُبُّ إِلَّا هَوَى الصَّادِقِينَ

(١) إشارة إلى أن كلمة زينة ترد في القرآن الكريم لتدل على الزخرف العام، فإن كان طاهراً إيمانياً ترد لفظة الجمال، وإن كان شراً ترد لفظة «فتنة».

وَمَا الْحُبُّ إِلَّا زَكِيَّ الْجَمَالِ نَقِيَّ الْفَعَالِ وَفَاءَ وَدِينِ
وَمَنْ عَرَفَ الْحُبَّ لِلَّهِ عِلْمَهُ الْحُبُّ تَرَكَ الْمُجُونَ

* * *

فَفِي كُلِّ نَاحِيَةٍ آيَةٌ مِنَ الْحُسْنِ تُجَلَى وَحَقُّ يَبِينُ
تَدُلُّ عَلَى أَنَّكَ الْوَالِدُ وَالْعَالَمِينَ
وَلَيْسَ يَرَاهَا سِوَى مُؤْمِنٍ وَلَيْسَ يَرَاهَا سِوَى الْمُتَّقِينَ
وَأَنْتَ جَمِيلٌ تُحِبُّ الْجَمَالَ فَقُلْتَ لَنَا يَا عِبَادِي اتَّقُونُ

* * *

٤ / ٦ / ١٤٠٨ هـ

١ / ٢٣ / ١٩٨٨ م

زخرف وحقيقة

كنت في زيارة للمسجد الأحمر في دلهي - الهند - أثناء أحد المؤتمرات . ولقد رأيت هناك من مظاهر الفقر والجوع والعري بين المسلمين ما تقشعر منه الأبدان . وأقبل علينا الصبيّ والفتى والكهل والشيخ ، يَحْتُونُ الخطأ . ورأيت بين هؤلاء رجلاً هرمًا بانَتْ أضلاع صدره وتهدّل ذراعه وضمير بطنه على عجز وسوء حال .

لم تفارقني هذه الصورة وألحّت عليّ . فما كنت أعتقد قبل ذلك أن الإنسان ظالم إلى هذه الصورة المفجعة . أين الدولة؟ أين المسلمون؟ أين الإنسان؟! وعلى غير موعد خرجت هذه الأبيات تمثّل حواراً تخيلته دار بيني وبين ذلك الرجل

الهرم!

مَدَدْتُ يَدِي كَيْمَا أَجُودُ بِدِرْهَمٍ عَلَيْهِ فَحَيَّانِي وَيَسَّ وَأَقْبَلَا
عَلَيْهِ بَقَايَا مِنْ ثِيَابٍ وَخِرْقَةٍ أَغَارَ عَلَيْهَا الدَّهْرُ ثُمَّ تَحَوَّلَا
وَقَدْ بَرَزَتْ مِنْهُ الْعِظَامُ! عَرَفْتَهَا! عِظَامُ! وَلَكِنْ رَابَ نَفْسِي وَأَذْهَلَا
بَقَايَا! وَأَشْبَاحُ! وَشَيْءٌ! فَبَعْضُهَا تَوَارَى وَمِنْهَا مَا أَظَلَّ وَبَدَلَا
عَرَفْتُ مِنَ الْأَخْنَاءِ صَدْرًا مُنْسَقًا وَمِنْ سَاعِدَيْهِ خِلْتُ شَيْئًا تَهْدَلَا
وَمِنْ وَهْنِ السَّاقِينِ أَشْبَاهَ هَيْكَلٍ وَنِطْنًا رَمَاهُ الدُّعْرُ دَهْرًا فَاجْفَلَا

* * *

فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جَهْلَتْنِي وَإِنِّي أَنَا الْإِنْسَانُ أَضَلًّا وَمَنْزَلًا
أَبِي آدَمَ! خَرَّتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ سُجُودًا لَهُ! مَنْ كَانَ أَعْلَى وَأَفْضَلًا!
وَكَرَّمَنِي رَبِّي! فَيَا لَفِضِيلَةٍ وَصَبْرِي عَلَى مَا قَدْ قَضَاهُ وَعَجَلَا

طَغَى ظَالِمٌ فِيهَا فَادَى وَعَظَلَا
وَأَطْلُبُ فِي الْأُخْرَى نَجَاةً وَمَوْتَلَا
وَأُنْكَرْتَنِي؟ هَلَّا عُرَفْتِكَ أَوْلَا؟!
وَطِيبٌ! فَمَا أَحْلَى الثِّيَابِ وَأَجْمَلَا!

* * *

سَمِعْتُ مَقَالًا مَا أَجَلُّ وَأَعْدَلَا!
وَلَا سَأَلْتُ نَفْسِي السُّؤَالَ الْمُؤْمَلَا
عَلِمْتُ بِأَنِّي كُنْتُ أَعْيَا وَأَجْهَلَا

* * *

١٤٠٨/٦/١٠هـ

١٩٨٨/١/٢٩م

وَأَسْمَى جِهَادًا فِي الْحَيَاةِ وَرِيْمَا
وَأَمْضِي مَعَ الدُّنْيَا أُودِّي أَمَانَةً
وَلَكِنْ تُرَى مَنِ أَنْتَ؟ فِيمَ سَأَلْتَنِي
عَلَيْكَ ثِيَابٌ قَدْ تَخَفَّيْتَ خَلْفَهَا

فَعِرْتُ وَلَمْ أُدْرِ الإِجَابَةَ! عَلَّنِي
وَمَا كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ فَكَّرْتُ مِنْ أَنَا
ظَنَنْتُ بِهِ جَهْلًا فَلَمَّا سَمِعْتُهُ

الجنس الحلو

يَقْتَنِي زَادَهُ مِنْ جَنَى عُمَرِهِ
 لِلْمُنَى أَزْهَرَتْ فِي رُؤْيِ فَجْرِهِ
 نَفْسُهُ أَنَّهُ فِي حِمَى نَصْرِهِ
 وَهُوَ لَهِ فِي السَّرِّ أَوْ جَهْرِهِ
 مِنْ نَدَى سَعِيهِ أَوْ نَدَى ذِكْرِهِ
 دَفَعَةَ الْعَزْمِ فِي الْيُسْرِ أَوْ عُسْرِهِ
 ضَلَّ فِي سَعِيهِ أَوْ أَسَى صَبْرِهِ
 وَالضِّيَاءِ الَّذِي شَعَّ مِنْ طَهْرِهِ
 مِنْ مُحْيَا مَعَ الْفَيْضِ مِنْ نَوْرِهِ
 وَأَنْتَشَى دَرِيئَهُ مِنْ شَذَا عَطْرِهِ
 يَطْلُعُ الْبَشْرُ فِيهَا عَلَى دَهْرِهِ
 مُثْمِرٌ قَدْ زَكَ الطَّيْبُ مِنْ زَهْرِهِ
 كَيْ يَرَى رَحْمَةَ اللَّهِ فِي قَبْرِهِ
 فِي رِضَا نِعْمَةٍ أَوْ أَسَى فَقْرِهِ

رُبَّ سَاعٍ مَضَى جَدًّا فِي سَعِيهِ
 يَدْفَعُ الْخَطْوُ فِي دَرْبِهِ صَاعِدًا
 مُؤْمِنًا...! رَبُّهُ اللَّهُ قَدْ أَيَقَنْتُ
 فَهُوَ اللَّهُ فِي كُلِّ مَا قَدْ سَعَى
 بَلَّلَ الْأَرْضَ وَالْأَفْقَ وَالْمَجْتَنَى
 جَدًّا... وَاللَّهُ يُعْطِي لِمَنْ خَصَّهُ
 يَحْسَبُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ أَنَّهُ
 لَمْ يَزَلْ وَجْهَهُ مُشْرِقًا بِالْهُدَى
 بِسَمَةِ الْأَمْنِ... أَوْ طَلَعَةَ أَشْرَقَتْ
 وَالرِّيَّاحِينَ كَمْ فَوَّحَتْ حَوْلَهُ
 آيَةُ الْحَقِّ فِي قَلْبِهِ جَوْلَهُ
 وَالْجَنَى الْحُلُوُّ مِنْ غَرْسِهِ مُورِقُ
 لَمْ يَزَلْ يَجْمَعُ الزَّادَ فِي دَرْبِهِ
 حَبْدًا الزَّادَ زَادًا رَأَى خَيْرَهُ

* * *

٤/١٢/١٤٠٥هـ

٢٠/٨/١٩٨٥م

الإنسان بين الذهب والنحاس

الذهب:

أنا الذهبُ الغالي، فأبي مكانة
أنا الجوهرُ الصافي وما بي شوائبُ
مكانتي تيجانُ الملوكِ وحليّةُ
وأنت مع الأوسابِ تلقى وتزدرى
ويغني بي الرحمن من شاء بهجةً
ويفقر إن أدبرتُ صاحبُ حاجةٍ
تنافسني فيها وأنت نحاسُ
وأنت مع الأخلاطِ منك جناسُ
ويزهو بحسني معصمٌ ولباسُ
وترمى على أعتابها وتداسُ
ويسعدُ بي قلبٌ ويذهبُ بأسُ
ويشقى بيعدى أمةً وأناسُ

* * *

النحاس:

رؤيدك! هل غرتك خطفةُ لمعةٍ
أغرّك حُسنٌ كم فتنت به الورى
فلولآك ما هاجت حروبٌ ولا طفت
إذا ارتنت منك السلاطينُ إنما
ولكنني خيرٌ على كلِّ حالةٍ
أسدٌ مع الأخلاطِ حاجةُ أمةٍ
فأني في «الماعون» صلبُ قوامه
ومن يمنع «الماعون» يجز بشره
وبي زينةٌ لا يرهق الناسَ حملها
ومضةٌ حُسنٍ أو بريقُ ثناءٍ
وقطعت من ودِّ وحبلِ إخاءٍ
شُرورٌ ولا هاجت بحورُ دماءٍ
تزين شهواتٍ ويعنى ثراءٍ
لذي ثروةٍ إن شئت أو فقراءٍ
وأدفع عنها من شرورِ بلاءٍ
وفي غيره عونٌ وكفٌ سخاءٍ
ومن يعطه يرجع بخيرِ جزاءٍ
وما أنا فتانٌ ولا بمراثي

* * *

الذَّهَبُ:

وَمَا أَنَا إِلَّا شَعْلَةٌ فِي الدِّيَاغِرِ
تَمُورُ بِبُرْكَانٍ مِنَ الشَّرِّ نَائِرِ
وَتَمْضِي عَلَيْهِ مِنْ صُرُوفِ الْمَقَادِرِ
مِنَ الْحَسَدِ الْقَتَالِ فَارْجِعْ وَحَادِرِ
لِتُخَدَعَ مِنْ غِرِّ شَقِيٍّ وَعَائِرِ
عَلَى قَدْرِ اللَّهِ لَيْسَ بِجَائِرِ
عَلَى حِكْمَةِ غَلَابَةِ وَمَصَائِرِ
لَهَانَتْ أُمُورٌ أَوْ نَجَا مِنْ كِبَائِرِ
إِذَا نَالَهَا فِي صِدْقِهِ وَالْمَائِرِ
لِعَزٍّ عَلَى خِصْمٍ وَطَابَ لِذَاكِرِ
مَنَازِلُ فَضْلٍ أَوْ مَنَازِلُ خَاسِرِ

أَتَحْسَبُ جَهْلًا أَنَّنِي بَرَقَ فِتْنَةٍ
وَلَكِنَّهُ الْإِنْسَانُ صَاحِبُ شَهْوَةٍ
فِيئَلَى بِمَا تَجْنِي يَدَاهُ وَيَبْتَلَى
كَأَنَّكَ قَدْ أُوتِيتَ مِثْلَ ابْنِ آدَمِ
أَتَلْبَسُ مِنْ ثَوْبِي وَتُومِضُ وَمُضْتِي
مَنَازِلُ تَبْلُوهَا الْمَعَادِنُ كُلُّهَا
خُلِقْنَا، فَيَمْضِي اللَّهُ سُنَّةَ خَلْقِهِ
وَلَوْ عَرَفَ الْإِنْسَانُ كُلُّ مَكَانِهِ
فَمَنْزِلَةُ الْإِنْسَانِ أَوْفَى لِقَدْرِهِ
وَلَوْ وَافَقَتْ أَهْوَاؤُهُ قَدَرَ نَفْسِهِ
كَذَلِكَ أَشْكَالُ الْمَعَادِنِ كُلُّهَا

الإنسان :

وَلِي فِيكُمَا فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ وَافِرُ
مِنَ اللَّهِ يُجْرِيهَا فَنِعْمَ الْمَصَادِرُ
إِذَا بَرَقَتْ مِنْ بَيْنِ ذَلِكَ الْمَظَاهِرُ
لِيُعْرَفَ مِنَّا مَعْدُنُ وَجَوَاهِرُ
لِيَنْجُو مِنْهَا مَنْ يَعْصِي وَيَحَادِرُ
وَمَنْ مَالَ عَنْهُ مَرَّقَتْهُ الْحَوَافِرُ

رُويذِكَمَا!.. لَمْ تَذْكُرَانِي بِصَالِحِ
فَمَا أَنْتُمَا إِلَّا مَصَادِرُ نِعْمَةٍ
وَمَا أَنْتُمَا إِلَّا ابْتِلَاءٌ وَفِتْنَةٌ
يُمَحِّصُنَا الرَّحْمَنُ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ
فَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا سِوَى دَارِ فِتْنَةٍ
وَمَنْ يَعْْبُدِ الرَّحْمَنَ يُخْلِصُ لِدِينِهِ

وما هو مُجَدِّ في الحِياةِ تَنافُسُ
سَنطوى جَمِيعاً في التُّرابِ يَضُمُّنا
فَذَلِك مِيدانُ التَّنافُسِ تُجتَلَى
إِذا كان في دُنيا الهوى والمخاطرُ
ظلامٌ قُبورٍ أو تَضُمُّ الأزاهرُ
عَلَى البِرِّ والتَّقوى هُنَاكَ المائِرُ

استانبول

* * *

١٤٠٦/١٠/٢٠هـ

١٩٨٦/٦/٢٢م

كنا نجلس في «الرجوم» في مدينة صفد في فلسطين مع المساء، نشرف على بحيرة طبريا والجبال التي تحوطها والبدر الذي ينساب عليها في منظر جميل آخاذ. فقلت:

بحيرة طبريا

أما زلت تلهو بالهوى والهوى شرُّ
ولو وعدت لا يستقيم لها أمرُ
ففيها جلالُ الحُسنِ والجوهرِ الدرُّ
ويا لهفةَ المشتاقِ حاجَ به الذكرُ
سِراعاً! وأبوابُ الهوى مسلكِ وعُرُ
فمرَّق هذا الثوبَ صبُّ له سحرُ
على صدرها فازدان من حليه الصدرُ
وقد بان من آياته حُسنها البكرُ
كأن حنوَّ العاشقين لها سترُ
وجاوزت العينان ما أبعد الدهرُ
فغاب بنا فكرُ وجاء بنا فكرُ
وطاب بتسيحِ الإله لنا الذكرُ

تناديك هذي! فاستجب أيها الشَّعْرُ
دع الغيد لا تطمع بوصلِ فإنها
وصل سحر هاتيك المعالمِ والرُّبى
بُحيرتنا! يا طلعةَ الحُسنِ والهنا
تخفُ لك العُشاقُ من كلِّ موطنِ
كساها الدجى ثوباً ليستر حُسنها
ألم ترَ أن البدرَ سأل بحليه
بدت آيةً لله فاخشع لخالقِ
وتلك الهضابُ الخاشعاتُ أحطنها
جلسنا وقد حالت هضابُ وأنهرُ
ورقت لنا الدنيا وطاب نسيْمها
وطاب مع الخِلانِ صفوُ حديثهم

١٩٤٥م

* * *

خضراء الدمن، الفتاة التي غرّها جمالها المدنس، فأخذت تفتن الشباب حتى
ملاها الغرور والكبر! ففرقت في فتنة الدنيا، وفي بحرهما المتلاطم جثة هامدة.

خضراء الدمن

وَفَتَاةٍ لَا تَرَى الْحُسْنَ سِوَى
وَتَرَى الْمُتَعَةَ فِي لَهْوِ جَرَى
وَعَبِيدِ اللَّيْلِ... وَالْعَشَاقِ تَهْـ
فِتْنَةً تَنْزَعُ مِنْ جَلْبَابِهَا
وَهَوًى ضَجَّ عَلَى أَبْوَابِهَا
سِوَى صَبَابَاتٍ عَلَى أَعْتَابِهَا

* * *

كَمْ شَقِيٍّ تَاهَ فِيهَا جَاهِلًا
كَمْ فَتَى غَرَّ جَرَتْ أَنْفَاسُهُ
غَرَّهَا الْحُسْنَ فَلَمْ تَحْفَلْ بِهِمْ
لَمْ يَكُنْ حَسَنًا عَلَى أَعْطَانِهَا
رُوعَةَ الْحُسْنِ عَفَافٌ يَتَّقِي
وَرَدَاءَ الطُّهْرِ أَحْلَى زِينَةٍ
تَنْزَعُ الْعِفَّةُ فِي عَرَبْدَةٍ
وَجَمَالُ الْعُرَى فِي خَضْرَتِهِ
وَشَقِيٍّ كَانَ مِنْ خُطَابِهَا
خَلْفَهَا... تَلَهَّتْ فِي طَلَابِهَا
وَجَرَتْ تَحْتَالٌ فِي أَتْرَابِهَا
مَا بَدَأَ.. بَلْ كَانَ مِنْ كَذَابِهَا
زَلَّةَ الْعَيْنِ وَلَا يَشْقَى بِهَا
وَسَنَى لَوْ مَاجَ فِي آدَابِهَا
وَمُجُونٍ ضَجَّ فِي تَصْخَابِهَا
دِمْنٌ تَقْتُلُ مِنْ أَصْحَابِهَا

* * *

أَقْبَلْتُ لِلشَّاطِيءِ الْهَادِيءِ فِي
وَرَمْتُ عَنْهَا بَقَايَا قِطْعِ
فِتْنَةِ الْقَدِّ وَفِي أَهْدَابِهَا
وَتَثْنَى الدُّلُّ مِنْ إِعْجَابِهَا

شَهْوَةٌ تَصْرَعُ مَنْ يُرْمَى بِهَا
 هَاجَ يَنْفُضُ عَلَى أَعْقَابِهَا
 لَهَا يَحْرَقُ مِنْ أَعْصَابِهَا
 دَفْقَةُ الْمَوْجِ وَلَا أَسْبَابِهَا
 وَيَقَايَا لَهْفَةً تَطْوِي بِهَا
 قَاتِلٍ يَضْرِبُ فِي أَسْرَابِهَا
 خَجَلًا مِنْهَا . . . مِنْ أَوْشَابِهَا
 ذِكْرِيَاتُ الشُّوقِ مِنْ أَضْرَابِهَا
 وَفَنَاءِ ضَمٍّ مِنْ أَوْصَابِهَا
 حَالِمٍ يُفْرِغُ مِنْ أُتْرَابِهَا
 لَهْفَةً الشُّوقِ إِلَى تَصْحَابِهَا
 كَفْنَا يَطْوِي هَوَى أَحْبَابِهَا
 يَحْفَظُ الدَّرَّةَ مِنَ نُهَايِهَا
 عَفَّةَ الدَّرِّ . . . وَمَا أُحْرَى بِهَا . . . !
 يَرْحَفُ الْمَوْتُ عَلَى أَعْقَابِهَا
 آيَةٌ تُرَوَّى عَلَى أَصْحَابِهَا

وَمَضَتْ تَنْفُثُ مِنْ فِتْنَتِهَا
 سَكَنَ الْمَوْجُ . . . فَلَمَّا طَلَعَتْ
 فَرَمَتْ بَيْنَ ثَنَائِهِ الْهَوَى
 لَمْ يَكُنْ يُطْفِيءُ مِنْ ثَوْرَتِهَا
 لَمَّا الْمَوْجُ شَطَايَا شَهْوَةٍ
 تَتَلَوَّى فَوْقَهُ مِنْ ضَجْرِ
 تَتَلَوَّى . . . وَالْمِيَاءُ انْتَفَضَتْ
 وَهَوْتُ لِلْقَاعِ . . . وَالْمَوْجُ لَهُ
 كَمْ فَنَى أَلْقَى بِهِ فِي قَاعِهِ
 وَاخْتَفَّتْ مَا تَرَكْتَ غَيْرَ صَدَى
 زَيْدًا لَمْ عَلَى أَطْرَافِهِ
 ضَمَّهَا الْقَاعُ وَالْقَى حَوْلَهَا
 هَكَذَا الْبَحْرُ فَكَمْ مِنْ صَدَفِ
 دُرَّةٍ لَكِنَّا مَا حَمَلَتْ
 بَرَدَتْ أَنْفَاسُهَا فِي لُجَّةِ
 وَانْتَهَتْ قِصَّتُهَا فِي قَاعِهِ

* * *

تَنْهَبُ الْخَطْوَةَ إِلَى أَسْرَابِهَا
 وَلَطَى يَحْرَقُ مَنْ يُلْقَى بِهَا
 وَمَتَاعَ الْعُمُرِ مِنْ أَسْلَابِهَا
 وَالْهَوَى يَقْتُلُ مَنْ يُغْرَى بِهَا

كَمْ مَضَتْ فِي دَرَبِهَا مَجْنُونَةٌ
 تَتَلَقَّاهَا الْأَيْدِي فِتْنَةٌ
 وَتَظُنُّ الْعُمُرَ مَمْدُودًا لَهَا
 هَكَذَا الدُّنْيَا مَتَاعٌ زَائِلٌ

أَوْسَعِ الْمَتَعَةِ فِي دُنْيَاكَ لَمْ
وَالَّذِي يَجْمَعُ مِنْ دُنْيَاهُ يَضُ
كُلَّمَا أُوْغِلَ فِي شَهْوَتِهِ
يَعُدُّ أَنْ تَلْقَاهُ مِنْ أَشْدَابِهَا^(١)
رَعَهُ الشَّقُوقُ عَلَى أَعْتَابِهَا
عَادَ كَيْ يَطْرُقَ مِنْ أَبْوَابِهَا

١٩٥٤م

* * *

(١) الأشدباب: القشور.

هوى وهوان

تَبْكِي الطُّلُوبَ وَتَبْكِي الْأَهْلَ وَالْوَطَنَا
عَهْدًا وَمَدُّوَا يَدَا أَوْ أَسْكَتُوا فِتْنَا
وَمَارَعَوْهَا وَقَدْ كَانَتْ لَهُمْ سَكَنَا
وَأَطْلَقَ الشَّرَّ وَاسْتَشْرَى بِهِمْ عَفْنَا
فَمَا اسْتَقَرَّ قَتَى فِيهَا وَمَا أَمِنَا
وَيَحْسَبُ الْمَجْدَ فِي أَفْيَائِهِ قَطْنَا
تَخْفِقُ بِغَيْرِ هَوَاهُ أَضْلَعِي شَجْنَا
مَدَّتْ لَنَا الْأَرْضُ مِنْ رِزْقِ بِهَا وَجَنَى
تَكْفِيهِ إِنْ مَالَ شَرٌّ نَحْوَهُ وَدَنَا
وَلَمْ يُرَوْ بِهَا زَرْعًا وَلَا عُصْنَا
وَضَيَّعُوا جَوْلَةً أَوْ أَعْلَقُوا أُذْنَا
رِضًا يَثْبُتُ فِيهَا الذُّلُّ وَالْوَهْنَا
وَمِنْ هَتَافِ يَدِيرِ السُّكْرِ وَالْوَسْنَا
أَوْ مَدْمَعِ كُلَّمَا نَادَيْتَهُ هَتْنَا

* * *

وَمَا تَرَى أَبَدًا قَلْبًا صَفَا وَحَنَا
وَيَجْعَلُ الشُّوقَ مِنْ أَحْلَامِهِ وَتَنَا
لَأَرْخُصُوا دُونَهَا الْأَرْوَاحَ وَالْبَدْنَا

مَا لِي أَرَى كُلَّ يَوْمٍ دَمْعَةً سَقَطَتْ
مَا كَانَ أَجْدَرَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ حَفِظُوا
بَكَوًا عَلَى الدَّارِ لَمَّا أَصْبَحَتْ أَثْرًا
رَمَاهُمْ الخُلْفُ حَتَّى شَقَّهُمْ فِرْقًا
تَقَاسَمُوهَا حُدُودًا غَيْرَ أَمِنَةٍ
كُلُّ يُغْنِي هَوَى رُبْعِ أَقَامَ بِهِ
هَذَا يَقُولُ: هُنَا قَلْبُ العُرُوبَةِ لَمْ
وَذَا يَقُولُ: هُنَا أُمُّ الدُّنَا فَلَكُمْ
وِظْنَ كُلِّ دَعِيٍّ أَنْ عَضْبَتَهُ
غَفَا وَمَالَ وَمَا أُعْطِيَ سِوَى لَفْطِ
فَقَطَّعُوا رَحِمًا أَوْ مَزَّقُوا سَبِيًّا
رَضُوا بِمَا قَسَمَ الْأَعْدَاءُ مِنْ قِطْعِ
وَأَطْلَقُوا مِنْ شَعَارَاتٍ مُزْخَرَفَةٍ
كَأَنَّمَا الْوَحْدَةُ الْكُبْرَى مُسَاوِمَةٌ

وَيَحُ العُرُوبَةُ! كَمْ قَلْبٍ يُقَالُ لَهَا
كُلُّ يُقِيمُ عَلَى أَهْوَائِهِ صَنَمًا
لَوْ كَانَ يَعْلَمُ قَوْمِي مَا مُصِيبَتُهُمْ

مَا مِنْ عَدُوٍّ لَهُمْ إِلَّا نُفِوسُهُمْ
هَوَى يَقُودُهُمْ فِي كُلِّ مُرْدِيَةٍ

تَسُوقُ كُلَّ عَدُوٍّ أُوْرَثَ الْحَزْنَآ
وَشَهْوَةٌ عَرَبِدَتْ رِجْسًا بِهِمْ وَخَنآ

* * *

مَا لِلْعُرُوبَةِ مِنْ قَلْبٍ يَدُقُّ لَهَا
يَحُوطُهَا الدِّينَ عِزًّا أَوْ يَمُدُّ لَهَا
وَيَرْبِطُ الْعُرْوَةَ الْوَثْقَى عَلَى رَحِمِ
وَطَلَعَةُ الْحَقِّ بِالْإِسْلَامِ مُشْرِقَةٌ
فَلَا تَرَى مِنْ غَرِيبٍ فِي مَنَازِلِهِ

إِلَّا الْهُدَى يَمَلَأُ الدُّنْيَا رِضًا وَسِنَا
عِزْمًا وَيَرْفَعُ أَسْيَافًا لَهَا وَقِنَا
وَلَا يُرْدُّ بِهِ إِحْسَانُهُ مِنِنَا
تَزْوِي الظَّلَامِ وَتَزْوِي الشَّرِّ وَالِدَخْنَا
مُضَيِّعٍ أَوْ فَتَى عَنِ أَهْلِهِ ظَعْنَا

* * *

إِنَّ الْعَدَى جَمَعُوا أَشْتَاتَهُمْ وَأَتَوْآ
مِنْ كُلِّ مِلَّةٍ كُفْرًا لَا تَرَى أَبَدًا
فَأَشْعَلُوا الْأَرْضَ مِنْ أَطْمَاعِهِمْ لَهَا
وَفَجَّرُوا الْأَفْقَ مِنْ عُدْوَانِهِمْ حُمَمًا
هَلَّا أَفْقَتُمْ؟! فَمَا زَالَتْ لَنَا فُرْصٌ
هُبُوا يَدَا بَيْدٍ صَفَا نَشْدُ بِهِ

رَحْفًا عَلَيْنَا يَغْطِي السَّهْلَ وَالْحَزْنَآ
إِلَّا امْتِصَّاصَ شُعُوبِ الْأَرْضِ وَالضَّغْنَا
وَسَجَّرُوا الْبَحْرَ مِنْ طُغْيَانِهِمْ سُفْنَا
تَهْوِي فَتَسْحَقُ مِنْ أَهْوَالِهَا الْمُدْنَا
يُنْجِي بِهَا اللَّهُ مَنْ أَوْفَى وَمَا رَكْنَا
بُنْيَانِنَا وَنَشُقُّ الدَّرْبَ وَالسَّنِنَا

* * *

١٢/٦/١٤٠٦هـ

٢١/٢/١٩٨٦م

القاعدون... الصامتون

فَمُ أَيُّهَا الرَّجُلُ انْتَقِدْ وانطقْ وَقُلْ
شَيْئاً لِمَنْ قَدْ ضَيَّعُوا الأوطَانَ
وَأَدِرْ لِسَانَكَ بالبيانِ فَرِيماً
وَعَتِ القُلُوبُ، إِذَا نَطَقْتَ، بَيَّاناً

* * *

يا سَيِّدِي! قَطَّعْتُمْ مِنِّي اللِّسَانَ
نَ فَلَسْتُ أَمْلِكُ أَنْ أُدِيرَ لِسَاناً
كَمْ قَلْتُمْ اِخْرَسَ أَمْسِ، لا تَنْطِقْ، فَلَمْ
أَنْطِقْ وَرُحْتُ أُخَاطِبُ الجُذْرانَا
وَعَرِقْتُ فِي صَمْتِي وَصِرْتُ كَمَا تَرَى
يا سَيِّدِي! عَبْدًا لَدَيْكَ جَبَاناً

* * *

يا صَاحِ! قُمْ وَاضْرَحْ وَأَطْلِقْ مِنْ حَنَا
جِرْكَ الدَّوِيِّ وَأَطْلِقِ البُرْكَانَا
كَمْ كُنْتَ تَهْدُرُ فِي الشَّوَارِعِ هَاتِفاً
«يَحْيَا»، وَسَقَطْتُ، كَمْ رَفَعْتَ «فَلانَا»

* * *

يَا سَيِّدِي! أَلْقَمْتُوَنِي صَخْرَةً،
 أَنْسَيْتُمْ، وَسَدَدْتُمْ الْأَذَانَ
 وَخَتَقْتُمْ مِنَّا النَّدَاءَ عَلَى الْحَنَاءِ
 جِر، فِي الصُّدُورِ، قَهَرْتُمْ الْإِنْسَانَ
 مَا عُدْتُ أَقْوَى أَنْ أُعِيدَ مِنَ النَّدَاءِ
 ء، أَوْ الثُّغَاءِ، أَوْ الْمَوَاءِ الْآنَا
 أَنَا فِي الْقَطِيعِ، مَعَ الْقَطِيعِ، أَلَا تَرَى
 كَمْ تَدْفَعُ الدُّنْيَا لَكَ الْقَطْعَانَ

* * *

فَارْفَعِ إِذْنَ كَفِّيكَ فِي وَجْهِ الْعَدَا
 ةَ الزَّاحِفِينَ وَزَلْزِلِ الْأَرْكَانَا
 فَلَقَدْ دَنَا خَطْرٌ عَلَيَّ فَقُمْ لَهُ،
 وَانْهَضْ، وَخَضْ مِنْ أَجْلِي الْمَيْدَانَا
 لَا أُسْتَطِيعُ بِغَيْرِ صَوْتِكَ صِيحَةً
 وَبِغَيْرِ كَفِّكَ لَا أَهْزُ سِنَانَا

* * *

ثَقُلَ الْحَدِيدُ عَلَى يَدَيَّ وَعَضَّنِي
 قَيْدٌ أَقَامَ عَلَيَّ يَدَيَّ زَمَانَا
 مَا عَادَ لِي زَنْدٌ يَهْزُ قَوَاطِعَا
 أَبَدَا وَلَا عُدْتُ الْفَتَى الطَّعَانَا
 أَنْسَيْتُمْ قَهَرَ السُّجُونِ وَذَلَّهَا
 وَعَدَابَهَا أَنْسَيْتُمْ السَّجَانَا

وَدَرَضِيْتُ فِي ذُلِّ الْعَبِيدِ كَمَا تَرَى
وَعَضَضْتُ مِنْ هَوْلِ الْأَسَى الْأَجْفَانَا
وَقَبَعْتُ أَنْتَظِرُ الْهَلَاكَ لِأَنِّي
فَارَقْتُ - مِثْلَكَ - بِالْهَوَى الْإِيمَانَا
وَفَقَدْتُ صَبِيحَتِي الْأَيَّةَ وَالنَزْوِ
مَهْ، لَمْ أَعُدْ يَا صَاحِبِي إِنْسَانَا
وَلَسَوْفَ يَجْرِفُنَا الْعَذَابُ سَوِيَّةً
وَنَذُوقُ مِنْ مُرِّ الْهَوَانِ هَوَانَا

* * *

الثلاثاء ١٥/٧/١٤٠٦هـ

١٩٨٦/٣/٢٥م

عندما غابت الشمس

أصبح «اللجوء» مظهراً من مظاهر العالم الإسلامي . وأصبحت الغربة حياة الكثيرين، وصارت الخيمة شعار الناجين . أفواج وأفواج في العالم الإسلامي تعيش في ما نسميه «مخيماً» . . . ! النازحون من فلسطين، لبنان، سوريا، أفغانستان، أرتيريا، الفلبين . . . وكثير غيرها . . .

ويقع الاعتداء على مخيم . . . كما حدث في تل الزعتر وصبرا وشاتيلا في عمليات إبادة . ويظل في كل مكان في مخيمات العالم الإسلامي تبرز بطولة الإيمان، هنا أو هناك . . . !

وهذه صورة من أحد هذه المخيمات، تضم خيمة عائلة مؤمنة قتل رب الأسرة في يوم، وعاد الهجوم في اليوم الثاني، وتصدى الفتى في جولة لقاتل أبيه فأرداه قتيلاً . . . عندما غابت الشمس . . . !

في هذه القصيدة حوار بين الفتى وأمه، وقد طلع عليهم العدو بجنوده ودباباته، طلع الذين كانوا يظنونهم أهلاً لهم وجيراناً، من خلال شعارات غناها الكثيرون .

عندما غابت الشمس

وَلَهْفَةَ الْأَفْقِ وَمَا يَنْشُرُ
كَأَنَّهَا لَمَسَهُ مَنْ يَحْدَرُ
عَلَى نَدَى يَظْهَرُ أَوْ يُسْتَرُ
يَحْبِسُهَا الشَّكُّ فَلَا تُمْطَرُ
عَلَى صَدَىٍّ مِنْ أَمْسِهِ يُنْذِرُ
تَسْأَلُ مَا الْأَمْرُ؟ مَنْ يُخْبِرُ
وَصَيْحَةَ الْمُؤْمِنِ لَا تُنْكَرُ
أَشْوَاقَهُ تَكَادُ لَا تَصْبِرُ

* * *

وَرَحْمَةَ اللَّهِ لَنَا أَكْبَرُ
هُوَ . . . وَأَرْدَاهُ هُوَ أَغْدَرُ
يَضْرَعُهُ الْكَيْدُ وَمَا يَمْكُرُ
يَهْدَأُ فِيهَا الْقَلْبُ أَوْ يَظْفَرُ

* * *

أَسْرَعُ مِنْهُ نَضْلُهُ الْأَحْمَرُ
تَكَادُ مِنْ غَضَبَتِهَا تَزَارُ
وَالصُّبْحُ مِنْ إِقْبَالِهِمْ يُدْبِرُ
وَسِنَّةُ اللَّهِ بِهِمْ تَمْكُرُ

يَا لَفْتَةَ الصَّبْحِ وَمَا يُضْمِرُ
وَلَمَسَةَ النُّورِ عَلَى خَيْمَةِ
وَرَعِشَةَ الْعُشْبِ وَأَرْهَارِهِ
سَحَابَةٌ حَائِرَةٌ فِي مَدَى
وَحَفَقَةَ الطَّائِرِ فِي عَشِّهِ
وَطَلْعَةَ الشَّمْسِ عَلَى فَجْوَةِ
وَعُضْبَةَ الْخَيْمَةِ مِنْ أَمْسِهَا
هَنَا فَتَى ضَمَّ عَلَى جُرْحِهِ

يَا أُمَّ ضَاقَ الْأَمْرُ مِنْ حَوْلِنَا
إِذَا عَدَا الْغَادِرُ فِي كِبْرِهِ
سَيَقْتُلُ الظَّالِمَ عُدْوَانَهُ
لَا بُدَّ يَا أُسِّيَ مِنْ جَوْلَةِ

أُمَاهُ . . . ! مَنْ هَذَا . . . ؟ أَرَى خَطْوَهُ
يَسْتَبِقُ الْخَطْوَ إِلَى خَيْمَةِ
يُقْبَلُ فِي عِصَابَةٍ نَحْوِنَا
يَرُوعُ كَالثَّغْلِبِ فِي مَكْرِهِ

وَالْمَوْتُ مِنْ أَكْفِهِمْ يَقْطُرُ
يَحْمَرُّ مِنْهَا نَابِهَا الْأَذْكَرُ
حُرْمَةٌ شَيْبَةٌ وَلَا أَعْدُرُوا
فَانْفَجَرَتْ مِنْ عُوْدِهِ الْأَنْهَرُ
وَنَفْحَةُ الصَّدْقِ شَذَا أَطْهَرُ
دَوِيهَا عَلَى الْمَدَى يَكْبُرُ
وَيَصْبِغُ الْأَفْقُ دَمَ أَحْمَرُ
مِنْ أَضْلَعِ تَغْلِي بِهَا أَبْحُرُ
وَمَنْ حَمِيمَهَا لَطَى يَصْهَرُ
ذَلِكَ لَا يُخْفَى وَلَا يَسْتُرُ
حَلِيهَا... وَالظُّلْمُ... وَالْمَظْهَرُ
وَلَا يُوَارِي الْحَقُّ مَا زَوَّروا
أَنْفَاسُهُ الرِّيحَانُ وَالْعَنْبَرُ

عَرَفْتَهُمْ أُمَّهُ...! عَادُوا لَنَا
هَذَا وَحُوشٌ مِنْ بَنِي آدَمِ
بِالْأَمْسِ مَرَقُوا أَبِي مَا رَعُوا
فَأَفْرَعُوا النَّارَ عَلَى عُوْدِهِ
كَأَنَّهَا الْمِسْكُ عَلَى نُورِهِ
يَا دَفَقَةَ الرَّصَاصِ... لَمَّا يَزَلُ
يُرْوِعُ الطَّيْرَ صَدَى نَازِفِ
يَا وَيَحْتَهُمْ... قَدْ أَفْرَعُوا حِقْدَهُمْ
سَوْدَاءُ... مِنْ دُخَانِهَا ظَلَّةُ
خَلَفَ الصَّلِيبِ اسْتَرُوا... وَنَلَهُمْ
عِصَابَةٌ يَدْفَعُ بُهْتَانَهَا
لَا يَتْرُكُ التَّارِيخُ مَا أَجْرَمُوا
الْيَوْمَ هَاجَ الشُّوقُ مِنْ أَضْلَعِي

* * *

فَانْهَضْ إِلَى اللَّقَا فَمَا تُعْذِرُ
وَدَرَبُهَا مُنَوَّرٌ مُزْهَرُ
يَصْدُقُ فِيهَا الْعَزْمُ وَالْجَوْهَرُ
وَلَيْسَتْ قِسْمٌ فِي كَفِّكَ الْخِنْجَرُ
تَسْمَعُهَا الْآفَاقُ وَالْأَعْصُرُ
يَكْبُرُ الْيَوْمَ وَلَا يُنْصَرُ

بَنِي... هَيَّا... إِنَّهُمْ أَقْبَلُوا
رَوَائِحُ الْجَنَّةِ قَدْ فَوَّحَتْ
مَا الْعُمُرُ إِلَّا جَوْلَةٌ حُرَّةُ
فَهَاتِ بُنْدَقِيَّةً أَرَعَدَتْ
وَأَطْلِقِ الصَّيْحَةَ فِي وَجْهِهِمْ
وَكَبَّرَ اللَّهُ فَمَا غَيَّرَهُ

وَادْعُ شَبَابَ الْحَيِّ كَيْ يَنْهَضُوا
هَيَّا بِنَا نَمْضِي إِلَى خَنْدَقٍ

* * *

لِمَوْتِي فِي اللَّهِ أَنْ يَنْفَرُوا
يَضْمُنًا جِهَادُنَا الْأَخْضَرُ

وَالْتَفَتَتْ كُلَّ الْخِيَامِ الَّتِي
كَانَتْ تَطْلُقُ أَكْبَادَهَا
طَائِفَةٌ ظَاهِرَةٌ حَقُّهُمْ

* * *

أَفْرَغَهَا الْأَهْلُونَ وَالْمَعَشَرُ
فِي مَدَدٍ تَمْضِي بِهِ الْأَعْصُرُ
أَنْ يَصْدُقُوا اللَّهَ وَلَا يُدْبِرُوا

بُنَيَّ... ! هَذِي عُصْبَةٌ أَقْبَلَتْ
وَهَذِهِ طَائِرَةٌ حَوَّمَتْ
تَسُدُّ وَجْهَ الْأَفُقِ فِي هَجْمَةٍ
الَّتِي تَرَى الْيَهُودَ مِنْ حَوْلِهِمْ
الَّتِي تَرَى الْأَحْزَابَ قَدْ أَوْعَبَتْ

* * *

وَهَذِهِ دَبَابَةٌ تَهْدُرُ
كَأَنَّهَا تُمْهَلُ أَوْ تُنْذِرُ
وَالْأَفُقُ مِنْهَا أَغْبَرُ أَكْذَرُ
وَعُصْبَةُ الشَّرِكِ وَمَنْ يَمْكُرُ
يُدْفَعُهَا الْكِبَرُ وَمَا دَبَّرُوا

وَدَارَتِ الْحَرْبُ وَأَبْطَالُهَا
فِي لَهَبٍ مُحَلَّقٍ صَاعِقٍ
وَأَفْرَغُوا الْمَوْتَ عَلَى سَاحَةِ
فَكَمْ تَرَى فِي السَّاحِ مِنْ مَشْهَدٍ
كَأَنَّهَا يُخَطَّفُ فِي لَمْحَةٍ
أَيْنَ خِيَامٍ زَعْرَدَتِ لِلرَّدَى؟
أَيْنَ بَقَايَا رَعَشَةٍ لَمَّهَا الـ

تَدَافَعَتْ لِلْمَوْتِ لَا تُدْبِرُ
وَدَفَقَةَ خَاطِفَةَ تَرْخَرُ
وَأَشْتَعَلَ الْيَابِسُ وَالْأَخْضَرُ
كَانَ هُنَا... غَابَ وَمَا يَظْهَرُ
وَتُسْحَقُ الْأَرْضُ وَمَا تَعْمُرُ
أَيْنَ فَتَى كَانَ هُنَا يَخْطُرُ؟
عُشْبُ...؟ وَأَيْنَ الْحَقْلُ وَالْبَيْدَرُ؟

أَيْنَ بَقَايَا الطِّفْلِ فِي مَلْعَبِ

وَسَمَةِ إِشْرَاقِهَا نَيْرُ؟

* * *

وَدَارَتِ الْحَرْبُ إِلَى سَاعَةٍ
وَصَاحَتِ الْأُمُّ . . . بُنْيَ انْهَضَنُ
بُنْيَ . . . ! هَذَا مُجْرِمٌ مُقْبِلٌ
عَرَفْتَهُ أَمْسَ بَعْدَوَانِهِ
فَهَبَّ كَالْبَرْقِ عَلَى غَادِرِ
وَسَدَّدَ الطَّعْنَةَ فِي صَدْرِهِ
هَوَى بِهَا الْمُجْرِمُ وَاسْتَسَلَمَتْ
وَلَمْ يَكْذُ يُبْصِرُ مَا حَوْلَهُ
وَكُلَّ شَيْءٍ دَارَ مِنْ حَوْلِهِ
كَأَنَّهَا الْأَشْيَاءُ وَثَابَةٌ
فَدَارَتِ الْأَرْضُ عَلَى جَفْنِهِ
وَطَلَعَتْ مِنَ الْفَتَى لَمْ تَزَلْ
وَقَبَةُ الْمَسْجِدِ طَيْفٌ عَلَا
وَهَذِهِ مِثْدَنَةٌ شَقَّتِ الْأُ
هَوَى . . . وَمَا أَمْسَكَ أَنْفَاسَهُ
تَفَجَّرَ الدَّمَاءُ مِنْ صَدْرِهِ
يُقَوِّرُ مِنْهَا حَقْدَهُ فَوْرَةً
يَا وَيْلَهُ لَمَّا هَوَى فِي دَمِ

تَمِيلُ فِيهَا الشَّمْسُ أَوْ تُدْبِرُ
أَمَامَكَ الْيَوْمَ هَوَى أَخْطَرُ
فَانْهَضْ فَأَنْتَ الْفَارِسُ الْأَقْدَرُ
فَلَقَّنَ الظَّالِمَ مَا يَحْذَرُ
تَسْبِقُهُ الْأَشْوَاقُ وَالْخِنْجَرُ
تَتَابَعَ الْمَوْرِدُ وَالْمِضْدَرُ
أَحْقَادُهُ . . . وَالنَّصْلُ لَا يَغْفِرُ
وَعَقْلَةُ الظَّالِمِ لَا تُبْصِرُ
حِينَ هَوَى . . . فَرَاعَهُ الْمَنْظَرُ
إِلَى فِضَاءٍ لَوْنُهُ أَغْبَرُ
وَذِرْوَةُ الْخَيْمَةِ وَالْخِنْجَرُ
تَفْرَعُهُ . . . وَوَجْهَهُ الْأَسْمَرُ
يُمُوجُ فِي الْأَفْقِ سَنَايْتِهْرُ
فَقَّ . نَدَاؤُهَا مَدَى أَكْبَرُ
وَالْمَوْتُ مِنْ أَنْفَاسِهِ يَقْهَرُ
سَوْدَاءَ . . . لَا تَهْدَأُ أَوْ تُصْبِرُ
كَأَنَّهَا الْبُرْكَانُ . . . أَوْ أَخْطَرُ
مُضْرَجًا بِالرَّجْسِ لَا يَطْهَرُ

وَالْبَحْرُ وَالْيَابِسُ وَالْمَعْشَرُ
أَشَاحَ . . . وَالْأَفَاقُ وَالْأَعْصُرُ
سَوْدَاءَ . . . لَا طِيبَ وَلَا جَوْهَرَ

تَلْفُظُهُ الْأَرْضُ وَسَاحَاتُهَا
هَوَى . . . وَقَرُصُ الشَّمْسِ مِنْ رَجْسِهِ
وَعَابَتِ الشَّمْسُ عَلَى بُقْعَةٍ

٦ / ٣ / ١٤٠٦ هـ

* * *

١٨ / ١١ / ١٩٨٥ م

تحية إلى شباب الإسلام

قَدِّمْتُ هذه القصيدة إلى المؤتمر الثاني عشر الذي نظمه ودعا إليه اتحاد الطلبة المسلمين في أوروبا، واتحاد العمال المسلمين في أوروبا والمركز الإسلامي في آخن، وذلك خلال الفترة من يوم السبت ٢٩/١١/١٤٠٧هـ الموافق ٢٥/٧/١٩٨٧م حتى يوم الأربعاء ٤/١٢/١٤٠٧هـ الموافق ٢٩/٧/١٩٨٧م، في مدينة كولن في ألمانيا الغربية. وقد حضر المؤتمر عدد غير قليل من رجال الدعوة والفكر وطلاب الجامعات وغيرهم.

أشير في هذه القصيدة إلى بعض أمراض الواقع الإسلامي، وأشير إلى القاعدتين الرئيسيتين اللتين يقوم عليها كل نهج وتخطيط ودعوة وبناء. وهما:

- ١ - دراسة المنهاج الرباني - قرآناً وسنة - كما نزلنا باللغة العربية والإيمان والعمل به.
 - ٢ - دراسة الواقع الذي نعيش فيه والذي نمارس فيه إيماننا ومنهاج الله.
- لتنتقل من هاتين القاعدتين: المنهاج الرباني والواقع، سائر قواعد العمل والفكر والنهج والتخطيط.

تحية إلى شباب الإسلام

سَمَانَ يَا نَفْحَةَ الْهُدَى وَالتَّلَاقِي
وَرِجَالًا تَوَاتَبَتْ لِسْبَاقِ
قِ رُؤْيَى حَوَمَتْ عَلَى أَحْدَاقِ
خِ وَأَحْيُوا مِنْ فَارِسِ سَبَاقِ

* * *

بَيْنَ لُقْيَا نَدِيَّةٍ وَافْتِرَاقِ
صُغْتُهُ مِنْ تَقَى وَمِنْ أَشْوَاقِ
قِ وَمِنْ نَفْحِهِ وَمِنْ إِشْرَاقِ
فِي عُرُوقِي يَمُوجُ فِي أَعْمَاقِي
وَجَلَالًا مِنْ نُورِهِ الدَّفَاقِ
فِي عُرُوقِ مِنْهَا وَفِي أَوْرَاقِ
وَيَنَابِيعِ حَوْلَهَا وَسَوَاقِ
وَمُرُوجِ مَمْدُودَةِ الْآفَاقِ
مِنْ نُفُوسِ وَمِنْ رِضَا وَاشْتِيَاقِ
زَاخِرُ وَالْجَمَالَ سِحْرُ بَاقِ
وَإِخْشَاعِي هَذِهِ يَدُ الْخَلَّاقِ
ضِ وَدَفَقُ الْأَنْوَارِ فِي الْآفَاقِ
خَشَعَتْ فِي رِضَا وَفِي إِشْفَاقِ

يَا شَبَابَ الْإِسْلَامِ يَا نَدْوَةَ الْإِيـ
يَا رُؤُودًا تَشَابَكْتَ بِرُؤُودِ
يَا حَنَانَ الْإِخَاءِ يَا لَهْفَةَ الشُّو
أَبْقِظُوا فِي النُّفُوسِ آمَالَ تَارِيـ

جَنْتُ أَشْدُو مَعَ الْقَوَافِي قَصِيدِي
جَنْتُ يَا إِخْوَتِي لِأَنْشِدَ لِحَنًا
صُغْتُهُ مِنْ هَوَى الْمُرُوءَةِ وَالصِّدِّ
مِنْ يَقِينِ بِاللَّهِ كَالنُّورِ يَسْرِي
تَمَلُّا الْكُونَ آيَةً مِنْ خُشُوعِ
يَدْفَعُ الْمَاءَ فِي غِرَاسٍ فَيَجْرِي
فِي ثِمَارٍ غَنِيَّةٍ وَزُهُورِ
وَرَوَابٍ مَكْسُوءَةٍ بِرَوَاءِ
يَدْفَعُ النَّبْضَةَ الْقَوِيَّةَ تُحْيِي
حَيْثَمَا مِلَتْ فَالْحَيَاةَ عَطَاءِ
إِنَّهُ اللَّهُ فَاسْجُدِي يَا رَوَابِي
آيَةُ الْحَقِّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
فَاخْشَعِي يَا نُفُوسُ هَذِي صُخُورُ

واهجري ظلمة من الجهل قومي
قد صنعت القيود من ذلة الكبـ
وصنعت القيود عضت على الز
أسلمي واخشعي وتوبيي إلى اللـ
واهجري ظلمة السجون إلى النـ
واهجري غمة السجون! أقتت السـ
هاهنا دفقة من النور تجلو

* * *

كيف ترجى بوادئ النضر والأفـ
كيف يرجمي الخلاص والناس غرقى
والشياطين تملأ الأرض شراً
لهف نفسي على تمزق أهل
لهف نفسي على منازل كانت
لهف نفسي عليك يامسجد الأفـ
ويح نفسي وكابل تقذف الأكبـ
أينما ملت لا أرى غير نار
باديار الإسلام أي مصاب
كل يوم لنا نواح جديد
قد ذرفنا الدموع حتى كأننا
ليس يجدي العويل! هذي المياديـ
كم تراها تلفتت لرجال
فانفروا! كل وثبة في رباهـ

* * *

حطمي القيد وانعمي بانعتاق
ر ومن فتنة الهوى والشقاق
ند وأحنت إباءة الأعناق
ه على منعة وعز باق
ور إلى فسحة الرجاء الوافي
سجون من شهوة ومن إغراق
من ميادينها ومن آفاق

أشتات فتنة وفراق
في ظنون وفرية واختلاق
من خبيث طاو ومن فساق
وديار ولوعة واختراق
أمس ساحاً لموكب وانطلاق
صى ويا خفقة الهدى والبراق
أد قذفاً في ساحتها الخفاق
أحرقت منك أيما إحراق
جفف الدمع من جوى ومآق
وعويل وغصنة الإخفاق
لا نرى للدموع أي بواق
من لها خفق حسرة واشتياق
صدقوا العهد أو خيول عتاق
جنة فوحت وحسن خلاق

* * *

ه...! فَأَوْفُوا بِعَزْمَةِ الْمِيثَاقِ
سُ وَمُدُّوا لَهَا حَبَالَ وَفَاقِ
وَجَلَاءِ الْمَنَى وَيُؤْمِنُ انْطِلَاقِ
وَهْدَى سُنَّةِ وَمِنْ أَخْلَاقِ
وَفَتَى صَابِرٍ وَعَزْمِ رِفَاقِ

* * *

لَتُ تَنَادِي لَجَوْلَةٍ وَلِحَاقِ
وَصُفُوفٍ مَرْصُوصَةٍ وَتَلَاقِ

* * *

١٤٠٧/١٢/١٦ هـ

١٩٨٧/ ٨/١٠ م

يَا شَبَابَ الْإِسْلَامِ...! عَهْدُ مَعَ اللَّهِ
وَصَلُّوا لِحِمَّةً وَإِنْ قَطَعَ النَّاسُ
يَجْمَعُ الصَّادِقِينَ صَفْوَةً نَهَجِ
هُوَ نَهَجٌ مِنَ الْكِتَابِ مُبِينِ
وَرُؤَى وَقَعَ وَسَاحِ ابْتِلَاءِ

فَانْفِرُوا... هَذِهِ الْمَيَادِينُ مَا زَا
وَارْفَعُوهَا شَوَاهِقًا مِنْ بِنَاءِ

ليميز الله الخبيث من الطيب

على الحقِّ في نهجٍ به الحقُّ ظاهرُ
صخورٍ وأشواكٍ وداعٍ وزاجرُ
وليست لمن يهوى تضيُّقَ المعاذِرِ
وخضرةُ دنيا والضلالُ المَجاهِرِ
بحارٍ على أمواجها الركبُ حائرُ
ودرهمُ نورٍ من الحقِّ صادرُ
تولوا إليها مُسرِعِينَ وَغَادَرُوا

* * *

وراء سَرَابٍ مِنْ هَوَىِّ وَهُوَ سَادِرُ
ولَهْفَةٌ دُنْيَا مِنْ غُرُورٍ وَخَاطِرُ
يَعَضُّ بِصَحْبٍ وَهُوَ مَاضٍ وَنَافِرُ
كَذَلِكَ غَرَّ النَّاسَ مِنْهُ الْمَظَاهِرُ
بُنُو الْجَهْلِ عِلْمًا وَهُوَ فِي الْجَهْلِ غَائِرُ
ويُخْفِي نِفَاقًا وَهُوَ بَاغٍ وَجَائِرُ
هُوَ اللَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ السَّرَائِرُ
أَطَّلَ عَلِيمٌ بِاللِّسَانِ وَمَا كَرُ^(١)

* * *

عَذِيرِي مِنْ قَوْمٍ تَعَاهَدَ قَلْبُهُمْ
مَضُوا كِي يَشْقُوا الدَّرْبَ وَالدَّرْبُ دُونُهُ
تَمُوجُ بِهِ الْأَهْوَاءُ شَرًّا وَفِتْنَةً
فَفِتْنَةُ مَالٍ أَوْ بَنِينَ وَزَوْجَةٍ
وَشَهْوَةٍ أَمَالٍ تَهِيحُ كَأَنَّهَا
عَلَى جَنَبَاتِ الدَّرْبِ أَلْوَانُ فِتْنَةٍ
إِذَا مَا رَأَوْا عَنْ جَنِبِهِمْ زَهُوً وَرَدَّةً

فَكَمْ مِنْ فَتَى تَلَقَاهُ يَلْهَثُ جَارِيًا
كَأَنَّ الَّذِي يَسْعَى لَهُ زَهُوٌ سُمْعَةٍ
فَكَمْ غَرَّ أَهْلَ الدَّرْبِ بِسَمَةِ مُقْبِلٍ
وَكَمْ غَرَّهُمْ مِنْهُ مَظَاهِرُ أَلْفَةٍ
لِسَانَ يَمُجُّ الْحُلُوقَ حَتَّى يَظُنُّهُ
ويُخْفِي سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْقَلْبُ مَا كَرُ
فَوَاعِجِبًا هَلْ يَجْهَلُ الْمَرْءُ أَنَّمَا
وَأَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ: حَذْرُكُمْ إِذَا

(١) إشارة إلى قول عمر بن الخطاب إلى الأحنف بن قيس: «... وإن رسول الله ﷺ خوفنا كل منافق =

تَنَمَّرَ وَامْتَدَّتْ عَلَيْكَ الْأَظَافِرُ
تَغَيَّرَ، أَهْوَاءَ تَمَوْجٍ وَخَاطِرُ
فَذَلِكَ نُعْبَانٌ وَذَلِكَ غَادِرُ
إِذَا جَاءَهُمْ نُصْحٌ جَلِيٍّ وَوَافِرُ
فَذَلِكَ خَدَّاعٌ وَذَلِكَ مَائِرٌ^(١)
فَدَارَتْ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ الدَّوَائِرُ
عَلَى حِكْمَةِ اللَّهِ وَاللَّهُ قَاهِرُ
يُمَحِّصُ فِيهَا النَّاسَ حَتَّى يُغَادِرُوا
وَعَاوِ بِالْوَانِ الضَّلَالَةَ عَائِرُ

وَكَمْ مِنْ صَدِيقٍ كَانَ فِي الدَّرْبِ سَائِرًا
وَكَمْ مِنْ مُرَاءٍ نَالَ صَفْوَةَ مُهْجَةٍ
وَكَمْ مِنْ رَفِيقٍ كُنْتَ تَأْمَنُ فَالْتَوَى
وَمَا ضَاقتِ الْأَعْدَارُ يَوْمًا عَلَيْهِمْ
يُمَارُونَ فِي التَّأْوِيلِ جَهْلًا وَفِتْنَةً
يُظَنُّونَ أَنْ قَدْ أَفْلَحُوا وَنَجَوْا بِهِ
يُقَلِّبُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قُلُوبَنَا
وَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا سِوَى دَارِ فِتْنَةٍ
فَنَاجِ بِأَعْمَالِ الْهَدَايَةِ رَاشِدُ

* * *

وَفَاءٌ وَإِحْسَانًا وَجَدُّوا وَيَادَرُوا
عَلَى الْعَهْدِ مَا خَانُوا وَلَمْ يَتَدَابَرُوا
لَالِيءٍ مِنْ صَفْوِ الْوَفَاءِ جَوَاهِرُ
نَصُوحًا وَجَدُّوا فِي الْمَسِيرِ وَثَابَرُوا
أَنَابَتْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ الضَّمَائِرُ
فَتَجَارُ أَكْبَادَ لَهُمْ وَخَنَاجِرُ
يُلْحُ بِهَمْ شَوْقٌ إِلَى اللَّهِ صَائِرُ
وَعَزْمُهُمْ فِي الْحَقِّ وَافٍ وَصَابِرُ

وَلَكِنَّ أَهْلَ الصِّدْقِ وَالْعَهْدِ أَقْبَلُوا
أَجَلَاءَ مِثْلِ الصَّبْحِ بَشْرٌ وَجُوهِهِمْ
أَوْلَئِكَ أَوْابُونَ لِلَّهِ، نُورُهُمْ
إِذَا أَخْطَأُوا تَابُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً
وَإِنْ دَاهَمَتْهُمْ فِي الْحَيَاةِ مَصَائِبُ
وَمَدُّوا بِجَوْفِ اللَّيْلِ كَفَّ ضِرَاعُهُ
وَيَمْضُونَ فِي دَرْبِ مَعَالِمِهِ الْهُدَى
وَلَاؤُهُمْ لِلَّهِ وَعَيْيٌ وَمَنْهَجٌ

عليم اللسان . ولست منهم . [أخبار عمر وأخبار عبدالله بن عمر، علي الطنطاوي وناجي

الطنطاوي (ص ٢٠٤)].

(١) مائر: متردد.

لَهُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ نُورٌ وَحِكْمَةٌ
دُعَاةٌ إِلَى التَّوْحِيدِ لَيْسَ يُضَدَّهُمْ
وَيَرْعَوْنَ أَجْيَالًا عَلَى نَهْجِ أَحْمَدٍ
وَيَتَّبِعُونَ مِنْهُمْ أُمَّةً فَكَانَهَا
فَتَمُضِي جِهَادًا فِي سَبِيلِ رِسَالَةِ
أَوْلِيكَ أَنْفَاسُ الرَّبِيعِ إِذَا بَدَا
أَوْلِيكَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ كَأَنَّهُمْ

وَمِنْ سُنَّةِ الْمُخْتَارِ هَدَى وَزَاجِرُ
عَنِ الْحَقِّ لَهُوَ أَوْ غَنَى أَوْ مَفَاقِرُ^(١)
فِيغْنِيهِمْ زَادٌ عَلَى الدَّرْبِ وَافِرُ
دَعَائِمُ بُيَانٍ سَمَتْ وَعَمَائِرُ
فَتَغْنِي بَوَادٍ عِنْدَهَا وَحَوَاضِرُ
وَإِطْلَالَةُ الْبَشَرَى بِهِمْ وَأَزَاهِرُ
إِذَا طَلَعُوا فِيهِ بُدُورُ زَوَاهِرُ

* * *

وَاللَّهُ فِي الدُّنْيَا شُؤُونَ وَحِكْمَةٌ
وَلَوْلَا تَكَالِيفُ الْأَمَانَةِ لَمْ يَقْزُ
لَقَدْ عَرِضَتْ تِلْكَ الْأَمَانَةُ فَانْتَهَى
فَهَذَا هِيَ الدُّنْيَا ابْتِلَاءٌ وَفِتْنَةٌ
وَتُكْشَفُ أَعْمَالُ الْبَرَايَا فَهَالِكٌ

عَلَى سُنَنِ تَمُضِي بِهِنَّ الْمَقَادِرُ
تَقِيٌّ وَلَمْ يَخْسِرْ شَقِيٌّ وَسَادِرُ
إِلَيْهَا قَوِيٌّ فِي الْمِيَادِينِ صَابِرُ
وَيَوْمَ الْحِسَابِ الْحَقُّ تُبْلَى السَّرَائِرُ
إِلَى النَّارِ أَوْ نَاجٍ أُنْتَهُ الْبَشَائِرُ

* * *

الجمعة ٧ / ١٢ / ١٤١٣ هـ

١٩٩٣ / ٥ / ٢٨ م

(١) المفاقر: جمع مفقرة. وهي أحوال الفقر وجوهره.

أرج الميدان

وَيَزِيدُ الشُّوقَ وَيُوسِعُهُ
 وَعَصِيَّ الدَّمْعِ وَطَيِّعُهُ
 وَنَدَاءٍ فِيهِ يُرَجِّعُهُ
 وَرِضًا فِي اللَّهِ يُشَفِّعُهُ
 وَحَيْنَ بَاتٍ يُصَدِّعُهُ
 وَيَكَادُهُ وَهُوَ يَصْرَعُهُ
 مَا كَانَتْ تَكْتُمُ أَضْلَعُهُ
 فَجَرَتْ بِالْأَنَّةِ أَدْمَعُهُ
 عَزْمًا فِي السَّاحَةِ يَدْفَعُهُ
 وَعَجَاجِ الوَثْبَةِ مَطْلَعُهُ
 وَيُزِيحُ اللَّيْلَ وَيَرْفَعُهُ
 وَيَمُدُّ الدَّرْبَ وَيَقْطَعُهُ
 يَجْرِي كَالرَّغْدِ يُصَدِّعُهُ
 آفَاقَ الدُّنْيَا تَسْمَعُهُ
 بِاللَّهِ وَعَهْدٍ يَمْنَعُهُ
 نِعْمَى أَوْ بَلْوَى تُوجِعُهُ

اللَّيْلُ! حَنَانُكَ يَجْمَعُهُ
 وَتَهَبُّ إِلَيْكَ بِوَادِرُهُ
 وَقِيَامُ اللَّيْلِ وَهَجَعَتُهُ
 مَا بَيْنَ سُجُودٍ فِي رَغَبٍ
 وَرُكُوعٍ مَالَ عَلَى رَهَبٍ
 تَتَجَافَى أَضْلَعُهُ رَهْبًا
 هَلْ هَاجَ الشُّوقَ وَحَرَّكَهُ
 دَفَعَ الْأَنَاتِ عَلَى كَبِدٍ
 يَطْوِينَهُ اللَّيْلُ وَيَنْشُرُهُ
 كَمْ شَقَّ الدَّرْبَ وَهَبَّ لَهُ
 وَمُحْيَا يَجْلُو الفَجْرَ سَنًا
 وَيَدُقُّ الْأَرْضَ بِوَثْبَتِهِ
 كَالْبَرْقِ يَشُقُّ اللَّيْلَ ضِيَاءً
 وَإِذَا مَا كَبَّرَ فِي شَرَفٍ
 يَمْضِي فِي الْأَرْضِ عَلَى ثِقَةٍ
 وَاللَّهُ وَلِيُّ الصَّابِرِ فِي

وَيَمُدُّ الْعَبْدَ بِحَاجَتِهِ
مَنْ كَانَ هَوَاهُ فِي دُنْيَا
وَاللَّهُوُ وَفِتْنَةُ غَايَةِ
وَحُمَيَا النَّشْوَةِ عَرَبِيَّةً
وَمَنْ اسْتَعْلَى فِي هِمَّتِهِ
يَعْلُو وَتَعِفُّ النَّفْسُ وَمَا
الْمُؤْمِنُ جَوْهَرُهُ أَلْقُ
يَجْلُو الْإِيمَانَ سَجِيَّتَهُ
فَسَلِ الْمَيْدَانَ وَغَضَبَتَهُ
وَسَطَ السَّاحَاتِ وَخَاضَ بِهَا
وَالْجَنَّةُ رَائِحَةٌ عَبَقَتْ
الْجَنَّةُ مَهْوَى أَضْلَعِهِ
تَجْتَازُ الدُّنْيَا لَهْفَتَهُ
تَهْوِي الْهَامَاتُ بِضَرْبَتِهِ
وَطَنُ اللَّهِ مَوَاقِعُهُ
قُدْسِي الْأَرْضِ لَهُ عَبَقُ
دَارٍ بِالْوَحْيِ مُجَلَّلَةٌ
يَفْدِيهِ وَيَسْكُبُ مِنْ دَمِهِ
وَيَظَلُّ مَعَ التَّارِيخِ لَهُ
فَهْوَى...! وَالنَّصْرُ بِرَأْيَتِهِ

إِنْ صَحَّ إِلَيْهِ تَضَرُّعُهُ
فَمَتَاعُ الدُّنْيَا يُولِعُهُ
وَالْكَأْسُ... وَلَيْلُ يُتْرَعُهُ
وَمُجُونُ الشَّهْوَةِ يَضْرَعُهُ
فَنَعِيمُ الْجَنَّةِ مَطْمَعُهُ
تَهْوِي لِدُنْيَا تَوْقَعُهُ
وَكَرِيمُ الْمَعْدِنِ يَصْنَعُهُ
وَالطُّهْرُ يُبْقِيهِ وَيَرْفَعُهُ
يُنْبِتُكَ الْجَوْلَةَ مَوْقَعُهُ
لُجْبَاءً وَالْحَقُّ تَطْلُعُهُ
وَشَدًّا قَدْ فَاحَ تَضَوُّعُهُ
وَحَيْنَ الْأَضْلَعِ يَدْفَعُهُ
وَيُلِحُّ الشُّوقُ وَيَقْرَعُهُ
وَيَصُدُّ الْجَحْفَلَ يَصْدَعُهُ
وَحِمَى يَهْوَاهُ وَيَمْنَعُهُ
وَهْوَى الْإِسْلَامِ وَأَرْبَعُهُ
وَدَوِيُّ الْهَدْيِ يُرَجِّعُهُ
نُورًا يَجْلُوهُ وَيَرْفَعُهُ
ذَكَرَى تَرْوِيهِ وَتَصْنَعُهُ
فَاطِلٌ وَأَشْرَقَ مَطْلَعُهُ

وَتَرَى الْمَيْدَانَ يَخْفُ لَهُ
وَنَدِيَّ الرَّوْضِ وَنَسْمَتُهُ
وَالْوَرْدُ وَنَفْحَةُ زَهْرَتِهِ
وَالْوَرْدُ وَدَفْقُ مَنْ دَمِهِ
يَاطِيبَ الْمَضْجَعِ فِي أَرْجٍ
وِظِلَّالِ الشُّوقِ لَهُ سَكَنٌ
وَنَدِيَّ الرَّحْمَةِ تُمْطِرُهُ

* * *

٩ / ١ / ١٤٠٦ هـ

٢٣ / ٩ / ١٩٨٥ م

هي النجاة أدركيها
(النجاة من حضارة الغرب)

أَيُّ جُنُونٍ مُؤَبِقٍ أَيُّ رَدَىٍّ مُحَقِّقٍ
 أَيُّ ضِيَاعٍ تَائِهٍ أَيُّ هَلَاكِ مُحَدِّقٍ
 يَا وَيْحَهُمْ قَدْ غَرُّوا أَيُّ فَتَىٍّ لَمْ يَغْرِقِ
 فِي شَهْوَةٍ مَحْمُومَةٍ وَفِتْنَةٍ لَمْ تَرْفُقِ
 وَنَزْوَةٍ عَارِمَةٍ مِنْ مُجْرِمٍ وَمِنْ شَقِي
 وَظَلَمَةٍ زَاخِفَةٍ تَسُدُّ وَجْهَ الْأُفُقِ

* * *

يَا أُمَّةَ مَا بَرَحَتْ فِي خَدَرٍ لَمْ تُفَقِ
 وَسَكْرَةَ غَارِقَةٍ فِي حُلْمٍ مُنَمِّقِ
 وَغَفْوَةٍ قَاتِلَةٍ فِي لَهْوِهَا الْمَمَزِّقِ
 عَلَى شِعَارٍ كَاذِبٍ وَرَأْيَةٍ لَمْ تَصُدِّقِ
 وَتَاجِرٍ مُضَلَّلٍ وَمُدَّعٍ مُرْتَزِقِ
 وَفَاجِرٍ وَغَادِرٍ وَخَائِنٍ وَأَحْمَقِ
 يَحَارُ فِي أَصُولِهِمْ كُلُّ فَتَىٍّ مُدَقِّقِ
 وَكُلُّ يَوْمٍ شُبْهَةٌ عَلَى رِجَالٍ تَرْتَقِي
 فَمَنْ يَهُودِيٌّ عَلَى قِنَاعِهِ الْمُرْوِقِ

وَمِنْ صَلِيْبِي جَرَى
يَظُنُّ أَنَّ الْأَجْنَبي
أَوْ كَانَ فِيهِ عَزَّةٌ
وَمَا رَمَى فِي دَارِهِ

* * *

وَاخْتَلَطَ النَّاسُ عَلَيَّ
فَلَمْ تَعُدْ تَمِيْزِي
لَا خُلِقَ يَجْمَعُهُمْ
وَلَا هُدَى الدِّينِ وَلَا
تَزَاحَمَ النَّاسُ عَلَيَّ
كَمْ فَتَحُوا مِنْ فِتْنٍ
كَمْ فَتَقُوا فِي دَارِهِمْ
كَانُوا عَلَيَّ يَدٍ وَقَلْبٍ
وَأُمَّةٍ مَرْضُوصَةٍ الْبُنْدِ
يَضُمُّهَا الْقُرْآنُ وَالسُّ
يُبَيِّرُ مِنْ دُرُوبِهَا

* * *

كَمْ عَصِيْبِيَّةٍ رَمَتْ
وَجَاهِلِيَّةٍ أَتَتْ
فَمَنْ هَوَى قَوْمِيَّةٍ

خَلَفَ هَوَى مُفْرَقٍ
يُنْجِدُهُ فِي الْمَأْزِقِ
لِدِينِهِ لَمْ يَنْفُسُقِ
مِنْ لَهَبٍ مُحْرَقِ

مَصْلَحَةٍ وَمِرْفَقِ
مِنْ جَاهِلٍ أَوْ مُتَّقِي
أَوْ دَعْوَةٍ مِنْ خُلُقِ
مَوْعِظَةٍ مِنْ مُشْفِقِ
لِعَاعَةٍ أَوْ رَمَقِ
هَاجَتْ وَلَمَّا تُغْلِقِ
فَتَقًا وَلَمَّا يُرْتَقِ
بِوَاحِدٍ وَمَوْثِقِ
يَبَانٍ لَمْ تُشَقِّقِ
نَهْضَةٍ ضَمَّ الْمُرْفِقِ
إِلَى صَبَاحٍ مُشْرِقِ

لَنَا بِشَتَّى الْفِرْقِ
لَنَا بِشَتَّى الطُّرُقِ
إِلَى هَوَى مُسْتَرْزِقِ

إلى اشتراكِي جَرَى
مُدَّعِيًا بَأَنَّهُ
فَأفْقَرَ النَّاسَ وَأَجَدَ
وَقَادِيَانِيَّ أَتَى
وَمِنْ بَهَائِي رَمَى النَّدَى
يَا فِرْقًا يَمِيرُهَا الشَّدَى
رَمَى بِهَا الْأُمَّةَ فِي
وَكُلُّهَا صَنِيعَةَ
فَلَمَّا الْفِرْنَجُ فِي
مَا بَيْنَ «وَأَشْنَطَن» أَوْ
وِظْلَمُ «بَارِيَس» الَّذِي
وَكُفْرُ «مُوسْكُو» لَجَّ فِي
وَكُلُّ مَنْ يَتَّبِعُهُمْ
يَصُوغُ مِنْ فِرِّيْتِهِ
يَصُوغُهَا مِنْ كَذِبِ
يُلَامِسُ الْحَقْدَ الَّذِي
أَوْ طَمَعِ طَوَاهُ فِي
فَكَمْ تَرَى مِنْ رَجُلٍ
وَكَمْ تَرَى عَصَابَةً
تَغِيْبُ فِي سَكْرَتِهَا
تَهِيْجُ فِي عَاصِفَةٍ
وَعَضْبَةٍ مِنْ شَرِّهِ

يَهِيْجُ حَقْدَ الْمُمْلِقِ
يَسْعَى لِيَوْمِ مُوْرِقِ
رَى نَصْلَهُ فِي الْعُنُقِ
بِفِتْنَةٍ لَمْ تُغْلَقِ
سَاسَ بِشَرِّ مُغْرِقِ
يَطَّانُ دُونَ الْفِرْقِ
خَوَاطِرٍ وَمَنْطِقِ
لِأَجْنَبِيٍّ مُنْفِقِ
خِتَالِهِ الْمُلْفِقِ
«لِنُدُن» شَرُّ الْمَازِقِ
طَنَى بِكِبَرِ مُرْهَقِ
عُدْوَانِهِ الْمُطْوَقِ
مِنْ طَامِعٍ فِي مَشْرِقِ
عَلَى لِسَانِ ذَلِيقِ
وَزُخْرَفٍ مُنَمَّقِ
نَمَا بِصَدْرِ ضَيِّقِ
أَحْنَائِهِ مِنْ فَرَقِ
وَصِيْحَةِ مَنْ نَزَقِ
وَتُورَةٍ مِنْ حَنْقِ
مِنْ خَمْرِهَا الْمُعْتَقِ
مِنْ غِيْهَا الْمُنْطَلِقِ
وَصَرْخَةٍ مِنْ حُمُقِ

تَقُولُ: يَا حَضْرَةَ الـ
 وَأَقْبَلِي بِكُلِّ زُخْمٍ
 وَأَقْبَلِي وَغَرْدِي
 وَأَقْتَلِعِي الـدِّينَ وَكُـ
 وَزَيْنِي الظُّلْمَ وَحَمـ
 هَاتِ لَنَا الْفِتْنَةَ فِي
 وَجَرْدِي الْمَرْأَةَ مِنْ
 وَجَرْدِيهَا مِنْ بَقَا
 وَارْمِي بِهَا عَارِيَةً
 لِكُلِّ ذَنْبٍ جَائِعٍ
 ثُمَّ اقْتَلِي بَقِيَّةَ الْإِ
 لَمْ يَبْقَ إِلَّا مُضْغَةٌ
 يَبْصُقُهَا وَيَتَشَنِّي
 وَغَلْفِي الْجَرِيمَةَ الـ
 بِرَايَةٍ كَاذِبَةٍ
 كَمْ عُرْسٍ فِي مَاتَمٍ

غَرَّبَ أَطْلِي وَاخْفَقِي
 رُفٍ وَكُلِّ رَوْنَقٍ
 مَعَ الْهَوَى وَصَفْقِي
 لَ غَرْسَةٍ مِنْ خُلُقِ
 أَلِ الْجِنْسِ دَفَقِ الشَّبَقِ
 زَهُو الشَّبَابِ الرَّيِّقِ
 عَفْنِهَا وَأَنْطَلِقِي
 يَا ثُوبَهَا وَالْخِرْقِ
 عَلَي ثُنَايَا الطُّرُقِ
 وَكُلِّ وَحْشٍ مُطْبِقِ
 نَسَانٍ فِيهَا وَاسْحَقِي
 يَلْفُظُهَا كُلُّ شَقِي
 لِلْهُوهِ الْمَمَزَّقِ
 كُجْرِي بِثُوبِ خَلِقِ
 أَوْ بِشِعَارِ شَيْقِ
 وَمَاتَمٍ فِي رَوْنَقِ

* * *

حَضْرَةَ الْكُفْرِ اَمَلَدَ
 بِالذَّمْعِ بِالْأَنَّةِ بِالـ
 بِالْجُوعِ بِالثُكْلَى بَأَيْدِ

بِئِ الْأَرْضِ بِظُلْمِ مُطْبِقِ
 جُرحِ الْعَمِيقِ الْمُرْهَقِ
 تَامٍ بِسِجْنِ ضَيْقِ

بِالذُّلِّ . . . بِالْمَوْتِ الْبَطِّ
بِالذَّمِّ فِي مَجْرَرَةٍ
بِكُلِّ بَيِّنَانِ هَوَى
يَذْفَنُ فِي انْقَاضِهِ

* * *

مَا قِيمَةُ الْعِلْمِ الَّذِي
يُلْهَبُ مِنْ جُنُونِهِ
يَنْبِي وَيُعْلِي مَا بَنَى
يُنْفِقُ فِيهَا عُمْرَهُ
ثُمَّ نَرَاهُ يَنْتَنِي
يَهْدُمُهَا إِلَى الثَّرَى
فَهَذِهِ حَضَارَةٌ

* * *

وَأَيُّ فَنٍّ يُرْتَجَى
عَلَى رُكُوبِ لَيْلِنِ
وَأَلَةٍ تَخْدُمُهُ
وَهَاتِفٍ يَجْمَعُهُ
وَوَثْبَةِ الصَّارُوخِ فِي
وَكُلِّ مَا قَدْ يَشْتَهِي
وَنَزْوَةٍ تَطْرَحُهُ

ي . . . بِالْأَسَى . . . بِالصَّعَقِ
بِالْهَبِّ الْمُحَلَّقِ
بِطِفْلِهِ الْمَمْرُوقِ
مِنْ غُصَصٍ أَوْ حُرْقِ

يُلْهَبُ حُمَى السَّبَقِ
وَمِنْ هَوَى أَوْ شَبَقِ
شَوَاهِقًا فِي أَفْقِ
وَفِيضَ كَنْزِ مُغْدِقِ
فِي لِحْظَةٍ مِنْ نَزَقِ
كَأَنَّهَا لَمْ تَسْمُقِ
وَإِهْيَاةً مِنْ وَدَقِ

* * *

مِنْ مُجْرِمٍ لَا يَتَّقِي
وَمَنْزَلٍ مُنْسَقِ
فِي حَاجَةٍ وَمِرْفَقِ
بِصَحْبِهِ الْمَفْرَقِ
عَوَالِمٍ لَمْ تُطْرَقِ
هُ مِنْ نَعِيمٍ مُورِقِ
فِي خَدْرِ مُطْوِقِ

وَأُمَّةٌ فِي مَحَاقٍ
مِنْ كَدِّهِ وَالْعَرَقِ
إِلَيْهِ فَوْقَ الطَّبَقِ
هَائِجَةٌ لَمْ تُغْلَقِ
وَطَعْنَةٌ فِي عُنُقِ
مَنْ بَدَّلَ مَرْهَقِ
شُكِّكَ وَطَوْلِ الْأَرَقِ
سِوَى شِعَارِ ضَيْقِ
كَبَعُضِ ثُوبِ خَلْقِ
يَصِيرُ نَهْبًا لِشَقِي
وَاحِدَةٌ فِي فِرَقِ

* * *

قَتْلِ شَعْبِ مُعْرَقِ
إِبَائِهِ الْمُرُوقِ
وَعِزَّةٍ مِنْ صُدُقِ
وَصِيْحَةٍ مِنْ مُشْفِقِ
لِوَانِطُوتٍ عَنْ مَلَقِ

* * *

لِظَالِمٍ أَوْ أَحْمَقِ
مَعَ الْهَوَى أَوْ أَخْرَقِ

رَفَاهَةٌ فِي أُمَّةٍ
فَذَاكَ يَجْنِي قُوتَهُ
وَذَاكَ يَجْرِي رِزْقَهُ
وَكُلُّ يَوْمٍ فِتْنَةٌ
رِصَاصَةٌ فِي كِبِدِ
قَدْ نَزَعَتْ مِنْ نَفْسِهِ الْأَ
وَأُورِثَتْهُ الْخَوْفُ وَالْ
حَضَارَةٌ مَا حَمَلَتْ
حَضَارَةٌ بِالْيَيْتِ
وَكُلُّ مَا تُفَرِّزُهُ
وَمَلَّةُ الْكُفْرِ بِهَا

أَقْسَى جَرَائِمِ الْعَتَا
وَقَتْلِ مَا فِي الْمَرْءِ مِنْ
وَمِنْ كَرَامَةِ الْهُدَى
وَلَا تَرَى مِنْ دَمْعَةٍ
مَاتَتْ مُرُوءَاتُ الرَّجَا

يَا أُمَّتِي لَا تَرْكِنِي
لَا تَرْكِنِي لِجَاهِلٍ

وَاعْتَصِمِي بِاللَّهِ وَاللَّهِ
مَنْ كَانَ فِي حِمَاهُ ظَلَمَ
وَمَأْمَنُ مَنْ كُتِلَ عَا
هِيَ النَّجَاةُ أَذْرِكِي
جَأِي لَهُ وَاسْتَبِقِ
لَّ فِي حِمِّي لَمْ يُخْرَقِ
دِمَاكِرٌ أَوْ مِنْ شَقِي
هَا أَوْ ذَرِيهَا فَاغْرَقِي

* * *

١/٢٢ / ١٤٠٦ هـ

٦ / ١٠ / ١٩٨٥ م

مع الأصدقاء بين الحوار والمعارضات والتهنئة والمداعبات

- * مع هارون هاشم رشيد:
 - شاعر يافا (لهارون هاشم رشيد).
 - الأمل المنور والوحيد.
 - إلى الشاعر النحوي (لهارون هاشم رشيد)
 - وما عتبي عَلَيك بُحْبُ دارٍ
- * مع الدكتور يوسف عز الدين:
 - يا أحمد الخيرات (للدكتور يوسف عز الدين).
 - أحلى العتاب.
- * مع الخليل النحوي:
 - ليلة في الدوحة (للخليل النحوي).
 - نفحة من موريتانيا.
- * تحية «إلى حيدر آباد» في الهند.

مع هارون هاشم رشيد

نشرت جريدة الشرق الأوسط في عددها ليوم الاثنين ٢١ محرم ١٤٠٨هـ، الموافق ١٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٧م، قصيدة للأخ الشاعر هارون هاشم رشيد بعنوان «شاعر يافا»، يوجهها إلى الشاعر «سعيد العيسى»، «شاعر يافا وغريدها، إليه، في غربته، نبضة حب، ودفقة وفاء»، كما كتب الأخ هارون نفسه في مقدّمة قصيدته. والقصيدة حلوة في نغمتها، شجية في حنينها، غنية في بنائها. ولكنني اختلفت مع الأخ هارون في بعض المعاني والتعبيرات التي وردت في قصيدته. فكتبت له رسالة ودّ وتحية لأشرح محور اختلاف وجهات النظر، وأرفقت مع الرسالة قصيدة بعنوان «الأمل المنور والوحيد»، لأن هذا التعبير والسياق الذي جاء فيه يمثل محور الاختلاف. فهو يقول:

أخي ب حياة يافا وهي منا لنا الأمل المنور والوحيد
وقلت في قصيدتي :

أخي بالله لا بحياة يافا لنا الأمل المنور والوحيد

وكان أن نشر الأستاذ هارون قصيدتي في الشرق الأوسط. ففوجئت بنشرها، ثم تلا ذلك أن نشره الجميل على قصيدتي. وانقطع إلى هنا الحوار الممتع، ربّما بسبب مرضي وتوالي الأحداث. ولكن بعد حين وأنا أراجع القصائد الثلاث انطلقت قصيدة رابعة أختتم بها هذا الحوار الشيق بعنوان: «وما عتبي عليك بحبّ دار»، وعسى أن أوفّق في إرسالها إليه.

وأرى من واجبي نشر القصائد الأربع عسى أن يكون في ذلك وفاء لأخ كريم، وهي:

إلى شاعر يافا: نشرتها الشرق الأوسط في ٢١ محرم ١٤٠٨هـ
(١٩٨٧/٩/١٤).

الأمل المنور والوحيد: نشرتها الشرق الأوسط في ١٢ جمادى الآخرة ١٤٠٨هـ
(١٩٨٨/١/٣١).

إلى الشاعر النحوي: نشرتها الشرق الأوسط في ٧ شعبان ١٤٠٨هـ
(١٩٨٨/٣/٢٦).

وما عتبي عليك بحب دار: (لم تُنَش).

وقد كان من ثمرة هذا الحوار أن دارت بيني وبين الشاعر سعيد العيسى مراسلات
كان محور الحديث فيها عن الإسلام . وكان في ديوانه الذي نشره يقدم لكل قصيدة بآية
كريمة ويتحدث عن عيسى عليه السلام وعن مريم بمعاني القرآن الكريم .

شاعريافا

(إلى سعيد العيسى، شاعريافا.. وغريدها، إليه.. في غربته.. نبضة حب..
ودفقة وفاء..).

(١)

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| يمر بخاطري.. الاسم الفريد | فأسأل.. كيف حالك.. ياسعيد |
| ويافا في قيود الأسر ثكلى | يحاصرها.. ويهدمها اليهود |
| فلا الدور التي شهدت صبانا | ولا الساحات، تغمرها الورود |
| ولا النسيمات عند الفجر سكرى | بنفح البرتقال، ولا النجود |
| ولا التكبير، يشرق في سماها | فيزهو في مساجدها السجود |
| ولا الأجراس.. دقات توالي | فتندفع المواكب.. والحشود |
| ولا الحارات، بالأطفال تزهو | وما في ساحة الأحلام غيد |

(٢)

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| فيافا.. اليوم أنقاض تراءى | مخربة.. يدنسها العبيد |
| يجوس دروبها شؤم وحقد | وينخر في جوانبها صديد |
| ودار العامرية ليس فيها | سوى الذكرى، تعيد، وتستعيد |
| وساعتنا، التي كانت مناراً | لنا صدئت وأخرسها الركود |

(٣)

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| حبيب الشعر.. حتى الشعر أضحى | كسيفاً.. لا يثير، ولا يجود |
| فيافا لا تجيء به التفاتاً | ولا في نبره، يرد الوعيد |

كلام الشعر، أضحى ثمرات
فلا يافا ولا ذكرى لقاها
مبعثرة، يغلفها الشroud
تردد أو يفجرها القصيد
يضلل باسمه الجيل الجديد
وصار الرمز حجة منشدينا

(٤)

حبيب الشعر.. بي شوق عنيف
فهلأ، هب شعرك من جديد
ليافا، لا يكل، ولا يحيد
كما الأنسام، يحمله البريد
يجيء من البعيد، وإن تناءت
وهل ديوانك المنخبوء يعلو
ديار بيننا، وقست حدود
شهابا، تَسْتَتِيرُ به الوفود

(٥)

أخي بالله، أطلقها سرايا
فيافا في انتظارك وهي أم
من الكلمات، يحضنها الخلود
لنا.. قد شاقها الابن السعيد
لنا، الأمل المنور والوحيد
يؤرقنا لك الشوق الشديد
فتنتشر العساكر، والبنود
وذكر، ربما انتفع الشهود
عن الأنظار، ينشرها النشيد
تراث عن ليالينا، مجيد
ترد الغزو، شامخة تذود
مواقفنا، تزيد، وتستزيد
بيافا، غاله الخصم اللدود
جماهير، تكبلها القيود
وإن عز المساند والمريد
أعدنا للذي قد كان إنا
فخل الشعر يبرق في سمانا
أعدنا للذي قد كان منا
فأيام النضال، وإن توارت
فأين أخي سعيد، أين منا
وأين مواقف الأبطال دهرأ
وأين صحائف، حفظت زمانأ
أتذكر صاحبي، كم من شهيد
وكيف مبكراً هبت تليبي
فما ضلت، ولا كلت خطاها

(٦)

أعدنا . شاعري لرؤى هوانا
ومهما دارت الأيام إنا
لنا يافا، لنا الذِّكر الغوالي
أعدنا أطلق الكلمات شعراً
فما بعد البلاد لنا وجود
إلى أحضانها، شوقاً نعود
لنا التُّربُ المقدس، والجدود
يبشر بالغد الآتي، وجود

* * *

هارون هاشم رشيد

الأمل المنور والوحيد

تجيء هذه القصيدة تجاوباً من الشاعر رداً على قصيدة سبق للشاعر الأستاذ هارون هاشم رشيد أن نشرها في هذه الصفحة عن الشاعر الكبير سعيد العيسى، ابن يافا. . المدينة الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٤٨م.

أخي هَارون، حَقَّكَ أَنْ تَنَادِي
جَمِيلٌ أَنْ تَكُونَ أَخَا وَفَاءِ
وَحَقُّكَ أَنْ تَغْنِي أَرْضَ يَافَا
وَحَقُّكَ أَنْ تَعُودَ لَذَكْرِيَاتِ
وَأَزْهَارِ تَفُوحِ عَلَى رُبَاهَا
و«حَارَاتِ»، و«أَحْلَامِ» وَدُنْيَا
وَأَطْيَافٍ مِنْ «الذَّكْرِ الْغَوَالِي»
وَأَنْقَاضٍ بَكَتْ فِيهَا اللَّيَالِي
وَحَقُّكَ أَنْ تَصَبَّ الدَّمْعَ صَبًّا
حَلَالٌ أَنْ يَلْحَ بِنَا حَيْنِ
نَدَاؤُكَ لَوْ عَلِمْتَ هَوَى شَرِيدُ
«وَتَسْأَلُ كَيْفَ حَالُكَ يَا سَعِيدُ»
وَتَسْحَرُكَ «النَّسَائِمُ» وَ«الْوَرُودُ»
تَمُوجُ بِهَا طِفُولَاتٌ وَ«غِيدُ»
و«نَفْحُ الْبَرْتَقَالِ أَوْ النُّجُودُ»
زَهَتْ فِيهَا الرِّخَارْفُ وَالشُّهُودُ
و«تُرْبُ» نَفْحُهُ عَبَقٌ وَجُودُ
وَعَوَى الذُّئْبِ وَالرَّيْحُ الشَّدِيدُ
وَقَدْ غَابَتْ «وَدُنْسُهَا» الْيَهُودُ
لأوطانٍ «يُفَجِّرُهُ الْقَصِيدُ»

* * *

ولكن كيف تختلط المعاني
أخي! بالله لا «بِحياة يافا»
أخي! بالحقِّ تحملهُ قلوبُ
وللرحمان تَطْرُقُ كُلُّ بَابِ
وتختلطُ المشاهدُ والشُّهُودُ
لنا الأملُ المنورُ والوحيدُ
وبالإيمان تدفعهُ الزنودُ
وتنطلقُ «المواكبُ والحشودُ»

وحلوا أن تثير هوى «سعيد»
وأبي ترنم يسلمو هوانا
وأصدق ما يكون به هوانا
وتكبير ترجمه الثنايا
وخطف المشرعات على ربانا

* * *

ليدفعه الترنم والنشيد
ويرجع منه ما أخذ اليهود
يقين مشرق وتقى وجود
وتهلل الكتاب والبنود
على اسم الله زغردة وعيد

عجبت! وكيف تختلط المعاني
وتجمع بين «تكبير» ندبي
وبين مناهج شتى رمتنا
و«أيام النضال» وكم بلونا
فيا لست النداء إذن «جهاد»
وتألق الروابي من دمانا
وحقك أن تحن لأرض يافا
فلو وثقت من شوق غراها
ولج حينك الفياض فيها
ولم تنأثر الأشواق ديين
فكيف إذا دعا هذا لعكا
وأخر من ربي صفد أتاه
وصار لكل قافية هواها
تفرقت النفوس إذن عليها
ولو غنيت يافا في حلاها
لكان أعز ما حملته يافا

* * *

وتختلط المناهج والمهود
تردده البطاح أو الكبود
يرجع من ماسيها الحديد
هتافات بها وزها النشيد
تدوي من عواصفه النجود
ويشر عطره البطل الشهيد
وفي أطرافها ذكر وصيد
لساحات وطاف بك القصيد
ووسعت المرباع والحدود
وجمع من نوازعها العهود
وحركه لها حب وحيود
هوى طاغ وذاك هوى جديد
وأرباب مفرقة تسود
وضاعت في مسالكها الجهود
وما حملته من درر عقود
عقيدتها وتوحيد رشيد

وأطيب قُدسِها وَحْيِ عتيدُ
وأطيب الفُتوحِ وما تُعيدُ
تمزقنا على الساحِ البنودُ
وكلُّ مدينةٍ حِزْبُ جديدُ
يجمَعُنا بهِ العهدُ الأكيدُ
يرجِعُ لحنها حَضْرُ وبيدُ
ولا نفتحُ روائعها الورودُ
وجفَّ البُرْتقالُ فما يجودُ

* * *

جِراحِ أسيِّ فأسكتَهُ الكُنودُ
وتهجرُهُ الأمانِي والوعودُ
ويسكتُ عندهِ وترٌ وعودُ
بأشواقِ العقيدةِ قَدْ يعودُ

* * *

١٢ صفر ١٤٠٨ هـ (١٠/٥/١٩٨٧م)

عدنان على رضا النحوي

أُتَجَعَلُ مَنْ قَداسَتِها «ترايباً»
ونورُ نَبوةٍ وجمالِ دينِ
أُتَذَكَّرُ يا أخي أيامَ كُنّا
لِكَلِّ قبيلةٍ علمُ مفدى
فغنى إذا رغبتَ هواك ديناً
وغنى هوى العقيدةِ في جلالِ
فلولاهُ لَمّا عبقّتَ رياضُ
ولا نفتحُ بساتينِ شذاهَا

لعلَّ أخي سعيداً مالٌ يَطوى
تحطُّمُه الهزيمةُ كلَّ يومِ
فيُطفئُ حزنُهُ لهبَ القوافي
لعلَّك لو أثرتَ هوى سعيدِ

إلى الشاعر النحوي

إليه .. مع الحب والتقدير في الرد على قصيدته العصماء .

شعر: هارون هاشم رشيد

سعدت .. وشاعري «النحوي» يَجُودُ
يردُّ عليَّ إذْ شِعري يَغني
وأني للزَّرابِ، نذرتُ شِعري
وأني قد كلفتُ بحبِّ «يافا»
وأني قد حملتُ لها غراماً
وأني جئتُ شاعرَها أنادي
وأني أحملُ الأسماءَ أغني
يُطالبني أخي صدقاً، وحباً
ويَدعوني إلى شدوٍ أناجي
ويذري أنني ما حدثُ يوماً
حملتُ عقيدتي سيفاً قوياً
وكنْتُ بها أدافع عن بلادي
فأين العيبُ في هذا برّبي
نعم إيماننا بالقدسِ يعلو
نعم إيماننا بالله يُشري
وبالإيمانِ نصمّدُ للرزايا

عليّ .. بشعره .. وهو المُجيدُ
بلادي، أو يهيمُ بها القصيدُ
وللجناتِ .. شدتني .. الورودُ
وهمتُ بها .. وأرقني الشُّرودُ
بأعمامي له نبضٌ شديدُ
عليه، وهو منفي .. بعيدُ
بها الأيامُ، إبداعاً .. أجدُ
بإيماني .. وإيماني .. وطيدُ
به .. ما أستطيعُ وأستزيدُ
عن الإيمانِ أو مالَ الرشيدُ
يقاتلُ لا يكفُّ ولا يحدُ
وعن أقداسِ حرمتهَا أذودُ
وفيمَ العتبِ يحمله القصيدُ
بنا .. ويرد ما سلب العبيدُ
مسيرتنا، يحقِّقُ ما يريدُ
وبالإيمانِ يتصرُّ الشهيدُ

سرايا الفتح زلزلاً يميّد
 بلادي أو أهابَ به الجنودُ
 نحبّ بلادنا، ولها . نعودُ
 نردّدُ إسمها أو نستعيدُ
 عليك، وأنه اختلطَ القصيدُ
 وقد غيلتُ ودنسها اليهودُ
 بغى الباغى وزوّرت الشهودُ
 إلى وطنٍ تكبّله القيودُ
 إلى التحرير، مندفعاً يذودُ
 إلى التوحيدِ تحميه الحشودُ
 لواء الحقّ، إسلاماً . يسودُ
 يجمّعنا، به العهدُ الأكيدُ
 لهذا، كانَ يدفقُ يستزيدُ
 إلى ديني، انتمائي والوجودُ
 وموطننا لنا فيه الخلودُ
 وتختلطُ المناهجُ، والردودُ
 على عهدي، أكافحُ لا أحيّدُ
 أجاهدُ . لا تضلّلني الوعودُ
 وما مالت بخطواتي الحدودُ
 وتجذبني الروابي والنجودُ
 قداساتٍ . . أجل وبه أشيدُ
 وفي طياته سكنَ الجدودُ

وبالإيمان تندفعُ السرايا
 فما عيبٌ إذا الإيمانُ غنى
 أما من شرعة الإيمان أنا
 أما من شرعة الإيمان أنا
 تقول . . بأنها اختلطت معانٍ
 فما عيبٌ إذا ما قلتُ يافاً
 وحب الأرضِ إيماناً إذا ما
 وما معنى الجهادِ بلا اندفاعِ
 وما معنى الجهادِ بلا قتالِ
 أما كئنا الألى رفّعوا لواءً
 نزلنا الأرضَ نرفعُ في سماها
 تقولُ إذا رغبتُ فغنّ ديناً
 وشعري كله معنى ومبنى
 فإن غنيتُ أوطاني فإني
 والله العليّ الدينُ فينا
 تقولُ لديك تختلطُ المعاني
 وما أدري الذي تعنيه أني
 حملتُ الجرحَ من وطني، طويلاً
 وكنتُ الواضحَ الواضحَ دوماً
 أنا مازلتُ تفتنني بلادي
 وتساألني أأجعلُ من ترابي
 ترابي فيه، آبائي وقومي

إلى الدنيا، وكنتُ بهِ أسودُ
 ودونَ الموطنِ الغاليِ يعودُ
 تعلمناهُ علمنا الجدودُ
 بأن الدينَ تحميهِ الجنودُ
 وتحميهِ العساكرُ والبنودُ
 بهِ . . . وتشدُّ جبهتهِ الحشودُ
 ومازلنا . وما هذا جديدُ
 فبالإيمانِ موقفه، وطيدُ
 وظل بشعره الساميِ وجودُ
 ولا زالت بخطوته، قيودُ
 ولا جفت، ولا جفَّ الوريدُ
 لموطننا، وما هذا جديدُ
 وغنينا، وارتفعَ النشيدُ
 دواوين، بها يحلُّ القصيدُ
 وأشواق، وأجنحةُ شroudُ
 فلسطيناً عن التقوى تحيدُ
 وإيماني بأوطاني شديدُ
 عن الأوطانِ في الجلى يدودُ
 وفي نبضي . وفي روحي، عتيدُ
 له يحلُّ التبتلُ والسجودُ
 بماذا . . بعد . . يختلط القصيدُ

تونس ١٢ شعبان ١٤٠٨ هـ

٣٠ آذار (مارس) ١٩٨٨ م

تُرابي منه أطلقتِ السرايا
 فماذا قد أساوي دون أرضي
 هو الإيمان، بالأوطانِ شرعُ
 وعلمنا الألى سبقوا خطانا
 وتحميهِ الفيالقُ زاحفاتُ
 ويحميهِ القوي إذا تحلَّى
 فبالإيمانِ قاتلنا طويلًا
 وأما شاعري هذا . . سعيدُ
 فقد غناه أعواماً طوالاً
 وما أبدأ تحطمَ أو تهاوى
 وما سكتت قوافيه، انطواءً
 فيا «نحوي» نحنُ معاً نغني
 عشقنا كونه أرضاً، سماءً
 وقد راجعتُ بئكَ وهو عندي
 وفيها منه أطياف عذابُ
 فما يعني، بأنك إذ تغنى
 تطالُبني بماذا . . لستُ أدري
 وإيماني بأن الشعرَ سيفُ
 وإيماني بربي في عروقي
 وما بيني وبين الله باقُ
 فيا صاحبي! وحقك لستُ أدري

وما عتبي عليك بحب دارٍ

وما يجلو بيانك والقصيدُ
 وزال اللبسُ والظنُّ البعيدُ
 جليُّ أو خفيُّ أو شروءُ
 جليُّ لا تنازعهُ الشهودُ
 لها في كلِّ ناحيةٍ شهيدُ
 وعهدُ الله والزحفُ الشديدُ
 تجليها الملاحمُ والبنودُ
 به الرحمنُ عهدهم الأكيدُ
 وفاءُ أمانةٍ وتقى رشيدُ
 على حبِّ الديارِ وما يُعيدُ
 حينُ دائمٌ وهوى يزيدُ
 تطيرُ إلى مرابعها الكبودُ
 والأفاظُ تحارِبُها الردودُ
 تقىُّ أو هوى فيه جُحودُ
 بنا ورمى تآخينا الحدودُ
 كما يعني الأذنانُ أو السجودُ
 على خلفٍ توفقه الجُهودُ
 ودينُ الله، لو يدري، وحيدُ

أخي هارون حسي ما أتاني
 لقد أوضحتْ مُشْتَبَهَ المعاني
 وللألفاظِ آفاقٌ فَمَعْنَى
 وأفضل ما يَصُوغُ المرءُ قولُ
 وما عتبي عليك بحبِّ دارٍ
 يُباركها على الأزمانِ دينُ
 وأنوارُ النبوةِ في رباها
 وعهدهم لأحمد حين أسرى
 له للمسلمين الدارُ حقُّ
 أخي ما كان عتبي في قصيدي
 فقلبي مثلُ قلبك في هواها
 تكادُ من الحنينِ وقد أسرنا
 خشيتُ عليك من بعض المعاني
 والوانُ الهوى شتى: فحبُّ
 فكم عصبيةٍ جهلاءُ أودتْ
 وكم رجلٍ رأى الأجراسَ تعني
 وكم رجلٍ رأى الأديانَ تمضي
 رأى الأديانَ من جهلٍ سواءِ

هو الإسلام لا يَرْضَى سِوَاهُ
وَأَفْضَلُ مَا نَقُولُ لِأَهْلِ عَهْدِ
فَنَدْعُوهُمْ إِلَى كَلِمٍ سَوَاءٍ
وَنُصَحِّحُ صِدْقَ دَعْوَتِنَا وَنَبْقَى
لَنَا أَمْرُ الدِّيَارِ نَبْرٌ فِيهَا
فَأَمَّا أَنْ يُجِيبُوا أَوْ يَظْلُمُوا
عَدَلْنَا فِي مَسِيرَتِنَا وَصُنَّا
وَلَكِنْ كَلَّمَا مَلَكَوْا أَدَارُوا
مَجَازِرُ تَمَلُّا التَّارِيخِ ظُلْمًا
وَحَسْبُكَ مَا يَدُورُ بِأَرْضِ «بوسنا»
وَحَسْبُكَ مَا يَدُورُ بِكُلِّ أَرْضٍ
فَمَا يُجِدِي الْبُكَاءُ عَلَى طُلُولِ
وَلَكِنْ تَرْجِعُ الدُّنْيَا إِلَيْنَا
إِذَا صَدَقْتَ مَعَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا
وَلَمْ يَبْقَ التَّنَافُسُ حَوْلَ دُنْيَا
هِيَ الدُّنْيَا عَلَى دَوْلٍ نَرَاهَا
فَتَوَزَنَ بَعْدُ فِي مِيزَانِ قِسْطِ
فَذَلِكَ يَا أَخِي مَا كُنْتُ أَخْشَى

* * *

١٢/١١/١٤١٣هـ

٤/٤/١٩٩٣م

عدنان على رضا النحوي

مع الدكتور يوسف عز الدين

كان بيني وبين الأستاذ الدكتور يوسف عز الدين مراسلات . بعث لي في إحداها بصورة من قصيدة كتب عليها : أولى قصائد العتاب ، وجعل عنوانها : «يا أحمد الخيرات دع قيثارتى» ويبدو أنه يوجهها إلى صديقه الشاعر أحمد ، دون أن يبين لي أي تفاصيل عن موضوع العتاب ، ولا عن مناسبة القصيدة وكان مطلعها :

جَفَّ اليرَاعُ ومَاتت الأحلامُ وتحشَرَجَتْ في عَزفها الأنغامُ
لم يبق لي غير العتاب أسوقه فالقلبُ يحرقه لظى وضرامُ

فبعثت إليه بقصيدة ابتدأت بها بتشطير مطلع القصيدة السابقة ، أو البيتين

السابقين .

وإن كنت لا أدري تفاصيل العتاب . ولكنني استنتجت أن الدكتور يوسف عز الدين عاتب على بعض من أسأوا له . فأتملت الأبيات الأولى بعد ذلك لأوفي الرأي والنصيحة على ضوء ما وعيت .

يا أحمد الخيرات دع قيثارتي

في زحمة العمل المرهق هبت نسמתك العطرة ترجوني أن أنظم لك قصيدة
لتسعدني بتشطيرها. أشكرك على جميل وفائك، ومعدرة عن مرارة القصيدة:

جَفَّ اليراعُ وماتت الأحلامُ وتحشرجتُ في عزفها الأنغامُ
لم يبقَ لي غير العتاب أسوقه فالقلب يحرقه لظى وملام
رفض العتاب أذفه لرياضكم هل ثم للود القديم مقام؟
هي حبة العين التي رويتها صدق الهوى وتضاحكت أنسام
هي همسة الأمل الجميل بربعها بسم الأريج وغنت الأكام

* * *

وطن هويت به رُبي كُثبانِه وبطاحه ما كرت الأيام
وطن لبستُ هواه مَرهُوَّ المنى فشدا القريض ولحنه بَسام
كم غازلتني في هواه مَواطِنُ وسوى هواه للفضاد حرام
فأبيت إلا أن أعيش بظله متنعماً تزهو به الأحلام
وعزفتُ كل مَزهري لحناً له وترنَّحت من شدوها الأقلام
ونشرتها بين الخلود فرائدا ثملتُ لها الأنغام والأيام

* * *

ويلي ذلك أبيات ينفث فيها مرارة ألمه .

أ.د. يوسف عز الدين

عميد كلية الآداب

أحلى العتاب

وبكت على أيامها الأيام
وتحشرجت في عزفها الأنغام
وهوى أكنمه به وهيام
والقلب يحرقه لظى وملام
بين الظلال جرى هناك كلام
رفت على ساحتها الأنسام
وزكت لها الآمال والأحلام
ونما به ود وصح وثام
فمع العتاب مودة وسلام
من كان يصدق عهده وذمام
أوفت على سنن له الأيام
واغفر لصحبك، لا أصابك ذام
لانت عليك من الوشاة سهام
الله تغسل عندها الآثام
تجلى النفوس وتطرح الأوهام

جفّ اليراع وماتت الأحلام
وأكاد أحبس موجهها فتدافعت
لم يبق لي غير العتاب أسوقه
وبقية في أضلعي مدفونة
ما بين أنداء العتاب وهمسة
وكأنه زهر الربيع وأيكة
وشذا يطيب ونفحة عبقّت بها
أحلى العتاب إذا النفوس صفت به
وإذا غضبت على الصديق لهجره
واخشع لرّبك، لم يزل في نعمة
عهد مع الرحمن من أوفى به
أنت الوفي فقم لعهدك صادقاً
خلق جبلت عليه! من إحسانه
ما بين دمة راع أو ساجد
فاذا الحبال جميعها موصولة

١٤٠٦/١٢/١هـ

* * *

١٩٨٦/٨/٦م

مع الخليل النحوي

كان الأستاذ الأديب الشاعر الخليل النحوي الموريتاني في زيارة للدوحة في قطر، حيث التقى بأبناء الأستاذ حامد النحوي: خالد وماجد وأحمد، وصهره عصام عبدالقادر، وتمّ التعارف بينهم. وكان من ثمرة هذا اللقاء في الدوحة أن دار بيني وبين الأستاذ الخليل النحوي مراسلات، بعث لي في إحداها قصيدته التي قالها بمناسبة التعارف الذي تم في الدوحة بعنوان: ليلة في الدوحة. فبعثت إليه برسالة مع قصيدة بعنوان: نفحة من «موريتانيا». وكانت القصيدة آنذاك لا تزيد على عشرة أبيات. ثم أضفت إليها أبياتاً أخرى. وهنا أنشر القصيدتين كاملتين.

والخليل النحوي أديب شاعر معروف في نشاطه الأدبي والفكري والإعلامي له عدد من المؤلفات، وتنقل في عدة مراكز في وزارة الإعلام، ورئاسة تحرير بعض الصحف الموريتانية، واتحاد الصحفيين العرب، والمكتب الدائم لاتحاد الأدباء والكتاب العرب، والجامعة العربية.

وهو ابن الشيخ العالم المعروف في موريتانيا باسم الإمام الشيخ محمد النحوي.

ليلة في الدوحة

للأديب الشاعر الخليل النحوي

لَيْلَةٌ . . أَكْرَمَ بِهَا مِنْ لَيْلَةٍ
غَمَرَ الْبَشْرُ أَحَاسِيْسِي بِهَا
أَنْصَفْتَنَا مِنْ يَدِ الْعَيْشِ الَّتِي
لَيْلَةٌ مَنْ بِهَا اللَّهُ وَقَدْ
جَمَعَ الشَّمْلَ وَلَا مِنْ مَوْعِدٍ
فَإِذَا بِي بَيْنَ أَهْلِي . . لَسْتُ
يُنْعَشُ الدَّفَاءُ، ضُلُوعِي بَيْنَهُمْ
زَادَنِي فَخْرًا وَتِيهًا مَا لَهُمْ
خُلِقَ جَمٌّ وَأَدَابٌ بِهَا
خَالِدٌ فِيهَا يُبَارِي مَا جَدًّا
وَعَصَامٌ شَأْنُهُ مِنْ شَأْنِهِمْ
وَوَلِيدٌ أَيْ شِبْلٌ عَبَقَ
كُلُّهُمْ نَدْبٌ مَجَلٌّ سَابِقُ
وَلَعْدُنَّانِ الَّذِي تَبَايَ بِهِ

جَمَعْتَنَا فِي رِحَابِ الدَّوْحَةِ
وَالْتَقَيْنَا فَتَسَامَتْ فَرَحْتِي
أَرْهَقْتَنَا فِي دِيَارِ الْغُرْبَةِ
حَسَقَ لَلَّهِ شُهُودُ الْمِنَّةِ
لَيْسَ أَحَلَى مِنْ لِقَاءِ الصُّدْقَةِ
فِي غُرْبَةٍ عَنْهُمْ وَلَا فِي عَزْلَةٍ
مِثْلَمَا كُنْتُ وَكَانَتْ أَسْرَتِي
مِنْ مَزَايَا وَسَجَايَا جَمَّةِ
يُقْتَدِي مِنْ شَاءِ حُسْنِ الْقُدْوَةِ
وَيُبَارِي أَحْمَدُ فِي الْحَلْبَةِ
نَابَتْ فِي الْمَجْدِ أَعْلَى مَنبَتِ
بِنْدَى الْمَجْدِ وَعِطْرَ الْعِزَّةِ
وَاحِدٌ بِالْأَلْفِ ضِعْفُ الْمِئَةِ
مَا تَشَا مِنْ أَدَبٍ أَوْ حِكْمَةٍ (١)

(١) نبأى: تفخر.

أوتى الحِكْمَةَ والخَيْرُ أتى
قد رَعِينَا مِنْهُ رَوْضاً ناضِراً
فيه أخبارٌ إذا ما ذُقتْها
غَيْرَ أَنَّ الهَدْيَ مِنْهَا وبِهَا
صَفَدَ المَجْدُ . . لَقَدْ أُعْطِيَ ما
أَنْجَمَ غرُّك الفَخْرُ بِهِمْ
نَبْطُ الوُدِّ جُسوراً بَيْنَنَا
نَحْنُ بَيْتٌ واحِدٌ قامَ على
أودعَ الأَسْلَافَ في أَعناقِنَا
فَرَعِينَا صاغِراً عَن كَابرِ
فَهَنِيئاً وَهَنِيئاً . . فَلَقَدْ

وَدَعَا لِه الله أَسمَى دَعْوَةَ
وَكذلكَ الفِكرُ مِثْلُ الرَوْضَةِ
فَعَلَتْ بِالقَلْبِ فِعْلَ الخَمْرَةِ
ما طَعَتْ نَفْسُ بِهَا . . ما ضَلَّتْ
يَرْفَعُ الرَأْسَ . . فَهَلْ مِنْ عَوْدَةٍ
ولنا رَغَمَ اتِّساعِ الشُّقَّةِ
ولنا في الدِّينِ أقوى لُحْمَةٍ
عَمَدِ المَجْدِ وَرُكنِ الرِّفْعَةِ
ذِمَّةَ الحَقِّ وَعَهْدَ الأُمَّةِ
خَيْرَ ما عَهْدِ وَأَعلى ذِمَّةِ
قَرَّتِ العَيْنُ بِكُمْ يا إِخوتِي

* * *

الخليل النحوي

نفحة من موريتانيا

إلى الخليل النحوي

يا أخي! يا «خليل»! يا نَفْحَةَ الْفِكَ
هَزَنِي عِطْرُكَ الْغَنِيِّ وَشَدُوْ
بُلْبُلٍ لَمْ يَزَلْ يُغَنِّي مَعَ «الَلْبِ
فَأَعِيدِي يَا دَوْحَةَ مِنْ هَوَاهُ
رَجَعِي لِحَنَّهُ عَلَيْنَا وَهَاتِي
وَأَنْثَرِي حَوْلَنَا الْأَزَاهِيرَ مِنْهُ
إِنَّهُ مِنْ أُرُومَةٍ قَدْ رَوَّتْهَا
وَرَعَتْهَا عَلَى الْهُدَى وَسَقَتْهَا
إِنَّهَا غَرَسَةٌ تَفْرَعُ مِنْهَا
مِنْ إِمَامٍ «مُحَمَّدٍ» صَادِقِ الْعَهْدِ
«مُورْتَنِيَا»! حَسْبُنَا الْيَوْمَ أَنَا
نَفْحَةَ عَبْقَرِيَّةٍ مِنْ «خَلِيلٍ»
وَرِجَالٍ كَانَتْهُمْ طَلْعَةُ الصُّبْحِ
فَانْعَمِي بِالرُّضَا «نُوكُنْسُطُ» تَيْهِي

رِ وَنَا نَفْحَةَ مِنْ الْأَجْدَادِ
وَرَفِيفٌ مِنَ الْوَفَا وَالْوَدَادِ
لِ «وُسْجِي مِنْ «دَوْحَةَ» وَ«وَهَادِ»^(١)
فِي ظِلَالٍ غَنِيَّةٍ الْإِمْدَادِ
مِنْ حَنِينِ الْقُلُوبِ وَالْأَكْبَادِ
وَاسْكَبِي عِطْرَهُ عَلَى كُلِّ نَادِ
نَبْعَةُ الطُّهْرِ وَالتُّقَى وَالْجِهَادِ
حَانِيَاتٍ مِنَ السَّحَابِ غَوَادِي
«الْخَلِيلُ» الْوَفِيُّ الْكَرِيمُ النَّجَادِ
بِدِ مَعَ اللَّهِ، مُنْجِدٍ أَوْ هَادِ
نَتَلَقَى رَوَائِعَ الْإِنْشَادِ
صَادِقٍ فِي الْهَوَى غَنِيَّ الزَّادِ
حِ، سَرَايَا مَوْصُولَةَ الْأَمْجَادِ
بَيْنَ أَمْجَادِ عَالَمٍ أَوْ شَادِ

(١) إشارة إلى قصيدته السابقة «ليلة في الدوحة».

نَذَرُوا لِلتَّقَى الْعَرَائِمَ وَالْبَذْ
 يَا أَخِي! يَا «خَلِيلُ»! هَذَا دِيَارُ
 أُمْسٍ كَانَتْ عِقْدًا غَنِيَّ اللَّالِي
 أُمْسٍ كُنَّا، يَا لَهْفَتِي، أُمَّةَ الْحَدِ
 كَمْ لَجَمْنَا أَهْوَاءَنَا أُمْسٍ بِالتُّقَى
 أَفَلَتَ الْيَوْمَ مِنْ يَدَيْنَا زِمَامُ
 يَا أَخِي! كَانَ عَزُّنَا أُمْسٍ بِاللَّ
 وَالْوَلَاءُ الْحَقُّ الَّذِي كَانَ فِينَا
 أَوْدَعَ اللَّهُ، يَا أَخِي، فِطْرَةَ النَّاسِ
 نَسِيَّ النَّاسُ عَهْدَهُمْ وَتَوَلَّوْا
 وَأَسْلَفْنَا عُهُودَ عَلَيْنَا
 فَسَلَامٌ كَأَنَّهُ مِنْ نَدَى الْفَجْرِ

لَ وَهُوَ حَالِيَاتِ الْجِهَادِ
 مَزَقَتْهَا نَوَائِبُ وَعَوَادِ
 وَهِيَ الْيَوْمَ نُهْبَةُ الْقَصَادِ
 قَى وَصِرْنَا أَتْبَاعَ كُلِّ مُنَادِ
 سَوَى وَكُنَّا صَفَّ الْهُدَى وَالرَّشَادِ
 فَطَفَى الْمَوْجُ مِنْ هَوَى وَفَسَادِ
 هِ وَصَارَ اعْتِرَازُنَا بِالنَّفَادِ
 ضَاعَ بَيْنَ الْحُدُودِ وَالْأَنْجَادِ
 سِ وَأَغْنَى بِالْعَهْدِ وَالْإِشْهَادِ^(١)
 وَمَضَوْا فِي مَتَاهَةِ وَسَوَادِ
 أَنْ نَبَرَ التَّقَى وَصَدَّقَ الْجِهَادِ
 رٍ وَطِيبٌ وَإِنَّهُ مِنْ فَوَادِي

* * *

١ / ١ / ١٤٠٨ هـ

٢٥ / ٨ / ١٩٨٧ م

(١) إشارة إلى الآية الكريمة في سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٢).

تحية إلى «حيدر آباد» (١)

حَيْدَرُ أَبَادُ! وَكُلُّ قَلْبٍ خَافِقٌ
 فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ جُذُورٌ مِنْ عَلَا
 تِيهِي! فَعِرْكَ مَا حَمَلَتْ رِسَالَةً
 يَا أَيُّهَا الْحَفْلُ الْكَرِيمُ! تَحِيَّةٌ
 قُومُوا! مِيَادِينُ الْهُدَى مَفْتُوحَةٌ
 وَتَسَابَقُوا! نِعْمَ السَّبَاقُ إِلَى الْهُدَى
 أَنِّي التَّفْتُ لَطَى لِهَيْبِ مُضْرَمٍ
 سَأَظْلُ أَدُكْرُ مَا حَيْتُ لِقَاءَنَا
 بِالْحَبِّ تَوَاقٌ إِلَى الْأَمْجَادِ
 ضَرَبَتْ بَارُضِكِ مِنْ هَوَى الْأَجْدَادِ
 اللَّهُ فِي زُنْدٍ وَفِي أَكْبَادِ
 لَكُمْ مِنَ الْأَقْصَى وَدَارِ جِهَادِ
 لِبَلَاغِ هَدْيٍ أَوْ لَصِدْقِ جِلَادِ
 وَتَنَافَسُوا الْحُسْنَى لِدَارِ مَعَادِ
 وَهَدِيرُ طُوفَانٍ وَرُخْفِ عَتَادِ
 لِأَخْوَةِ وَوِفَادَةِ وَوَدَادِ

مساء الاثنين

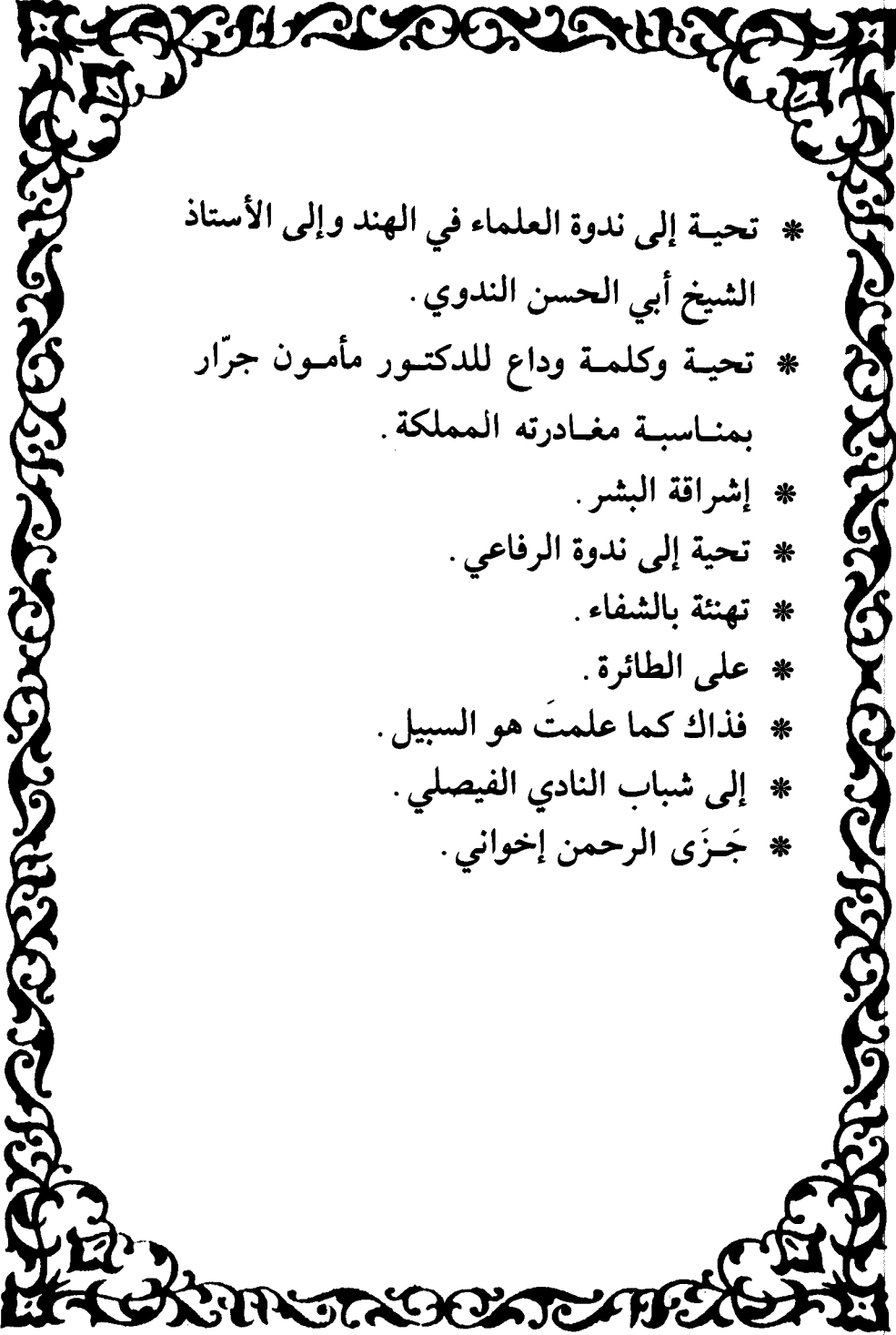
* * *

٣/٨ / ١٤١٠ هـ

١٠/٩ / ١٩٨٩ م

(١) في الحفلة الختامية لندوة الأدب الإسلامي في مدينة حيدرآباد في الهند حول: «دور الأدب الإسلامي في تحرير البلاد من الاستعمار ومقاومة الفساد». أثناء الحفلة أعددت هذه الأبيات تحية إلى مدينة حيدرآباد وأمجادها التاريخية وتحية إلى المؤتمر. وقام بترجمتها الأخ الكريم الأستاذ سلمان الحسيني الندوي بأسلوبه الجميل إلى اللغة الأوردية.

لقد عقدت هذه الندوة خلال الفترة: (٨ - ١٠) / ٣ / ١٤١٠ هـ الموافق (٧ - ٩) / ١٠ / ١٩٨٩ م. ولقد حضر الحفل الختامي الأمير مُفَحَّمُ جاه بن أعظم جاه من الأسرة المالكة المسلمة التي كانت تحكم حيدرآباد.

- 
- * تحية إلى ندوة العلماء في الهند وإلى الأستاذ
الشيخ أبي الحسن الندوي .
 - * تحية وكلمة وداع للدكتور مأمون جرّار
بمناسبة مغادرته المملكة .
 - * إشراقة البشر .
 - * تحية إلى ندوة الرفاعي .
 - * تهنئة بالشفاء .
 - * على الطائرة .
 - * فذاك كما علمت هو السبيل .
 - * إلى شباب النادي الفيصلي .
 - * جَزَى الرحمن إخواني .

أبو الحسن الندوي^(١)
ندوة العلماء لکنھو - الھند

إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ رَوْضٍ نَفْحَةُ الزَّهْرِ
تَحِيَّةٌ وَإِلَى فَيْتَانِكَ الزُّهْرِ
نُورٌ يَمُوجُ مِنَ الْآيَاتِ وَالسُّورِ
غَنِيَّةٌ بَغْطَاءِ الْحَقِّ وَالذِّكْرِ
مِنَ الْيَقِينِ، مِنَ الْإِيمَانِ، مِنْ فِكْرِ
يَحْنُو عَلَيْهَا حُنُوُ الْوَالِدِ الْحَذِرِ
عَلَى الرَّبِّى فِتْنَةً وَهَاجَةَ الْغَرْرِ
مُمَسِّكٍ بَكِتَابِ اللَّهِ مُصْطَبِرِ
طُهْرًا وَتَمْتُدُّ فِي بُسْتَانِهَا النَّضْرِ
صَبًّا وَيَجْرِي بِهَا دَفَاقَةُ النَّهْرِ
وَدَفْقَةُ النَّهْرِ عَزْمٌ غَيْرُ مَنْحَسِرِ
وَاقْطُفْ كَمَا شِئْتَ مِنْ زَهْرٍ وَمِنْ ثَمَرِ
حَلْوٍ وَبَيْنَ رَبِيعٍ رَيْقٍ عَطْرِ
هُنَاكَ مِنْ صُدُقِ اللَّهِ أَوْ صَبْرِ

يَا دَارَ لَكُنُو سَلَامٌ اللَّهُ يَحْمِلُهُ
إِلَى إِمَامِكَ مِنْ قَلْبٍ وَمِنْ كَبِدِ
إِلَى أَبِي الْحَسَنِ النَّدْوِيِّ طَلَعَتْهُ
وَنَدْوَةَ الْعُلَمَاءِ الْغُرُّ دَفَقُ هُدَى
كَأَنَّمَا صَاغَ مِنْ أَضْلَاعِهِ دُرَّرًا
وَضَمَّهَا فِي يَدَيْهِ رَأْفَةً وَتَقَى
وَقَامَ يَنْثُرُهَا فِي الْأَرْضِ فَانْتَفَضَتْ
مِنْ كُلِّ دَاعِيَةٍ لَلَّهِ مُنْطَلِقِ
يَا غَرَسَةَ الْخَيْرِ تَزَكُو مَنبَتَا وَجْنِي
يُرْوِي حَدَائِقَهَا غَيْثٌ يَصُبُّ بِهَا
غَيْثٌ مِنَ الدِّينِ رَوَّاهَا وَنَضَّرَهَا
نَقَلَ كَمَا شِئْتَ فِي أَفْيَانِهَا بَصْرًا
فَأَنْتَ فِي بَرَكَاتِ الْخَيْرِ بَيْنَ جَنِّي
وَبَيْنَ مَوْجِ مِنَ الْأَنْوَارِ دَافِقَةً

١٤٠٦/٥/٥ هـ

* * *

١٩٨٦/١/١٥ م

(١) قلت هذه الأبيات بعد انقضاء مؤتمر الأدب الإسلامي تحية وتقديراً لجهود ندوة العلماء ورئيسها الذين استضافوا المؤتمر على كرم وحب وجمال خلق.

تحية وكلمة وداع إلى الأخ الدكتور مأمون جرّار

بمناسبة مغادرته المملكة ليستقر في الأردن

| | |
|--|---|
| <p>وتمضي! إلى أين؟! أين الديار؟! إلى لُحمة الدين، أو للجوار رفيق الصّحاب وشذو الهزار ومن عبّق المتدى والنّصار حينئذ يهيج وشوق يثار</p> | <p>أحقاً سترك هذي الديار؟! يشدك أني اتجهت حينئذ حينئذ الوداد، حينئذ الفؤاد ونفخ من الأدب المجتني وذكرى تلملمها في الليالي</p> |
|--|---|

* * *

| | |
|---|--|
| <p>وتمضي إلى أين؟! أين القرار؟! تنقلت في روضة أو قفار وبين البراري وبين البحار وحولك أشباح ليل تدار وموج الدماء وطول الحصار</p> | <p>أحقاً سترك هذي الديار كأنك في غربة كلما وطال بك السير بين الدروب على كتفك خيام اللجوء وبين خطاك لهيب الدروب</p> |
|---|--|

* * *

| | |
|---|---|
| <p>دوي الكلام وخفق الشعار ترنح في سكرة أو دوار على خدر قاتل أو سعار وتهوي أمان وتهوي ديار</p> | <p>ستمضي! وحولك هذا الدوي وموت العزيمة في أمة وأنشودة من هوى الحالين وآلف شعار يدور ويهوي</p> |
|---|---|

ويسري خلال العروق ديبب
وتغفو الجفون وتطوى الظنون
ويسري بها خدر أو عقار
ويسدل دون الهوان ستار

* * *

ستمضي وتسال أين الطريق
تلفت! في كل أفي ظلام
وتتمعن في الدرب لا يائساً
فلا بد لليل أن ينجلي
يقينك بالله نور يشق
ويفتح دونك إشراق نهج
ومهما تطل عاديات الزمان
ستجمعنا من غد ساحة
ميادين حق تصوغ الرجال
فسر حيث شئت فإنك «مامو»
هو الله يرعاك أنى اتجهت
وكُل الدروب هوى أو شجار
يموج وفي كل ساح عصار
تلح خطاك لجولات نار
على وضح مشرق أو نهار
الظلام وينزع زيف الستار
وإشراق عهد ودرب انتصار
ومرّ الفراق وتيه المسار
جهاد أبر فنوفي الذمار
وتروي الغراس وتجني الثمار
ن حلو السجايا كريم النجار
ويحميك من زلة أو عثار

* * *

١٤١٠/١١/٢١ هـ

١٩٩٠/٦/١٤ م

الرياض

عند خروج الأستاذ عمر بهاء الأميري من مستشفى الملك فيصل التخصصي في الرياض بعد عملية جراحية معافي بفضل الله . كتبت إليه هذه الأبيات التي لم أوفق إلى إرسالها إليه حيث غادر قبل أن أعلم :

إشراقه البشر

أَحْلَى الْأَمَانِيِّ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ عَلَى
نُعْمَى مِنْ اللَّهِ إِيْمَانٌ وَعَافِيَةٌ
أَبَا بَرَاءٍ! أَخِي! فَاهْنَأْ إِذْنٌ بِهِمَا
يَحْوِطُكَ الْبِشْرُ حَتَّى إِنَّهُ عَبَقُ
إِشْرَاقَةِ الْبِشْرِ أَوْ مَوْصُولَةِ الرَّغْدِ
أَجَلٌ مَا كَانَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ عُدَدِ
أَحْلَى عَلَى النَّفْسِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ بَرْدِ
وَيَجْتَلِي الطَّيْبَ مِنْ صَحْبٍ وَمِنْ وَدِّ

* * *

ندوة الرفاعي

بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً

يا دوحة الأدب الغنيّ وندوة الشـ
المكرّمات! وما أجلّ عطاءها
والروض! يا طيب الشذا! فكأنه
وتنفّس الزهر النديّ وفوّحتْ
سمر الزكيّ دنا جنّك وطاباً
جودٌ تخيّر من نذاك لباباً
جمع الورود وفتق الأطيابا
منه الرّبي عبّقاً سرى وملاباً

* * *

ناد! كأنّ الفجر في نفحاته
حرّ الجواهر من كريم معادن
يا للصحاب حنا عليهم ظلّه
كمّ جولة دارت على ساحاته
كمّ صاحب قد ظنّ أن عرف الهوى
هذا الهوى الحلو الذي نلقى به
نور يشق من الشّعاب رحاباً
برقت فكان عطاؤها خلاباً
مدّ الوفاء وقرب الأسبابا
فيظلّ في جولاته غلاباً
حتى رآه فقال ظنيّ خابا
عبّق الوفا والطيب والأصحابا

* * *

كمّ سائل من ذا أعاد لك الهوى
فأجبتهم: هذا الرفاعيّ الذي
والشوق والأصحاب والأحبابا
مدّ المكارم من يديه عذابا

* * *

١ / ٦ / ١٤٠٨ هـ

٢٠ / ١ / ١٩٨٨ م

تهنئة عبدالعزیز الرفاعي

ذهب الأستاذ عبدالعزیز الرفاعي إلى أمريكا للعلاج وهو متوجس . فمن الله عليه بالبشرى والنجاة . هكذا أبلغني الأخ الأستاذ أحمد براء الأميري . وقال لي كذلك إن الأستاذ الرفاعي قال قصيدة وهو متوجه للفحص والعلاج مطلعها:

ارم طوق النجاة يارب إني في خضم ولا أجيد السباحة
وأبلغني كذلك أنه مع بعض الأصدقاء نظموا بيتاً أو قصيدة مطلعها البيت التالي

تهنئة له بالشفاء:

| | |
|--|---|
| <p>قد تلونا ما فيه رَوْحٌ وراحة بين بشرى وقوة وسماحة هـ، فهذا طوق النجا والسباحة في يُعني بلاؤه أفرأحه هـ بالعفو مُنعماً أشباحه يب إشرأه ويجلو صباحه يا أخي! لا ولا دواعي الجراحة ر، ولا يترك التقي سلاحه ه يمضي غدوه ورواحه أطلق القلب دَفقه وجماحه</p> | <p>خذ بطوق النجاة يا حِبُّ إنا فانطلقت مني الأبيات التالية: ذاك طوق النجاة إنك فيه حسبك اليوم أن لجأت إلى الله إنه الله ربنا وحده الشا والخضم الذي توهمت ردَّ الله ودعاء الإخوان يجلو بظهر الغ ليس من علة تقصر عمراً صحة الجسم لا تمد من العم إن أقوى السلاح في العمر ذكر الله وخشوع في هداة الليل، دمغ</p> |
|--|---|

١١/١٢/١٤١٣هـ

* * *

١ / ٦ / ١٩٩٣م

على الطائرة

في رحلة العودة من المؤتمر الأول لرابطة الأدب الإسلامي الذي عُقد في «لكهنؤ»
- الهند بين ٢٦ - ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٤٠٦هـ، الموافق ٧ - ٩ يناير سنة ١٩٨٦م،
أقول في رحلة العودة إلى الرياض على متن طائرة الخطوط السعودية من دلهي إلى
الرياض يوم الأحد ٢/٥/١٤٠٦هـ الموافق ١٢/١/١٩٨٦م، مع الأخوة الأدباء
ومندوب رابطة العالم الإسلامي، جلس معنا أخ كريم من مضيبي الطائرة.. يحب
الشعر وقرأ علينا شعراً غزلاً بالأسلوب المنشور كما يسميه بعض الناس ورغب أن يصوغ
أحدنا له معانيه بالشعر العمودي فأجبتة بالأبيات التالية:

على الطائرة

يَوْمًا مَعَ اللَّهِ فِي سِرٍّ وَفِي جَهْرٍ
وَمَنْ يَحْدُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ يَنْدَحِرِ
لَهُ فَانظُرْ إِلَى الْآيَاتِ وَاعْتَبِرِ
وَمَنْ يُعِيدُكَ فِي حِلٍّ وَفِي سَفَرٍ
فِي الْجَوِّ طَائِرَةٌ هَدَّارَةٌ النَّذِيرِ
وَفِي مَرَاقِيٍّ مِنْ جَوٍّ وَفِي نَهْرٍ
يُغْنِي وَلَا زَهْوَةَ السُّلْطَانِ مِنْ بَشَرِ
حَالٍ وَفِي أَمَلٍ حُلُوٍّ وَفِي حَذَرِ
قُوَاهِ عَاجِزَةٌ مَشْلُولَةٌ الْأَثَرِ
إِنْ جَدَّ أَمْرٌ فَتُبَّ اللَّهُ وَادْكِرِ
طُهْرٍ يُغِيثُ وَصِدْقِ الْقَلْبِ وَالْفِطْرِ

دَعِ الْهَوَى وَغَرَامَ الْغَيْدِ وَافْتَكِرِ
هَذَا هُوَ الْخَيْرُ لَا خَيْرَ سِوَاهُ لَنَا
تَرَى عَلَى «الْجَوِّ» آيَاتٍ مُجَدَّدَةً
مَنْ ذَا يَصُونُكَ غَيْرُ اللَّهِ مِنْ خَطَرٍ
وَمَنْ رَفِيقَكَ غَيْرُ اللَّهِ إِنْ طَلَعَتْ
وَمَنْ رَفِيقَكَ فِي بَحْرٍ وَفِي جَبَلٍ
عُلِقَتْ فِي الْجَوِّ لَا أَهْلٌ وَلَا رَحِمَ
وَلَا صَدِيقٌ يُوَاسِي فَهُوَ مِثْلَكَ فِي
وَكُلُّ مَنْ كُنْتَ تَرْجُو نَفْعَهُ رَجَعَتْ
أَتَسْتَعِيثُ بِالْحَاطِظِ وَغَانِيَةٍ
وَعُدْ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى

* * *

الأحد ٢ / ٥ / ١٤٠٦ هـ

١٢ / ١ / ١٩٨٦ م

فذاك كما علمت هو السبيل^(١)

خِلَالَ حُلُوةٍ فِيمَا تَبَدَّى
 صَفِيٌّ فِي مَوَدَّتِهِ غَنِيٌّ
 جَوَادٌ وَالْمَرْوَةَ مِنْ جَوَادٍ
 لَهُ رَأْيٌ فَتِيٌّ مِنْ فُؤَادٍ
 إِذَا مَا رُمْتُ فِي أَمْرِ رِجَالًا
 فَتُبُّ لَهِ فِي عَزْمٍ وَصِدْقٍ
 وَمِثْلَكَ لَا يَبِيْتُ عَلَى ضَلَالٍ
 وَنُورُ الْحَقِّ حَوْلَكَ حَيْثُ تَمْضِي
 وَفِي جَنِينِكَ آيَاتٌ فَأَبْصُرْ
 وَمَا تُجَدِّدُكَ فِي عَدِكَ الْأَمَانِي
 وَلَا صَفْوُ الْوَدَادِ غَدًا بِمَنْجٍ
 وَلَا مَا كُنْتَ تَزْعُمُ مِنْ خِلَالٍ
 خِلَالِكَ كُلُّهَا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ
 فَكَيْفَ تَتِيهُ عَنْ حَقِّ وَتَمْضِي
 وَيِّنَ يَدَيْكَ قُرْآنٌ وَنُورٌ
 وَوَفَاءٌ وَالْوَفَا أَبْدًا قَلِيلٌ
 تَقُولُ إِذَا رَأَيْتَ هُوَ النَّبِيلُ
 أَبْرٌ وَفِعْلُهَا الْفِعْلُ الْجَمِيلُ
 وَرَأْيِي مِنْ بَصِيرَتِهِ جَلِيلُ
 ظَنَنْتُ وَقَلْتُ ذَا الرَّجُلِ الْأَصِيلُ
 فَذَاكَ كَمَا عَلِمْتُ هُوَ السَّبِيلُ
 وَمِثْلَكَ لَيْسَ يُعَوِّزُهُ الدَّلِيلُ
 وَقَلْبِكَ لَيْسَ يُعْجِزُهُ الْوُصُولُ
 وَإِلَّا غَرَّكَ الْأَمَلُ الطَّوِيلُ
 وَلَا مَا قِيلَ فِيكَ وَمَا تَقُولُ
 وَلَا أَهْلُ تُجِيرُ وَلَا خَلِيلُ
 وَلَا مَا زَانَهُ قَالَ وَقِيلُ
 إِذَا انْقَطَعَتْ عَنِ التَّقْوَى الْأَصُولُ
 إِلَى شَرٍّ يُغَرُّ بِهِ الْجَهْلُ
 وَيِّنَ يَدَيْكَ مَا قَالَ الرَّسُولُ

(١) بعثتها إلى أحد الأقرباء أذكره بجمال الإسلام وحلاوة الإيمان، وهو على خلق ووفاء، وضرورة الالتزام بكل قواعد الإيمان والإسلام لا بجزء منها.

وَفِيكَ بِفِطْرَةِ الْإِنْسَانِ خَيْرٌ خُلِقْتُ عَلَيْهِ ذَاكَ هُوَ الدَّلِيلُ
فَتُبَّ لَهِ! أَوْفِ الْعَهْدَ حَقًّا فَعَهْدُ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ بَدِيلُ

* * *

١٤٠٦/٥/٢٥ هـ

١٩٨٦/٢/٤ م

إلى شباب النادي الفيصلي بحرمته (١)

دِ وَأَمَّالَ أُمَّةٍ وَبِلَادِ
وَرَجَالًا تَزَاحَمُوا لَجِهَادِ
أَنْتُمْ زَهْوُ عِدَّةٍ وَعَتَادِ
رَ وَفِي كَفِّكُمْ عَطَاءَ الْغَوَادِي
وِيرُدُّ الْأَذَى وَكَيْدَ الْأَعَادِي
وَتَقْوَى طَوْبَةِ وَفُؤَادِ
مِنْ فِعَالٍ وَنَفْحَةٍ مِنْ نَادِ
بِ وَفِي صَادِقٍ مِنَ الْإِشْهَادِ
وَاجْعَلُوا رِيَّهَا صَفَاءً وَدَادِ
سَبَقُ مِنْ فَوَارِسِ وَجِيَادِ
وَتَمُوجُ الْأَمْجَادِ بِالْأَمْجَادِ
فَيْصَلِي رَوْضَةَ وَنَفْحِ نِجَادِ
هَا وَتَجَلُّو مِنْ جَوْهَرٍ وَقَادِ

يَا شَبَابَ الْحَمَى! عَزَائِمُ أَمْجَا
يَا شَبَابًا تَوَاتَبُوا لِمَعَالِ
أَنْتُمْ ثَرْوَةُ الْبِلَادِ وَكَنْزُ
جَعَلَ اللَّهُ فِي وُجُوهِكُمْ الْبِشْرَ
«فَيْصَلِي» يَصُونُ حُرْمَةَ دَارِ
يَا شَبَابًا رَاوُهُ الشَّرْفُ الْحُرُّ
عَبَقُ مِنْ شَبَابِهِ وَأَرِنِجُ
فَاحْفَظُوا عَهْدَكُمْ مَعَ اللَّهِ بِالْغَيْبِ
وَاعْرَسُوا لِلْهُدَى غِرَاسَ تَقَاةِ
وَأَنْهَضُوا لِلْعَلَا فِدْرَبُ الْمَعَالِي
يَتَلَالَا مِنَ النَّصَالِ بَرِيقُ
فَانْثُرِي (حُرْمَةً) الْبَشَائِرِ! نَادِي الـ
تَجْتَلِي (حُرْمَةً) الشَّبَابِ بِنَادِي

* * *

١٤٠٧/٧/٢٣ هـ

١٩٨٧/٣/٢٣ م

(١) كلمة وجهتها للمشاركة في مجلة النادي الفيصلي. وقد نشرتها المجلة في عددها الثالث - شوال

١٤٠٧ هـ - آيار ١٩٨٧ م.

كنا في الهند - لكهنؤ. وقمنا بزيارة تاج محل في مدينة أجرا. وعلى طريق العودة والطريق طويل دارت مداعبات وطلب أحدهم أن أهجوهم، فاعتذرت لأنني تركت الهجاء وأمثاله. ولما ألحوا قلتُ مداعباً:

جزى الرحمن إخواني

جزاء المنعم الحاني
لخيرٍ مُقبلٍ دانٍ
وهُم أزهارُ بستانٍ
على الدنيا وميدانٍ
من في بذلٍ وإحسانٍ

* * *

إلى أدبٍ وتبَيَّانٍ
م ترفُعٍ صرَحٍ بُنيانٍ
وترعى حَقَّ فنَّانٍ
بهم ساحاتُ بُلدانٍ
ومن سَعْيٍ وإتقانٍ
من في بذلٍ وإحسانٍ

* * *

جزى الرحمن إخواني
هُمُ الأصحابُ في سَفَرٍ
وهُم من طيبهم أَرْجٍ
وهُم أصحابُ مُعْتَرِكٍ
إذا صَدَقُوا مع الرَّحْمِ

فهذي عُصْبَةٌ هَبَّتْ
وعُرْوَتُهَا مِنَ الإِسْلَامِ
وتوثقُ من عُرَى أدبٍ
وتجمع شَمْلَ مَنْ بَعْدَتْ
على عِلْمٍ ومَكْرُمَةٍ
إذا صَدَقُوا مع الرَّحْمِ

مُدَاعَبَةً لِإِخْوَانٍ
وَلَا شِعْرِي بِبُهْتَانٍ
فَلَسْتُ بِعَاجِزٍ وَإِنْ
ن فِي بَدَلٍ وَإِحْسَانٍ
مُحَمَّى فَوْقَ نِيرَانٍ
وَأَشْوِيهِمْ بِأَفْرَانٍ
لِيُفْلِتَ مِنْ أَدَى آنٍ
رَ سَلُّ الْمَهْتَرِي الْفَانِي

* * *

وَيَرْفَعُ كُلَّ أَحْزَانِي
وَيَطْوِي كُلَّ أَشْجَانِي

* * *

بِعَفْوٍ وَاسِعٍ حَانَ
ن فِي بَدَلٍ وَإِحْسَانٍ

٢٣/٤/١٤٠٦ هـ

٤/١/١٩٨٦ م

يَقُولُ أَخِي أَلَا أَهْجُوهُمْ
فَلَا قَلَمِي يُطَاوِعُنِي
وَلَوْ أَنِّي أَرَدْتُ هِجَاً
إِذَا لَمْ يَصْدُقُوا الرَّحْمَنَ
أَشْكُهُمْ بَسْفُودٍ
أَقْلَبُهُمْ عَلَى جَمْرٍ
وَلَسْتُ بِتَارِكٍ أَحَدًا
فَأَسْلَقُهُمْ إِذَا مَا جَا

دَعَاؤُ اللَّهِ يَغْفِرُ لِي
وَيَسْتُرْ عَيْنَا سِتْرًا

جَزَى الرَّحْمَنُ إِخْوَانِي
إِذَا صَدَقُوا مَعَ الرَّحْمَنِ

ثم جاء أحدهم يقول لي إن منهم من قال ما معناه:

أَرَى سَفُودَ صَاحِبِنَا كَنَكَّاشَاتِ أَسْنَانِ

فقلت:

يَقُولُ مَخَاطِبِي مَهْلًا أَلَا أَهْجُ الصَّاحِبَ الثَّانِي

أَلَمْ تَسْمَعْ بِمَا قَدِ قَا
فَقُلْتُ لَهُ رُوَيْدَكَ إِ
فَسَفُودِي هُوَ السَّفُودِ
وَمَا ذَنْبِي إِذَا مَا مَا
فَمَهْمَا كُنْتَ تَطْعَنُهُ
وَمَهْمَا كُنْتَ تَسْلُخُهُ
فَلَيْسَ بِمَيِّتٍ حِسُّ
لَ عَن سَفُودِ عَدْنَانِ
نَ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ شَانِي
دُ، عَزَمِي عَزَمَ طَعَانِ
تَ إِحْسَاسُ بِنَسَانِ
بِأَرْمَاحٍ وَمُـرَّانِ
بِكَرْبِجٍ وَقُضْبَانِ
وَلَا بِالْمُهْتَرِي الْفَانِي

* * *

من الملاحم

الغُرباء (من ملحمة الغرباء)

فتح القسطنطينية (من ملحمة القسطنطينية)

يَا قَبَّةَ الْأَقْصَى (من ملحمة الأقصى)

بينون من أشلائهم شَرَفَ الْهَوَى (من ملحمة الأقصى)

لا تقل لي : سياسة وسلام (من ملحمة الأقصى)

وقفه في تاج محل (من ملحمة الإسلام في الهند)

الطائفة الظاهرة (من ملحمة الإسلام في الهند)

على أبواب كابل (من ملحمة الجهاد الأفغاني)

نجوى بين فلسطين وكابل (من ملحمة الجهاد الأفغاني)

من قصيدة فلق الصباح (من ملحمة فلسطين)

سرايفو (من ملحمة البوسنة والهرسك -

الجريمة الكبرى)

فجرٌ في موستار (من ملحمة البوسنة والهرسك -

الجريمة الكبرى)

من الملاحم

ربّما كان قراء الملاحم الشعرية قليلين، مع أنني جعلت معظم الملاحم يتألف من قسمين: قسم نثريّ لمن لا يهوى قراءة الشعر، وقسم شعري لمن يهوى الشعر. فهناك في الملحمة قضية يجب نقلها إلى القارئ الكريم، لتسهّم الملحمة في معركة الأمة المسلمة، وفي بناء الأمة المسلمة الواحدة، وجمع شتاتها. لذلك، رأيت أن أختار من كل ملحمة قطعة شعرية أضمرها لهذا الديوان للتعريف بقضايا الملاحم من ناحية وأهميتها، ولتيسير العودة إلى الملحمة الأصلية لمن يرغب ذلك.

ولقد أشرتُ إلى رأيي في الصورة التي يجب أن تكون عليها الملحمة الإسلامية في مقدمة ملحمة البوسنة والهرسك وفي غيرها وفي كتابي الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته.

الغرياء (من ملحمة الغرياء)

أَهْلِي وَصَحْبِي وَمَنْ أَدْبَاهُمْ بِدَمِي
وَيَدْفَعُ الْعَزْمَ فِي بَيْدَائِهَا شَمِي
إِلَّا عَرَى الدِّينَ حَبْلًا غَيْرَ مُنْقَصِمِ
إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى وَفِي رَحِمِ
أَزْكَى وَأَطْيَبَ مَا يُرْجَى مِنَ اللُّحْمِ
زُهَوًا عَلَى شَرَفٍ...! مَجْدًا عَلَى هَمِّ!
عِزًّا وَيَمْضِي مَعَ الأَيَّامِ فِي كَرَمِ
بِظَلِّهَا وَنَدِيٍّ وَافِرِ النِّعَمِ

* * *

وَلَا الَّذِي قَطَعْتَهُ الأَرْضَ عَنْ رَحِمِ
وَمَلَأَ جَنَبِيهِ عَزْمٌ غَيْرُ مُنْهَزِمِ
إِذَا أَشَاحَ بَنُو عَمِّي بِوَجْهِهِمْ
وَيَمْلَأُ النَّفْسَ مِنْ أَمْنٍ وَمَنْ عَصَمِ
مُسْتَمْسِكٍ بِالْهِنْدِيِّ بِاللَّهِ مُعْتَصِمِ

* * *

مِنَ الكِتَابِ وَآيَاتِ مِنَ الحِكْمِ
وَصَحْبَةً مِنْ صَفِي العَهْدِ وَالدَّمِّ

أَنْى تَلَفْتُ أَصْبَحْتُ الغَرِيبَ عَلَى
يَكَادُ يُقْعِدُنِي مُرُّ الهَوَانِ بِنَا
مَا كُنْتُ أَطْلُبُ وَصَلًّا لَا أَبْدَلُهُ
وَلَا رَجَوْتُ وَدَادًا فِي مُرُوءَتِهِ
مَنْ كَانَ يَطْلُبُ أَنْسَابًا دَفَعْتُ لَهُمْ
مُضْمَخًا بِدَمٍ...! طَيِّبًا عَلَى عَبَقِ!
تَرَاهُ يَضْرِبُ فِي التَّارِيخِ أَفْرَعُهُ
وَشِجَّةَ الحَقِّ وَالإِيمَانَ وَارِقَةً

لَيْسَ الغَرِيبُ فَتَى أَلْقَتَهُ صُحْبَتُهُ
وَلَا الَّذِي غَادَرَ الأَوْطَانَ مُرْتَحِلًا
سَيُؤَسِّسُ الدَّرْبَ ذَكَرُ اللهُ يَدْفَعُنِي
يُبَلِّلُ الجَوْفَ إِنْ شَدَّ الهَجِيرُ بِنَا
طَوَى لِكُلِّ غَرِيبٍ صَابِرٍ شَرَفًا

أَنَا الغَرِيبُ إِذَا فَارَقْتُ حَانِيَةً
وَسُنَّةً مِنْ رَسُولِ اللهِ مُشْرِقَةً

أنا الغريب إذا جاوزت مُعْتَقِدِي
أنا الغريب إذا اسْتَسَلَّمْتُ عَبْدَ هَوَى
وَعَرْبَةُ النَّفْسِ تُشْقِي كُلَّمَا نَزَعَتْ
وَقَسْوَةُ الدَّلِّ أَنْ يَرْقَى الشَّعَارُ عَلَى

* * *

وَرَحْتُ أَضْرِبُ فِي وَهْمٍ وَفِي رُجْمِ
وَعَرَبِدَتْ شَهَوَاتُ الْعُمْرِ مِلءَ دَمِي
نَفْسٌ إِلَى صَنْمٍ يَهْوِي إِلَى صَنْمِ
زَخَارِفِ كَذَبَتْ فِي السَّاحِ وَالْأَكْمِ

سَيَجْمَعُ الْغُرَبَاءَ السَّاحُ فِي لَهَبِ
وَعِرَّةُ النَّهْجِ فِي أَفْيَاءِ مَوْهَبَةِ
سَنَدَفُ الْخَطْوِ فَوْقَ الدَّرْبِ وَقَدْ لَظَى
عَلَى مَحَاجِرِنَا أَطْيَافٌ مَلْحَمَةٍ
وَمِنْ سَوَاعِدِنَا هَدَارَةٌ عَصَفَتْ
وَفِي مَبَاسِمِنَا إِشْرَاقَةٌ طَلَعَتْ
اللهُ أَكْبَرُ...! دَارُ الْخُلْدِ فَاْمَضْ لَهَا

* * *

وَتَهْتَدِي فِطْنَةُ الْأَلْبَابِ بِالْحَكْمِ
مِنَ التَّقَى وَجَلَالِ الْمَوَكِبِ الْعَمَمِ
وَلَفْحَةِ الشُّوقِ إِعْصَارَ الْفَتَى الْقَرَمِ
وَبَيْنَ أَكْبَادِنَا أَشْوَاقُ كُلِّ كَمِي
هُوجُ الْأَعَاصِيرِ جَارَتْ ظُلْمَةُ التُّخْمِ
تُعِيدُ مِنْ عَبْقَرِيِّ اللَّحْنِ وَالنَّغْمِ
مَعَ الْمَيَامِينِ مِنْ غُرٍّ وَمِنْ بُهْمِ

١٤٠٥/١١/٢٣ هـ

١٩٨٥/ ٨/ ٨ م

فتح القسطنطينية (من ملحمة القسطنطينية)

قال رسول الله ﷺ: «لَتُفْتَحَنَّ القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش»

(أخرجه البخاري في تاريخه الكبير والحاكم في المستدرک) (١)

| | |
|---|--|
| <p> هَنْدِي الدِّيَارُ «بني عُثْمَانَ» كَمْ رَفَعَتْ وَكَمْ تُرَى دَفَعَتْ لِه مِنْ عَصَبِ هُنَا السَّلَاطِينُ كَانَتْ فِي مَجَالِسِهَا هُنَا الوُفُودُ الَّتِي جَاءَتْ مُسَلِّمَةً أَحْلَى الْأَمَانِي لَدَيْهَا أَنْ تَرَى رَجُلًا وَجَمَعَ النَّصْرَ مِنْ وَادٍ وَمِنْ جَبَلٍ حَتَّى أَتَى لِمَضِيْقٍ غَيْرِ مُنْفَرَجٍ ضَاقَتْ عَلَيْهِ فَالْقَى مِنْ جَحَافِلِهِ حَتَّى إِذَا اسْتَغْلَقَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ وَمَا تَدَفَّقَ النُّورُ سَلَالًا يُضِيءُ لَهُ لِتُفْتَحَنَّ بِلَادَ الرُّومِ فَاتِحَهَا بُشْرَى الرَّسُولِ أَضَاءَتْ كُلَّ نَاحِيَةٍ وَفَتَحَتْ سُبُلًا لِأَنَّ مَسَالِكَهَا وَأَحْكَمَ الْأَمْرَ فَانْسَابَتْ بِوَارِجُهُ </p> | <p> لِه مِنْ رَايَةٍ خَفَاقَةِ الْعَذَبِ تَمْضِي عَلَى سَاحِهَا مَوْضُوعَةَ الْمُصَبِ نُورًا مِنَ الْحَقِّ أَوْ بَرَقًا مِنَ الْقُضْبِ فَأَسْلَمَتْ أَوْ تَلَقَّتْ عِرَّةَ الْأَدَبِ شَقَّ المِيَادِينَ شَقَّ الفَارِسِ الضَّرْبِ وَمِنْ بَحَارٍ وَمِنْ نَهْرٍ وَمِنْ شَعْبِ وَرَحْمَةٍ مِنْ عَظِيمِ الْهَمِّ وَالنَّصَبِ جَحَافِلًا، وَرَمَى بِالنَّارِ، بِالشُّهْبِ رَأَى بِهِ فُرْجَةً تُنَجِّيه مِنْ كُرْبِ بُشْرَى مِنْ اللَّهِ لَمْ تَكْذِبْ وَلَمْ تَرِبِ نِعْمَ الْأَمِيرُ وَنِعْمَ الْجَيْشُ فَاقْتَرَبِ وَأَشْعَلَتْ هِمَّةً مِنْ فِتْيَةٍ نُجْبِ لِصَابِرٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُخْتَسِبِ مَا بَيْنَ مُخْتَبِيٍّ مِنْهَا وَمُنْسَرِبِ </p> |
|---|--|

(١) الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد (ج : ٢٤) (ص : ٥٩).

حَتَّىٰ أَحَاطَ بِهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ
 فَرُجَّتِ الْأَرْضُ مِنْ زَحْفِ تَمُوجِ بِهِ
 كَأَنَّمَا الْأَرْضُ شَقَّتْ عَنْهُمْ فَعَلَوْا
 وَأَشْرَقَ الْفَجْرُ وَالدُّنْيَا تُطَلُّ عَلَىٰ
 بُشْرَىٰ مَعَ الدَّهْرِ آيَاتٍ مُبَيَّنَّةٌ
 جَالُوا بِهَا فَكَأَنَّ النُّورَ يَغْمُرُهَا
 وَأَطْلَقُوا دَعْوَةَ اللَّهِ صَادِقَةً
 كَأَنَّمَا فَتَحُوا غُلْفَ الْقُلُوبِ بِهَا
 فَسُطْنَطِيَّةٌ هَذَا النُّورُ فَانْتَفِضِي
 وَهَلَلِي يَا رَبِّي اسْتَبُولِ وَأَتَلِّقِي
 وَدَرَفِي بِالْهُدَىٰ مِنْ كُلِّ رَابِيَةٍ
 لَوْلَا فَتُوحُ رَسُولِ اللَّهِ قُلْتُ هُنَا
 تَسَابِقَ الْخُلَفَاءِ الْمُسْلِمُونَ لَهَا
 فَلَمْ يَنْلُهَا سِوَىٰ هَذَا الْفَتَىٰ قَدْرًا
 مُحَمَّدٌ فَاتَحَ الدُّنْيَا وَمَا طَمِعَتْ
 يَمْضِي إِلَى اللَّهِ وَالْفِرْدَوْسُ غَايَتُهُ
 كَانَ وَثْبَتُهُ اللَّهُ دَفَقُ هُدَىٰ
 كَأَنَّمَا أَتْبَتَتْ أَسْيَافُهُ وَرَوَتْ
 وَصَارَتْ الْأَرْضُ رَوْضًا، مِنْ أَزَاهِرِهِ
 فَتَحَ مِنَ اللَّهِ مَا أَحْلَاهُ مِنْ أَمَلٍ

وَأَحْكَمَ الطُّوقَ مِنْ بَابٍ وَمِنْ سَرَبِ
 دُنْيَا الْبُطُولَاتِ إِعْصَارًا بِكُلِّ أَبِي
 أَكْتَفَاهَا وَرَمَوْهَا رَمِيَةَ الْعَجَبِ
 بُشْرَىٰ وَآيَةٌ نَصْرٌ أَوْ حَدِيثٌ نَبِيٍّ
 وَلَهْفَةٌ الشُّوقِ مِنْ جُنْدٍ وَمِنْ عَصَبٍ
 يَرُوي وَيَغْسِلُ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْ شُعْبِ
 تَزْيِجٍ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالْحُجْبِ
 فَتَحًا مِنَ اللَّهِ لَا فَتَحًا مِنَ الْقُضْبِ
 وَكَبْرِي وَأَسْجُدِي لِلَّهِ وَأَقْتَرِبِي
 وَزَيْنِي الدَّارِ مِنْ حِلِّي وَمِنْ قُشْبِ
 مَاذَنًا خَشَعَتْ بِالْأَيِّ وَالرَّهْبِ
 فَتَحَ الْفُتُوحِ وَهَذَا زَهْوَةُ الْعَلْبِ
 عَلَى الزَّمَانِ سَبَاقِ الصَّادِقِ الْأَرَبِ
 اللَّهُ يُمِضِيهِ فِي تَرْكِ وَفِي عَرَبِ
 نَفْسٌ لَهُ بِرَخِيصِ الْفَتْحِ وَالسَّلْبِ
 وَلَهْفَةٌ الشُّوقِ تُنْجِيهِ مِنَ الرَّيْبِ
 يُفَجِّرُ النُّورَ فِي وَادٍ وَفِي هِضْبِ
 وَرَدًا وَعَضَّتْ عَلَى الْأَشْوَاكِ وَالْعَرَبِ
 طَلَاتِعُ الْحَقِّ مِنْ صَيْدٍ وَمِنْ نُجْبِ
 بَلَّغَتْهُ وَكَرِيمِ السَّعْيِ وَالطَّلَبِ

١٤/١٠/١٤٠٦هـ

* * *

٢٢/٦/١٩٨٦م

لا تقل لي: سياسة وسلام

(من ملحمة الأقصى)

وَدِمَائِي تَمُوجُ فِيهَا النُّجُودُ
حَقُّ؟! أَيْنَ الْوَفَاءِ؟! أَيْنَ الْعُهُودُ
مَمَّةٌ تَذُرُّ وَأَطْفَالَهَا وَتَبِيدُ
وَتُكَالِي وَطِفْلَهَا الْمَوْوَدُ
تُتْ دِمَاءٌ وَلَا انْطَوَى تَشْرِيدُ
وَخِيَامُ اللَّجُوءِ حُمُرٌ وَسُودُ
لُ! يُنَادِي: أَيْنَ الْكَمِيِّ النَّجِيدُ
بِ دَوَاهِ يَشِيبُ مِنْهَا الْوَلِيدُ

* * *

فَحَدِيثُ السَّلَامِ شَيْءٌ بَعِيدُ
مَ «وَسَلَّ رُوسِيَا وَسَلَّ مَنْ تُرِيدُ
قَبْلَ أَنْ يَفْرَضَ السَّلَامَ الْحَدِيدُ؟!
نَ وَهَلْ يَبْتَغِي السَّلَامَ الْيَهُودُ؟!
سِعَ! أَطْمَاعُهُمْ هُنَاكَ تَزِيدُ
أَذْبُحُوهُمْ حَتَّى يَجْفَى الْوَرِيدُ
فِ وَيَمْضِي بِهِ الْأَبْيُّ الشَّدِيدُ

* * *

لَا تَقُلْ لِي: سِيَاسَةٌ وَسَلَامٌ
وَبَقَايَا الْأَشْلَاءِ تَصْرُخُ أَيْنَ الـ
وَالْأَعَاصِيرُ تِلْكَ تَقْتَلِعُ الْخَيْـ
وَالصَّبَايَا! وَأُدْمَعُ! وَتَتَامَى
وَالدِّمَاءُ الَّتِي صَبَبْنَا! وَمَا جَفَّ
لَمْ تَزَلْ أَنَّهُ اللَّجُوءُ تُدَوِّي
وَرَضِيعٌ يَكَادُ يُنْطِقُهُ الْهُوُ
انْهَضِي أُمَّتِي! أَفِيقِي! عَلَى الدَّرِّ

لَا تَقُلْ لِي سِيَاسَةٌ وَسَلَامٌ
سَلَّ «أَمْرُكَ» عَنِ السَّلَامِ «بِفَيْتِنَا
وَسَلَّ النَّاسَ! مَنْ أَرَادَ سَلَامًا
هَلْ أَرَادَ الرُّوسُ السَّلَامَ بِأَفْغَا
كُلُّهُمْ يَنْظُرُونَ لِلْأُفُقِ الْوَا
حَسِبُونَا مِثْلَ النَّعَاجِ فَقَالُوا
يَفْرَضُ السَّلْمَ صَاحِبُ الْحَقِّ بِالسَّيِّدِ

لَا تَقُلْ لِي مَرَّاحِلٌ وَدَهَاءُ
كُلِّ بَضْعٍ مِنَ السَّنِينِ تَرَانَا
وَعَدُوِّي أَرَاهُ يَقْفِزُ وَثَبًا
لَا تَقُلْ لِي : رَأْيِي وَخُطَّةُ نَهْجِ
كُلِّ يَوْمٍ نَرْمِي وَنُعَلِي شِعَارًا
وَلَدِينَا مِنَ الْعَوَاطِفِ نَارًا
وَخُطَانَا عَلَى الطَّرِيقِ شَتَاتًا

كُلَّ يَوْمٍ تَضِيقُ حَوْلِي الْحُدُودُ
أَلْفَ مِيلٍ إِلَى الْوَرَاءِ نَعُودُ
لِمَزِيدٍ وَمَا كَفَاهُ الْمَزِيدُ
ذَاكَ نَهْجٍ تَضِيعُ فِيهِ الْجُهُودُ
وَعَدُوِّي لَهُ شِعَارٌ وَحِيدُ
أَكَلْتَنَا وَمِنْ هَوَانَا وَقُودُ
كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِ سَعِيدُ

* * *

يا قبة الأقصى
(من ملحمة الأقصى)

أَفْقاً يُظَلِّلُ لَهْفَتِي وَأَوَارِي
عِنْدَ الْهَجِيرِ وَعِنْدَ كُلِّ عِصَارِ
سُدَّتْ إِلَيْكَ مَسَالِكُ وَبَرَارِي
عَبَقَ الْجَنَانِ بِهِ وَمِنْ أَرْهَارِ
قَصَصُ الْجُدُودِ وَنَسْمَةُ الْأَخْبَارِ
نَشَرَتْ هَوَى الْأَصَالِ وَالْأَسْحَارِ
دَفَقُ الْمَلَا حِمٍ أَوْ دَوِي نِفَارِ
وَأَيْنِهِ وَجِرَاحِهِ وَإِسَارِ

يَا قُبَّةَ الْأَقْصَى طَلَعْتَ عَلَى الْمَدَى
فَمَلَّتْ آفَاقَ الْحَيَاةِ بِلَالَةَ
يَا سَاحَةَ الْأَقْصَى وَيَا لَجَلَالِهِ
أَمْرٌ فِي سَاحَاتِهِ وَأَشْمٌ مِنْ
أُصْغِي إِلَى الزَّيْتُونِ بَيْنَ ظِلَالِهِ
وَعَلَى أَرِيحِ الْبُرْتُقَالِ نَدَاوَةَ
وَشَذَاً مِنَ اللَّيْمُونِ بَيْنَ أَرِيحِهِ
الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى! فَيَا لِحَنِينِهِ

* * *

بينون من أشلائهم شرف الهوى

(من ملحمة الأقصى)

تَدْعُو وتُنذِرُ كُلَّ مَنْ فِي الدَّارِ
 شَقَّ الزَّمَانَ وَعَادَ فِي آثَارِي
 وَطُيُوفُ أَجْدَادٍ تَقُولُ: حَذَارِ
 تُلْقَى وَحَبْلٌ مَكَائِدٍ وَدَمَارِ
 تَنْجُو وَمِنْ جُحْرِ وَمِنْ أَوْكَارِ
 هَلَكُوا عَلَى طَمَعٍ لَهُمْ وَسُعَارِ
 وَعَلَى أَكْفَهُمْ جُنُونٌ شِفَارِ
 مِزْقٍ تَنَازَّرُ فِي نُيُوبِ ضَوَارِي
 وَرُبُوعَهَا وَمَنَابِتِ الأشْجَارِ
 دَامَ وَتَنَحَّرُ فِي يَدَيِ جِزَارِ
 مَكْرٌ وَحَرْبُهُمْ جُنُونٌ دَمَارِ
 مِنْهُمْ وَلَا يَرْضَى هَوَانَ «قَرَارِ»
 بَحْرَ الدَّمَاءِ تَفْرُزُ بِعَقْبِي الدَّارِ
 عَزْمًا وَمَعْلَمَ وَثْبَةٍ وَمَنَارِ
 رُصَّتْ عَلَى عَهْدٍ وَصِدْقِ دِمَارِ
 مُهْجَاً وَصَبَّتْ مِنْ دَمٍ فَوَارِ

وَرَجَعْتُ أُدْرَاجِي وَخَلْفِي صَيِّحَةٌ
 أَمْضِي وَتَبْعُنِي الصَّدَى وَكَانَهُ
 مِنْ كُلِّ رَابِيَةٍ نِدَاءٌ عَقِيدَةٌ
 إِيَّاكَ مِنْ شَرِكٍ يَمُدُّ وَفِتْنَةٌ
 إِيَّاكَ مِنْ وَحْلِ تَغْوُصُ بِهِ فَلَا
 الْمُجْرِمُونَ عِصَابَةٌ! يَا وَيْلَهُمْ!
 وَثَبُوا وَبَيْنَ ضُلُوعِهِمْ جَشَعُ الْهَوَى
 تَرَكَوْا ضَحِيَّتَهُمْ وَلَسْتَ تَرَى سِوَى
 يَتَنَازَعُونَ هَوَاءَهَا وَفَضَاءَهَا
 وَالنَّاسُ قَطْعَانُ تُسَاقُ لِمَهْمِهِ
 دَوْلٌ عَمَالِقَةُ الْفَسَادِ فَسَلِمُهُمْ
 مَا كَانَ يَسْتَجِدِي الْأَبِيَّ حُقُوقُهُ
 «حَقُّ الْمَصِيرِ» إِذَا عَزَمْتَ فَخُضْ لَهُ
 وَاجْعَلْ لِدَرْبِكَ خُطَّةً تَجْلُو بِهَا
 وَادْفَعْ إِلَى الْمِيدَانِ رَحْفَ كِتَابِ
 يَمْضُونَ لِلْأَقْصَى نَفُوسًا أَرْخَصَتْ

وَمِنَ الْجَمَاجِمِ عِزَّةَ الْأَسْوَارِ
أَفَاقَهَا قَدْرًا مِنَ الْأَقْدَارِ
بِمَعَاوِلِ الْفُجَّارِ وَالْكَفَّارِ
طَلَعَتْ طُلُوعَ الْكُوكَبِ الزَّهَّارِ

يَبْنُونَ مِنْ أَشْلَانِهِمْ شَرَفَ الْهَوَى
لِللَّهِ كُلُّ قَذِيفَةٍ شَقَّ الْهُدَى
تَهْوِي كَمَا يَهْوِي الْقَضَاءُ إِذَا أَتَى
فَتَطُلُّ مِنْ سَاحِ الْجِهَادِ بَشَائِرُ

* * *

١٤١٠ / ٥ / ٦ هـ

١٩٨٩ / ١٢ / ٤ م

وقفه في تاج محل (من ملحمة الإسلام في الهند)

رَجَّعَ قَصِيدَكَ فِي الزَّمَانِ وَغَرَّدَ
 مَا أَنْتَ إِلَّا سَيِّدٌ مِنْ أُمَّةٍ
 حَمَلَتْ رَسَالَتَهَا إِلَى الدُّنْيَا هُدًى
 وَمَضَتْ مَعَ التَّارِيخِ تَرْفَعُ بِالْهُدَى
 هِيَ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ! تَنْشُرُ نُورَهُ
 «جَهَانُ»! هَذَا الصَّرْحُ كَيْفَ بَنِيْتُهُ
 فَلَايِّي مَجْدِي يَا «جَهَانُ» رَفَعْتُهُ
 عَشْرُونَ عَاماً أَوْ تَزِيدُ صَبِيْتَهَا
 دُنْيَا تَمُرُّ كَأَنَّهَا الظِّلُّ الَّذِي
 أَمَّا «الْجَنَانُ» فَإِنَّهَا الْحَقُّ الَّذِي
 وَاعْبَقْ بِطَيْبِكَ فِي الْحَيَاةِ وَجَدِّدِ
 طَلَعْتَ عَلَى الدُّنْيَا بِأَعْظَمِ سَيِّدٍ (١)
 لِتُصَدِّدَ كُلَّ مُكَابِرٍ مُتَمَرِّدٍ
 مَجْداً وَبِالْإِيمَانِ أَشْرَفَ مَحْتَدٍ
 وَتَدُقُّ أَبْوَابَ الْجَنَانِ وَتَفْتَدِي
 غَرَّتْكَ مِنْ دُنْيَاكَ زَهْوَةٌ سُودِدِ
 وَلَأَيِّ مَعْنَى فِي الْحَيَاةِ وَمَقْصِدِ
 فِي سَاحِهِ مَالاً وَأَنَّةً مُجْهَدِ (٢)
 يُطَوِّى عَلَى عَجَلٍ ، وَتُفْقَدُ مِنْ يَدِ
 يُوفِي، بِكُلِّ مُطِيبٍ وَمُخَلِّدِ (٣)

* * *

(١) ما أنت إلا سيد: هو شاه جهان أحد ملوك دولة المغول المسلمة، وهو الذي أمر ببناء «تاج محل»، ليضم قبرين: قبراً لزوجته التي توفيت وكان يهيم بها حباً، وقبراً له. وكانت أجرا عاصمة ملكه واسم زوجته «همتان». راجع المقدمة الثرية: وقفه في تاج محل. بأعظم سيد: هو محمد صلى الله عليه وسلم.

(٢) استغرق البناء كله (٢٢) عاماً وعمل فيه عشرون ألف شخص.

(٣) «الجنان» الدار الآخرة.

وَكَأَنَّهُ قَبَسٌ وَوَمِضَةٌ فَرَقْدِ
 هَـذِي الْغِرَاسِ وَأَيُّ رِيٍّ مُرْفِدِ
 هَـذِي الْجَوَاهِرِ لَوْلُؤًا فِي عَسْجِدِ^(١)
 تٌ وَهَذِهِ صُورِي وَهَذَا مَوْلِدِي
 تَاقٍ أَوْ أَمَلِ الْهَوَى الْمُتَجَدِّدِ^(٢)
 بِفَمِ الزَّمَانِ وَذِكْرِيَاتٍ لِلْغِدِ
 سَاحَاتِهِ زَهُو الْجَمَالِ الْمَفْرَدِ

أَصِفُ الْجَمَالَ وَلَسْتُ أَنْكُرُ حَقَّهُ
 يَا «تَاجُ» مِنْ أَيِّ الْجِنَانِ حَمَلْتَهَا
 يَا «تَاجُ» مِنْ أَيِّ الْمَعَادِنِ صُغِفْتَهَا
 لَمَّا رَأَى الْحُسْنَ قَالَ هُنَا خُلِقَ
 مَا كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ إِلَّا شُعْلَةُ الْمُسْ
 وَأَظَلُّ بَعْدَ الْيَوْمِ لِحَنَا شَيْقًا
 أَمَا هُنَا فَأَنَا الَّذِي أَجْلَى عَلَيَّ

* * *

وَيُعِيدُ فِي أَسْمَاعِنَا خَفَقَ الْيَدِ^(٣)
 مَا بَيْنَ يَأْقُوتٍ وَبَيْنَ زُمْرُدِ
 أَشْوَاقٍ سَيِّدَةٍ وَدَمْعَةٍ سَيِّدِ^(٤)
 أَصْدَاءِ أَضْلَاعٍ وَخَفَقَةَ أَكْبِدِ
 نَفَحَتْ عَلَيْكَ شِدَاً وَرَوْعَةً مَشْهَدِ
 أَطْيَافٍ رَفْرَفَةٍ وَهَمْسَةٍ خُرْدِ

يَاللِّجْدَارِ! يَكَادُ يَرَوِي قِصَّةً
 نَظَّمَتْ يَدُ النَّحَاتِ فِيهِ آيَةً
 وَتَكَادُ تَلْمَحُ فِيهِ أَطْيَافَ الْهَوَى
 يَمْضِي الزَّمَانُ يُعِيدُ فِي دَقَاتِهِ
 وَزَخَارِفِ مَا جَتِ كَأَنَّ زَهْوَرَهَا
 وَكَأَنَّهَا الْأَلْوَانَ بَيْنَ وَرُودِهَا

(١) على جدران المبنى وجدران القبرين رسمت أشكال زهور من قطع صغيرة من الأحجار الكريمة الملونة.

(٢) أي لم يكن أحد يحلم أو يتمنى حباً أعظم، ولا شوقاً لشيء في الدنيا أعظم من هذا التقدير للحب.

(٣) لقد رَسَمَ «النَّحَاتُ» على جدران القبرين وبعض الجدران الأخرى أشكالاً من الزهور الجميلة بألوان زاهية جميلة من قطع صغيرة من الأحجار الكريمة المختلفة، كما صنع زخارف مختلفة، كلها بيده، يُركبها من هذه الحجارة، مستخدماً أدواته. الخفق: ضرب الشيء بالدرّة أو الأداة.

(٤) أشواق سيدة: شوق «ممتاز» لزوجها وحبها له وهو غائب عنها في غزواته.
 دمعة سيد: دمعة شاه جَهَان على زوجته ممتاز التي ماتت في غيابه وهي تضع مولودها الرابع عشر.

وكانها دنيا تموجُ بها الصدى

آياتُ تاريخٍ مَضَى ومُجَدِّدٍ

* * *

«أَجْرًا»! وفي جنبك خَفَقَةُ عاشقٍ
أُصْغِي! كَأَنَّ عَلَى رُبَاكَ خُطَا الصَّبَا
وَكَأَنَّ رَقَزَقَةَ الطُّيُورِ بَدَوْحَهَا
قَبْرَانِ قَدْ جَمَعَا الهَوَى فِي آيَةٍ
أَغْفَتَ هُنَا «مُمْتَازًا»! يَامْثَوَى نَأَى
و«جَهَانَ» فِي غَزَاوَاتِهِ يَطْوِي المُنَى
غَابَا! فَأَيْنَ الشُّوقُ؟! أَيْنَ نَدَاوَةٌ
طُوِيَتْ صَحَائِفُهَا وَانْقَضَتْ فِي قِصَّةِ

ثَاوٍ وَخَفَقَةُ عاشقٍ مُتَمَرِّدٍ (١)
وَرَفِيفَ أَجْنِحَةِ الهَوَى المَتَوَقِّدِ
نَعْمَ أَعَادَ رُؤَى الشَّبَابِ الأَغْيَدِ (٢)
لِلذَّاكِرِينَ وَعِبْرَةَ لِلْمُهْتَدِي
رَجَّعَ صَدَى وَأَعَدَّ بَيَانَكَ وَاشْهَدِ
مَا بَيْنَ خَفَقَةِ أَضْلَعِ وَمُهْنَدِ (٣)
رَفَّتْ عَلَيْهِ؟! وَأَيْنَ صَفْوُ المَوْرِدِ؟!
سَلَفَتْ عَلَى قَدْرِ لَهَا مُتَرَصِّدِ

* * *

-
- (١) «أجرا» عاصمة ملك شاه جهان، وفيها تاج محل. عاشق ثاو: ممتاز التي توفيت. عاشق متمرد: شاه جهان الذي كان في الحرب.
(٢) الأغيّد: الناعم.
(٣) إشارة إلى الحب (خفقة أضلع)، وإلى الحرب (خفق مهند).

الطائفة الظاهرة^(١)

«لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»
(رواه مسلم^(٢) .)

(من ملحمة الإسلام في الهند)

| | |
|--|--|
| سِيرُدُ كَيْدِ الْمُجْرِمِينَ الْجُحَدِ | المُجْرَمُونَ اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ مَنْ |
| لِلَّهِ تَنْهَجُ بِالسَّبِيلِ الْأَقْصَدِ | فِتْنَةُ مُعْطَرَةِ الْجِهَادِ غَنِيَّةُ |
| فِي الْأَرْضِ أَوْ تُعْلِي لِيَاءَ مُحَمَّدِ | لِلَّهِ ظَاهِرَةٌ تُقَابِلُ مَنْ طَغَى |
| مَاضٍ وَكُلُّ مُصَدِّقٍ مُتَجَرِّدِ | مَنْ كُلُّ أَرْوَاعٍ فِي الْجِهَادِ مُجْرَبِ |
| لِلَّهِ، لَمْ يُشْرِكْ وَلَمْ يَتَرَدَّدِ | أَغْنَى الْحَيَاةَ بِصَدَقِهِ وَوَلَائِهِ |
| وَرَوَى الْمِرَابِعَ بِالِدَّمِ الْمَتَوَقِّدِ | مَنْحَ الْحَيَاةِ جَمَالَهَا بِوَفَائِهِ |
| شَوْقٌ إِلَى أَوْفَى النَّعِيمِ وَأَخْلَدِ | وَمَضَى لِإِحْدَى الْحُسَيْنِيِّينَ يَشُدُّهُ |

* * *

| | |
|---|--|
| سِيرُدُ مَكْرِ الْمُجْرِمِ الْمُتْرَضِّدِ | المُجْرَمُونَ اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ مَنْ |
| بِرٌّ وَإِحْسَانٌ وَخَفَقُ مُهَنَّدِ | سَتَرْدُهُ فِتْنَةٌ وَفَاءٌ رِجَالِهَا |

(١) هذه أبيات من ملحمة الإسلام في الهند تصف الطائفة الظاهرة. كما وردت في حديث رسول الله ﷺ.

(٢) صحيح مسلم. كتاب (٣٣). باب (٥٣). (١٩٢٠).

فِنَّةٌ تُقِيمُ عَلَى الزَّمَانِ مَنَائِرًا
وَتُعِيدُ لِلإِنْسَانِ عِزَّتَهُ الَّتِي
وَتُحَطِّمُ الأَغْلالَ عَنْهُ فَكَمْ مَضَى الإِ
وَتَمَدُّ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ يَدَ الهُدَى
فِنَّةٌ كَأَنَّ المِسْكَ مِنْ أَنفَاسِهَا
تَمْضِي فِيهِتَزُّ الرَّبِيعُ بِهَا إِذَا

مِنْ هَدْيِهَا وَمَلَا حِمَاءً مِنْ أَرْزَادِ
دَيْسَتِ وَتُوقِظُ شَوْقَهُ مِنْ مَرْقَدِ
نَسَانِ بَيْنَ مُضَلَّلٍ وَمُصَفِّدِ
مَدَدًا وَنَجْدَةً صَادِقٍ مُتَوَجِّدِ
مَلَأَ الزَّمَانَ وَعَطَّرَ الأفقَ النَّدِي
طَلَعَتْ وَيَغْنِي كُلُّ وَادٍ أَجْرَدِ

* * *

على أبواب كابول (من ملحمة الجهاد الأفغاني)

وَمِنْ رُؤْيٍ وَصَلَتْ عَهْدًا مَضَى بِنَدٍ
تُعَانِقُ الْمَجْدَ شَوْقَ الْأُمِّ لِلْوَلَدِ
عَادَتْ تُحَدِّثُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ بَلَدِي
يُقَرِّبُ الدَّارَ إِلَّا لَهْفَةَ الْكَبِيدِ
حَبْلٍ مِنْ اللَّهِ مَوْصُولٍ وَمُنْعَقِدِ
مَاضٍ وَيَبْقَى هَوَى دِينِي وَمُعْتَقِدِي

* * *

أَخْلَى مِنَ الدَّمِ دَفَاقًا مِنَ الْوَرْدِ^(١)
أَغْنَى مِنَ النَّبْعِ فَوَارًا عَلَى جَدِّ^(٢)
نَصْرٌ عَلَى عِزَّةِ قَعَسَاءَ لَمْ تَحِدِ^(٣)
مِلءَ الزَّمَانِ عَلَى الْآفَاقِ، فِي النُّجْدِ
عَلَى مَدَارِجِهَا آفَاقٌ مُجْتَهِدِ
تَدُقُّ أَبْوَابَهَا دَقًّا بِكُلِّ يَدِ
مَالُوا فَمَنْهُ جَلَاءُ الْحَقِّ وَالسَّدَدِ

أَسْكَبُ الشَّوْقَ مِنْ جَفْنٍ وَمِنْ كَبِدِ
الذِّكْرِيَّاتِ عَلَى أَطْلَالِهَا نَهَضَتْ
هُنَا اللَّيَالِي الَّتِي فَارَقْتَهَا زَمَنًا
«كَابُولُ» دَارِي وَإِنْ شَطَّ الْمَرَارُ فَمَا
فَحَيْثُمَا كَانَ ذَكَرُ اللَّهِ عُدْتُ إِلَى
أَنَا انْتَسَابِي إِلَى الْإِسْلَامِ: كُلُّ هَوَى

لِلَّهِ دَرُكٌ يَا «كَابُولُ» أَيُّ شَذَا
أَرْكَمِي مِنَ الْوَرْدِ فَوَاحًا بَرَوْضَتِهِ
رَحِيقُهُ: فِي سَبِيلِ اللَّهِ نَفَحْتُهُ
كَأَنَّهُ عَبَقُ وَالسَّاحِ تَنْشُرُهُ
لِلَّهِ تَسْكُبُهُ الْأَبْطَالُ صَاعِدَةً
إِلَى الْجَنَانِ! إِلَى الْفَرْدَوْسِ وَثُبَّتْهَا
لِلنَّاسِ إِنْ أَظْلَمُوا نُورَ بِهِ وَإِذَا

(١) الورد: جمع الوريد.

(٢) جدد: الأرض الغليظة المستوية.

(٣) قعساء: الثابت من العز.

كَمْ آيَةٍ عَرَضَتْ مِنْ طَيْبِهَا عَبْقاً
فَقِفْ هُنَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ فِي رَهَبِ

* * *

عَلَى عَلَا زَاهِرٍ فِي أَفْقِهَا الْغَرْدِ
وَإخْشَعْ إِلَى اللَّهِ فِي سَاحَاتِهَا وَعُدِ

جَلَالَ نَصْرِكَ آيَاتٍ مَبِينَةً
عَشْرُ مَضَتْ! وَالِدَمُّ الْقَانِي يُفَجِّرُهُ
لَقَدْ تَجَاوَزَتْ شَكْوَانَا وَوَأَقَعْنَا
إِلَى الْمِيَادِينِ يُجَلَى فِي مَلَا حِمَّهَا
هُنَاكَ بَيْنَ اللَّظَى صُغِتِ السِّيَاسَةُ لَا
هُنَاكَ صُغِتِ عَلَى الْمِيدَانِ فَلَسْفَةً
وَعُدْ بَرِّبَكَ لَا تُشْرِكْ بِهِ أَحَدًا

لِلْمُؤْمِنِينَ وَغِيْظُ الْحَاقِدِ النَّكِيدِ
مِنَ الْوَرِيدِ وَفَاءُ الْعَهْدِ وَالْعُدَدِ
وَقُمْتَ مِنْ غَفْوَةٍ رَكُضًا إِلَى كَبِدِ (١)
حَقٌّ وَيُحْسَمُ مِنْ أَمْرٍ وَمِنْ عُقْدِ
بَيْنَ الْأَرَائِكِ وَالْأَطْبَاقِ وَالْحَفْدِ (٢)
تَقُولُ إِنْ شِئْتَ نَصْرًا قُمْ لَهُ وَجِدِ
وَمَنْ يَعُدُّ بِسَوَى الرَّحْمَنِ لَمْ يَسُدِ

* * *

(١) كَبِدٌ: مَشَقَّةٌ.
(٢) الْحَفْدُ: الْأَعْوَانُ وَالْحَدَمُ.

نَجْوَى بين كابل وفلسطين

(من ملحمة الجهاد الأفغاني)

«كأبول»! لي منزلٌ كانت ملاعبه
هناك بين ظلالِ البرُتقالِ سرى
هل البساتينُ ما زالت تلمُّ بها
هل العصافيرُ من أعشاشها خرجت
هل المروجُ، هل الأنسامُ هل زهرُ
كانَّ وشوشةَ الزيتونِ أغنيَّةُ
وقال لي زهرُ الليمون: مهلك لن
خبأت كلَّ عطوري في مجامرها
يعيدُ لي مُهجةً كم كنت أرقبها
يظهرُ الأرض من رجسِ ألمِّ بها
وسكُبُ العطر من أوداجه عباقاً
يروى جذوراً من التاريخ ضاربةً
أزكى من العطر ما جاد الفؤادُ به
هذي فلسطين جناتٌ مُفتحةٌ
تظلُّ ملحمةُ الإيمانِ دائرةً

مغنى الصبا ورفيف الطائر الغرد
نفح العصور غني الجود والمدد
أحلى الثمار وأحلى العطر والشهد
مع البكور وهل زهر الرياض ندي
يموج بين غني الحلي والبرد
تقول هذي ميادين الردى فرد
أجود بالعطر! قد أمسكت جود يدي
نديَّةً لشهيد الحق والسدد
نقية صدقت للواحد الأحد
ومن فواجر آفاق ومن شرد
دماً تفجر من قلب ومن كبد
في الأرض أو أغصناً زرافة الملد^(١)
نفحاً يظل غناء الأعصر الجدد
وربوة من معين الماء والبرد
فيها ودفق دماء المؤمنين ندي

(١) التمدد: الانتهاء والفناء.

غضبة الزيتون وعتاب النسيم

كُلَّ الرَّوَابِي وَمَا قَدْ طَالَ مِنْ أَمَدٍ
فِي الدِّينِ فَأَقْرَأَهُ فِي آيٍ وَمُعْتَقِدٍ
وَكُلُّ مَا غَارَ أَوْ مَا اشْتَدَّ مِنْ صُعْدٍ
مَنْ ذَا يَبِيعُ غِرَاسَ العِزِّ والرَّادِ
وَعِزَّةً وَدَبِي نَابِلَسَ عَنِ صَفْدِ
تُرَاهُ وَكُلَّ فِي يَبِيعٍ وَفِي سَنَدِ
كَانَهَا رُقْعَ فِي ثَوْبٍ مُنْجَرِدِ
لَا تَنَمَحِي! وَعَذَابُ اللَّهِ شَرُّ غَدِ
وَمَلُؤُهَا عَبَقُ السَّاحَاتِ والنُّجْدِ
نَهَجُ الضَّلَالِ وَنَهَجُ الحَقِّ والرَّشْدِ
نَهَجُ الفَسَادِ وَلَا دَرَبًا عَلَى فَنَدِ
هُنَا، وَلَيْسَ عَدُوُّ اللَّهِ مِنْ وَلَدِي
ذُلُّ التُّرَابِ وَشَكْلُ اللَّحْمِ والجَسَدِ
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ لَمْ أَنْجَبْ وَلَمْ أَلِدِ
وَاللَّهُ دُونَ جَمِيعِ الخَلْقِ مُعْتَمِدِي

وَقَالَ لِي شَجَرُ الزَّيْتُونِ: وَيَحْكُ سَلِ
إِنِّي لَفَرَسَةٌ إِسْلَامٍ وَلِي نَسَبُ
وَقَالَ لِي كُلُّ مَا فِي الدَّارِ مِنْ شَجَرٍ
مَنْ ذَا يُمَزَّقُنِي؟! مَنْ ذَا يَقْطَعُنِي
أَفْصِلُ القُدْسَ عَنِ عَكَا وشَاطِئِهَا
الأَرْضُ أَرْضِي، أَرْضُ المُسْلِمِينَ فَمَنْ
مَنْ ذَا يَقِيمُ دُوِيَلَاتِ مُمَزَّقَةٍ
أَوْ أَنَّهَا سَبَّةٌ فِي الدَّهْرِ عَالِقَةٌ
وَنَسَمَةٌ حُلُوءَةٌ مَرَّتْ تَقُولُ لَنَا
نَهَجَانِ لَا يَجْمَعُ الرَّحْمَنُ بَيْنَهُمَا
لَا يَجْمَعُ اللَّهُ نَهَجَ المُؤْمِنِينَ عَلَى
لَيْسَ النَّوَافِرُ أَبْنَائِي وَإِنْ وُلِدُوا
بَرِئْتُ لَهِ مِنْ صَفٍّ يُوَحِّدُهُ
وَعَدْتُ بِاللَّهِ حَتَّى قُلْتُ مِنْ كَمَدِ
المُؤْمِنُونَ هُمْ الأَنْسَابُ صَادِقَةٌ

* * *

طفل من فلسطين

رَأَيْتُ طِفْلاً عَلَى سَاحَاتِهَا كُسِرَتْ
 وَيَبْنَ جَفْنِيهِ شَيْءٌ لَسْتُ أَعْرِفُهُ
 فَقَالَ إِنِّي حَبَسْتُ الدَّمَعَ يَمْنَعُهُ
 وَلَا يَرَانِي عَدُوِّي ! إِنْ تَكُنْ كُسِرَتْ
 لَكِنْ يَكَادُ يُذِيبُ الدَّمَعَ يَدْفَعُهُ
 أَنَا أَنْتَسَابِي لِذَارِ الْمُسْلِمِينَ فَهَلْ
 كُلُّ يَصْفَقُ لِي ! وَالنَّارُ تَأْكُلُنِي
 أَيْنَ الْمَلَائِينَ مِنْ أَهْلِي وَمِنْ رَحِمِي
 أَظَلُّ أَحْمِلُ أَحْجَارِي وَأَقْذِفُهَا
 وَلَمْ أَجِدْ مَدْفَعاً فِي السَّاحِ يَحْمِلُنِي
 صَبُّوا جُمُوعَكُمْ فِي سَاحِهَا فَهِنَا
 إِذَا رَكَبْتُمْ أَتَى مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ
 وَيُفْسِدُ النَّاسَ عَنِ دِينِ وَعَنْ خُلُقِي
 سَأَجْعَلُ الْحَجَرَ الْمَوَّارَ قُنْبُلَةً
 وَأَمْلاً الْأَفْقِ هَدَّاراً بِقَازِفَةٍ
 سَيَسْتَنِي الطِّفْلُ عَمَلِقاً بِسَاحِهَا
 وَيَسْتَنِي حَجَرُ الْأَطْفَالِ عَاصِفَةً
 حَتَّى يَقُولَ بَنُو الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَلُوا

يَدَاهُ وَالسَّاقُ عَنْ كَيْدٍ وَعَنْ عَمَدِ
 كَأَنَّهُ الدَّمَعَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْجَمَدِ
 مِنِّي الْإِبَاءُ وَصِدْقُ الْعَزْمِ وَالْجَلَدِ
 يَدَايِ فَالْعَزْمُ لَمْ يُكْسِرْ وَلَمْ يَكِدِ
 عَلَى خُدُودِي هَجْرُ الْأَهْلِ ، ضَيْقُ يَدِي
 أَظَلُّ فِي عَالَمٍ نَاءٍ وَمُنْفَرِدِ
 وَالنَّاسُ فِي شُغْلٍ عَنِّي وَفِي زُهْدِ
 أَيْنَ الْمَدَافِعِ فِي زَحْفٍ وَفِي حَشْدِ
 إِلَى مَتَى ؟ ! وَعَدُوِّي كَامِلُ الْعُدَدِ
 وَلَا الرِّصَاصَةَ ! إِلَّا فِي حَشَا كَبْدِي
 خَصْمٌ تَطَّلَعَ لِلْأَفَاقِ وَالصُّعْدِ
 يَسْطُو وَيُفْسِدُ فِي رِزْقِي وَفِي وِلْدِ
 وَتِلْكَ حَالِقَةُ الْأَفَاتِ وَالْعُقَدِ
 وَالْأَهْبُ الْأَرْضِ مِنْ نَارٍ وَمِنْ وَقْدِ
 مِنَ الصَّوَارِيخِ أَلْقِيهَا عَلَى لُدْدِ
 يَدُكَ مِنْ قُلُلِ الْكُفَّارِ أَوْ عُمْدِ
 تَجْتَاحُ مِنْ قَلْعَةٍ فِيهِمْ وَمِنْ سُدْدِ
 هُنَا إِذْنُ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ لَمْ تُبَدِ

وَيَنْعَمَ الْخَلْقُ فِي أَمْنٍ وَفِي رَعْدٍ
وَنَدْعُو النَّاسَ لِلْإِيمَانِ وَالرَّشَدِ
وَلَا يُنَافِقُ إِنْسَانٌ إِلَى أَحَدٍ

عَادَتْ لِيَسْعَدَ فِي أَفْيَئِهَا أُمَّ
نَمْضِي لِنَحْمِلَ لِلدُّنْيَا رِسَالَتَنَا
وَنَدْعُو النَّاسَ إِلَّا يُشْرِكُوا أَبَدًا

٨ / ٨ / ١٤٠٩ هـ

* * *

١٥ / ٣ / ١٩٨٩ م

فلق الصباح

(من ملحمة فلسطين)

وأنهض لملحمة الجهاد وأقدم
وبكل منعطف يحن إلى كمي
خنقوا النداء وأطبقوا فوق الفم
أفلاكها حراً وبين الأنجم
أسماعها والدار قبضة مجرم؟!
بالله لا غر ولا متوهم
مفتوحة للسائل المتوسم
طويت وما بال الفتى لم يحزم
كالبرق من أفي شحيح مظلم
ونشرت من برق العرائم والدم
بالعطر من عقب الجهاد الملهم
وجلال إسراء وعزة مسلم
نوراً فيغمر من ربى أو معلم
قلبي ويظهر من هوى أو ماثم

رجع دويك في البطاح ودمدم
رجع نداءك في الوهاد وفي الذرى
وأطرق بصيحتك الفضاء فها هنا
وارفع نداءك في السماء يطف على
من ذا يجيبك والدنا قد سكرت
فأرفعه للرحمن خفقة موقن
والجأ إليه فلم تزل أبوابه
المشرعات على الربى ما بالها
ما بالهم وقفوا وأضحى زحفهم
هلاً نشرت الفجر في جنباته
فانهض! فهاتيك الربى قد فوحت
أمجاد تاريخ ووحي نبوة
ورفيف آيات تموج بساحها
قدسية الأنوار يخشع عندها

* * *

وأين صدرك من جوى لم يكتم
ينجيك من رهق الإسار المحكم
عصفت! وقيدك في الوعى لم يحطم

يا ربوة الأقصى حينك أدمع
تتلفتين! وأين إعصار الفتى
تتلفتين! وكل يوم ثورة

أَيْنَ الْفَتَىٰ لَهِ يَدْفَعُ خَطْوَهُ
وَيَدُقُّ أَبْوَابَ الْجَنَانِ عَلَى دَمٍ

وَتُبًا كَبَارِقِ صَارِمٍ أَوْ لَهْدَمٍ؟!
حُرًّا وَعَهْدٍ فِي الْوَعَى لَمْ يُثَلِّمِ

* * *

فَانْهَضْ إِذَا أُوقِيَتْ خُطَّةَ مُؤْمِنٍ
وَتَحَفَّزَتْ كُلُّ الرُّبَى! يَا حُسْنَهَا
وَارْتَنَّتْ بِالرَّاحِفِينَ كَأَنَّهُمْ
كُلُّ الْمِيَادِينَ الَّتِي هَبَّجَتْهَا
أَمَلٌ عَلَى أَجْفَانِنَا وَكُبُودِنَا
أَمَلٌ كَأَنَّ الْفَجْرَ فِي بَسْمَاتِهِ
وَنَضُّمٌ فِي أَحْنَائِنَا شَرَفَ الْهَوَى
لِلَّهِ مَا تَهْفُو الْقُلُوبُ إِلَى عَدِ
وَمَوَاكِبِ الْإِيمَانِ تَجْلُو نَصْرَهَا
وَمَجَامِعِ الدُّنْيَا تُرَدِّدُ حَوْلَهَا
لَا تَنْشِي إِلَّا وَفَتْحَ مُشْرِقِ
دَارٍ مُبَارَكَةٍ وَسَاحِ رَبَاطِهَا

وَصَدَقَتْ نَهْجَ الْفَارِسِ الْمُرْتَسِمِ (١)
وَالغَارُ فَوْقَ جَبِينِهَا وَالْمِعْصَمِ (٢)
فَلَقُ الصَّبَاحِ جَلَا عَيْرِ الْعَنْدَمِ
هَبَّاتُ خَطَارٍ وَلَهْفَةٌ مُعْلَمِ
وَعَلَى مُحْيَانَا وَفَوْقَ الْمُبْسَمِ
وَرَفِيفُهُ بَيْنَ الطُّيُوفِ الْحَوْمِ
وَالشُّوقِ بَيْنَ مُجَنِّحِ وَمُكْتَمِ
زَاهٍ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ مُوسِمِ
لِتُعِيدَ لِأَلَاةِ الْفُتُوحِ الْيَتَمِ
اللَّهُ أَكْبَرُ أَقْبَلِي وَتَقَدَّمِي
وَكَرِيمُ عَرَضِيكَ فِي الْوَعَى لَمْ يُكَلِّمِ
بَابُ الْجَنَانِ وَأَيَّةُ الشُّوقِ الظَّمِي

* * *

- (١) إشارة إلى ضرورة وجود خطة واضحة ونهج واع مدروس، وأهداف محددة تحقق كلها الغاية المرجوة وتوصل إلى الأمل الكبير حتى لا يتحول الجهد إلى شعارات أو إلى مسيرة بعيدة عن الأهداف.
- (٢) إشارة إلى أنها قضية الأمة المسلمة كلها، لا قضية شعب واحد.

سراييفو (١)

(من ملحمة البوسنة والهرسك، الجريمة الكبرى)

مِنَ الثُّورِ أَوْ دَفَقِ مِنَ العِطْرِ وَالدَّمِ
تُدَوِّي وَهُزِّي مِنْ غُفَاةٍ وَنَوْمٍ
دِيَا جِيرُ مَا جَتَ فَوْقَ سَاحِ وَمَعْلَمِ
وَعَهْدُكَ مِشَاقُ الكَمِيِّ المَصَّمِ
وَتُحْيِي مِنَ الأَعْرَاسِ فِي كُلِّ مَاتَمِ
إِبَاءً وَإِيمَانًا وَجَوْلَةَ مُسْلِمِ

* * *

عَزَائِمُ خَطَّارٍ وَوَثْبَةٌ ضِيغَمِ
إِبَاؤُكَ! وَاهْتَرَّتْ رُبَاكَ فَأَقْدَمِي
وُدُودًا تُرَوِّى مِنْ كُبُودِ وَعَنْدَمِ
وَفَاءً لِدَيْنِ صَادِقِ العَهْدِ مُلْزَمِ
وَتَعْبِقُ سَاحَاتٍ بِجَوْلَةِ مُعْلَمِ
وَتُرَوِّى مَعَ الأَيَّامِ قِصَّةَ مُجْرِمِ

* * *

أَطْلِي «سَرَايِفُو» عَلَيْنَا بِدَفْقَةِ
أَطْلِي «سَرَايِفُو» عَلَيْنَا بِصِيحَةِ
أَطْلِي عَلَى الدُّنْيَا سَنَا الفَجْرِ دُونَهُ
طَلَعَتْ عَلَى الدُّنْيَا وَوَجْهُكَ مُشْرِقُ
فَتُنْمِي غِرَاسَ الحَقِّ بَيْنَ مَجَازِرِ
وَتُعْطِي إِلَى الإِنْسَانِ جَوْهَرَ عِزِّهِ

رَمَاكَ عَدُوُّ الله فَانْتَفَضَتْ لَهُ
أَرَادُوكَ لِلْمَوْتِ السَّدِيلِ فَلَمْ يَهْنُ
فَارْضُكَ مِيلَادُ الحَيَاةِ تَفْتَحَتْ
يَصُبُّ بِهَا التَّارِيخُ حَرًّا دِمَائِهِ
فَتَعْبِقُ أَرْمَانَ بِطِيبِ أَرِيحِهَا
تُعِيدُ عَلَى السَّاحَاتِ زَهْوَ جِهَادِهِ

(١) أُلْقِيَتْ فِي النَّدْوَةِ الشَّعْرِيَّةِ فِي القَاهِرَةِ، النَّدْوَةُ الَّتِي عُقِدَتْ بِمُنَاسِبَةِ مَوْقِعِ الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ الَّتِي دَعَتْ إِلَيْهَا جَامِعَةُ عَيْنِ شَمْسٍ وَاتِّحَادُ الجَامِعَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ وَرَابِطَةُ الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ وَذَلِكَ بَيْنَ (٢٣ - ٢٥) ربيع الثاني ١٤١٣هـ (٢٠ - ٢٢) تشرين الأول - أكتوبر ١٩٩٢م. وهي جزء من «ملحمة البوسنة والهرسك - الجريمة الكبرى».

أَغَارَتْ وَحُوشُ الْأَرْضِ! يَا لِزُخُوفِهَا
تَدَافِعُ أَرْتَالِ الْجَحِيمِ تَذْكُهَا
تَزَاحِمُ فِي عَرْضِ السَّمَاءِ قِذَائِفُ
كَأَنَّ فِضَاءَ اللَّهِ يَهْوِي عَلَى الثَّرَى
تَطَايِرُ أَشْلَاءُ وَتُلْقَى جَمَاجِمُ
فَكَمْ مِنْ صَبِيٍّ فِي نَضَارَةِ عُمُرِهِ
وَكَمْ مِنْ عَجُوزٍ لَمْ تَرَعَهُ هُمُومُهُ
وَكَمْ كَاعِبٍ رَدَّتْ عَلَى الطَّهْرِ خَدْرَهَا
تَلَفَّتْ لِلْآفَاقِ عَلَّ حُمَاتِهَا
تَلَفَّتْ! أَيْنَ الْمُسْلِمُونَ وَأَيْنَ مَا
فَرَدَّتْ عَلَى الذَّلِّ المَرُوعِ طَرْفَهَا
وَأَهْوَتْ عَلَى وَحْلِ! وَأَطْبَقَ فَوْقَهَا

* * *

وَيَا لِهِلاكِ بَيْنَ ذَنْبٍ وَأَرْقَمِ
جُنُونٍ لَهَيْبِ قَاصِفٍ وَمُدْمِدِمِ
مِنَ الْمَوْتِ تَهْوِي بِالْفَنَاءِ الْمُحْتَمِ
وَيُطْبِقُ، يَا وَيْحِي، عَلَى كُلِّ مَعْلَمِ
وَتُطَلِّقُ أَنْهَارُ تَدْفِقُ بِالْدَمِ
تَمَزَّقَ! لَمْ يَأْتُمْ وَلَمْ يَتَنَعَّمِ
فَرَاعَتْهُ أَهْوَالُ الْعَدُوِّ الْمُطْلَمِ
تُنَاشِ بُوْحَشٍ مُجْرِمِ الطَّبَعِ مُرْغَمِ
يُطْلُونَ مِنْ أَفْتَى هُنَالِكَ مُظْلَمِ
دَعَا مِنْ شِعَارَاتِ الْوَفَاءِ الْمُرْجَمِ
وَطَوَّتْ عَلَى الْأَحْنَاءِ غُصَّةَ أَيْمِ
ذِنَابُ! وَذَارَتْ قِصَّةَ لَمْ تُتَمِّمِ

أَغْيِثُوا بَنِي الْإِسْلَامِ عِرْضِي وَمَحْرَمِي
تَهَاوَى عَلَى سَيْلِ الرِّصَاصِ الْمُدْمِدِمِ
وِظَلُّ حَنَانٍ مِنْ عُيُونٍ وَمِنْ فَمِ
فَعَاجِلَهَا قِصْفُ اللَّهَيْبِ الْمُضْرَمِ
دُعَاءٌ إِلَى مَوْلَى أَبْرَّ وَأَرْحَمِ
طَوَّاهَا الرَّدَى عِنَا فَلَمْ تَتَكَلَّمِ
صَدَّاهَا عَلَى الْآفَاقِ غُصْبَةُ مُسْلِمِ
وَمَاجَتْ عَلَى خَدَّيْهِ أَشْجَانٍ يُتَمِّمِ

وِظْفَلٍ يَكَادُ الْهَوْلُ يُطْلِقُ صَوْتَهُ
تَلَفَّتْ كَيْ يَلْقَى أَبَاهُ مُضْرَجاً
تَدْفِقُ مِسْكَ مِنْ عُرُوقٍ وَأَضْلَعِ
وَأُمّاً يَدَاهَا مُدَّتَا كَيْ تَضُمَّهُ
قَضَّتْ وَيَدَاهَا لَمْ تَزَالَا كَانَّهَا
عَلَى شَفْتَيْهَا تَمْتَمَاتُ كَانَّمَا
وَلَكِنْ تَلَقَّتْهَا الْقُلُوبُ وَأَطْلَقَتْ
وَفَاضَتْ عَلَى عَيْنَيْهِ حُرْقَةً أَدْمَعِ

وَأَطْلَقَ عَيْنَيْهِ تَدْوُرُ مَعَ الْمَدَى

عَلَى فَزَعٍ أَوْ حَيْرَةٍ أَوْ تَوْهَمٍ

* * *

تَلَفَّتْ وَالْأَفَاقُ جُنَّتْ وَفُتِّحَتْ
فَمَا رَاعَهُ إِلَّا طَلَائِعُ عُصْبَةٍ
فَصَعَّدَ فِيهِ نَاطِرِيهَ : فَكْفُهُ
وَفِي وَجْهِهِ شَيْءٌ كَانَ سَوَادُهُ
تَلَاقَتْ إِذْنُ عَيْنَاهُمَا : عَزُّ مُسْلِمٍ
نَادَتْهُ عَيْنَاهُ ! يَا لِنِدَائِهِ
وَيَا لِنِدَائِهِ لَوْ أَصَابَ حِجَارَةٌ
وَنَادَى نِدَاءَ الْمُسْتَفِئِثِ ! فَحَزَّهُ
وَعَابَ نِدَاءَ الطِّفْلِ بَيْنَ زَمَائِمٍ
وَدَكَّتْ بِيُوتُ اللَّهِ ! يَا وَيْلَ كَافِرٍ
وَيَا وَيْلَ مَنْ يَلْهُو وَيَتْرُكُ أُمَّةً
سَتَمِضِي عَلَيْهِمْ سُنَّةُ اللَّهِ آيَةً
وَتَفْضُحُ مِنْ غَدْرِ طَوَاهِ مُنَافِقٍ

عَلَى لَهَبٍ مِنْ وَقْدِهَا الْمُتَضَرِّمِ
وَوُثْبَةٌ وَحَشٌّ هَائِجِ الطَّبَعِ أَيُّهُمْ (١)
بَرِيْقُ شِفَارٍ لَمْ تَجَفَّ مِنَ الدَّمِ
بِرَاكِينُ حَقْدٍ فَجَّرَتْ قَلْبَ غَيْهِمْ (٢)
صَبِيٍّ وَذُلِّ الْفَاجِرِ الْمُتَجَهِّمِ
بِرَاءَةٌ طِفْلِ تَسْتَفِئِثُ وَتَحْتَمِي
لِلْأَنْتِ لَهُ مِنْ صِدْقِهِ وَالتَّوَسُّمِ
وَالْقَاهِ أَشْلَاءِ الْإِبَاءِ الْمَحْطَمِ
تُدْوِي وَمَوْجٍ زَاحِفٍ مُتَقَدِّمِ
إِذَا مَا تَوْلَاهُ سَوَاءٌ جَهَنَّمِ
تُبَادُ وَيَغْفُو فِي هَوَاهُ وَيَرْتَمِي
فَتُلْقِيهِ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّرِّ أَشْأَمِ
شَقِيٍّ وَمَنْ كَيْدٍ أَشَدَّ مُكْتَمِ

* * *

هُنَا يُسْحَقُ الْإِنْسَانُ ! تَهْوِي سُومَخُ
هُنَا يُهْزَمُ الْمُسْتَكْبِرُونَ بِظُلْمِهِمْ
تُمَحَّصُ فِي هَذَا الْبَلَاءِ حَضَارَةٌ
وَتُشْرِقُ فِي قَلْبِ الدِّيَاجِيرِ عُصْبَةٌ

مِنَ الْخَيْرِ أَطْلَالَ الْبِنَاءِ الْمُهْدَمِ
وَلَوْ فَتَحُوا دَارًا وَقَارُوا بِمَغْنَمِ
لِيُكْشَفَ رَيْفٌ مِنْ شِعَارٍ وَمَرْعَمِ
بِكُلِّ تَقِيٍّ مُقْبِلٍ غَيْرِ مُحْجَمِ

(١) أَيُّهُمْ : مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا فَهْمَ .

(٢) الْغَيْهِمْ : الظُّلْمَةُ .

يَذُقُونَ أَبْوَابَ الْجَنَانِ تَزَاحَمُوا
أَوْلَئِكَ يَتَّبِعُونَ الْحَضَارَةَ وَالنُّهْيَ

* * *

وَمُسْتَكْبِرٍ فِي الْأَرْضِ جُنٌّ جُنُونُهُ
وَكَيْدٍ عَصَابَاتٍ تَوَارَتْ وَرَاءَهُ
وَقَالُوا «نِظَامٌ عَالَمِيٌّ» يَصُونُهَا
لَقَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ مُدَوِّيًّا
فَمَا بِالْهَ أَضْحَى هُنَا أَبُكْمًا وَعَنْ
وَسَكَرَتِ الدُّنْيَا الْعُيُونُ فَلَمْ تَعُدْ
عَصَابَاتُ إِجْرَامٍ تَدُورُ بِمَكْرَهَا
يَظُنُّونَ أَنَّ اللَّيْلَ بَاقٍ وَمَا دَرَوْا
يَشُقُّ الدُّجَى نُورًا وَيَطْرَحُ ظُلْمَةً

* * *

عَلَيْهَا وَشَوْقٌ قَدْ أَلْحَ بِهِمْ ظَمِي
وَيُعْلُونَ مِنْ مَجْدِ عَلَى الدَّهْرِ مُلْهِمِ

وَأَفْرَغَ مِنْ حِقْدِ كَرِيهِ مُذَمِّمِ
تَمُدُّ يَدًا تُغْنِيهِ إِنْ ضَاقَ أَوْ رُمِي
وَقَدْ كَذَبُوا وَاللَّهِ! يَا هَوْلَ مَا أَنْتُمْ!
عَيْنِدَا بِمَكْرٍ ظَاهِرِ الْكَيْدِ مُحَكَّمِ
جَرَائِمِ أَهْلِ «الصَّرْبِ» لَاهٍ بِهَا عَمِ
تَرَى غَيْرَ أَعْمَى أَوْ أَصَمٍّ وَأَبْكُمْ
مَعَ اللَّيْلِ أَشْتَاتِ الْهَوَى الْمُتَوَهِّمِ
بِأَنَّ عَلَى الْأَفَاقِ إِشْرَاقَ مُسْلِمِ
عَنِ النَّاسِ فِي فَجْرِ أَطْلَ مُوسَمِ

١٤١٣ / ٤ / ٢٥ هـ

١٩٩٢ / ١٠ / ٢٢ م

فجر

في موستار^(١)

(من ملحمة البوسنة والهرسك - الجريمة الكبرى)

ولم تُقَطَّعِ الجولاتِ فِيهِ وتُحَسِّمِ
تُكَالِي عَلَى أَطْلَالِ بَيْتِ مُهَدِّمِ
وَحَلَّفَ مِنْ عِطْرِ الدَّمَاءِ لَدَيْهِمْ
تَسَلَّلَ مَذْعُورِ الفؤادِ مُلْتَمِ
تُشَارُ بِلَيْلِ وَاسِعِ الشَّرِّ مُظْلِمِ
لِيُوقِظَ مِنْ طِفْلِ وَشَيْخِ وَأَيْمِ
بُعَيْدِ شَتَاتِ فِي الميادينِ مُقْحَمِ
هُنَالِكَ فِي المِيدَانِ جَوْلَاتِ مُلْجَمِ
وَتَبْتَلِعُ الأَمْوَاجُ وَثْبَةً ضَيْئَمِ^(٢)

* * *

تَدْفُقُ أَرْجَاسِ وَوَحْلِ وَمَائِمِ
تُجَمِّعُ مِنْ بَاغِ طَفَى وَمُزْنَمِ^(٣)

مَضَتْ هَزَعَاتِ اللَّيْلِ وَالفَجْرُ مُقْبِلُ
كَأَنَّ النَّدَى يَافْجُرُ دَمْعُ تَصْبُهُ
كَأَنَّ الشَّدَى أَعْفَى عَلَى الوَرْدِ وَأَنْطَوَى
تَسَلَّلَ نُورُ الفَجْرِ فِي رَعَشَاتِهِ
يُرْوَعُهُ كَيْدُ يُدَارُ وَفِتْنَةُ
يُسَابِقُ أَهْوَالَ الأَرْدَى وَزُخُوفِهَا
وَمِنْ أُسْرَةٍ لَمْ السُّبَاتِ جُفُونِهَا
وَقَدْ غَابَ عَنْهُمْ وَالدُّ لَمْ تَزَلْ لَهُ
تَمْوجُ المَنَابِيَا حَوْلَهُمْ وَمَكَائِدُ

وَأَقْبَلَ صَرْبِي لثِيمٌ كَأَنَّهُ
وَمِنْ حَوْلِهِ، لَوْ كُنْتُ تَشْهَدُ، عُضْبَةُ

(١) «موستار» عاصمة الهرسك. وهذه القصيدة جزء من كتاب «ملحمة البوسنة والهرسك - الجريمة الكبرى».

(٢) ضَيْئَم: الشديد.

(٣) مُزْنَم: دعى، لثيم، ملحق بقومه.

كَأَنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَ هَوْنَ غُرُورِهِمْ
فَفُرَّغَ مَنْ فِي الْبَيْتِ مِنْ هَوْلِ حَقْدِهِ
تَرَى طِفْلَةً لَمْ تَبْلُغِ السَّبْعَ رُوِّعَتْ
عَلَيْهَا رِداءً أَحْمَرٌ لَمْ يَزَلْ لَهُ
وَأَصْدَاءُ أَشْوَاقِ الطُّفُولَةِ لَمْ تَزَلْ
وَمِنْ خَلْفِهَا أُمٌّ حَنْتْ لِتَضُمَّهَا
وِطْفَلٍ رَضِيعٍ كَادَ يَزْحَفُ نَحْوَهُمْ
وَلَمَّا رَأَتْ ذَاتَ الرِّداءِ رَجَاءَهَا
تَرَاجَعَتِ الْأَمَالُ وَارْتَدَّ خَطْوُهَا
فَصَوَّتَ الدُّنْيَا الرَّصَاصَ إِلَيْهِمْ
وَأَبْلَى النُّظَامُ الْعَالَمِيَّ بِخَنْجَرٍ
يَدُورُ عَدُوُّ اللَّهِ بِالنَّارِ بَيْنَهُمْ
تَسَاقَطَتِ الْأُمُّ الْحَنُونُ وَأَقْلَتَتْ
وَطِفْلَتُهَا أَهْوَتْ تَصُبُّ دَمَاءَهَا
وَشَيْخٌ تَهَاوَى! يَا أَشْلَاءَ أُمَّةٍ

* * *

عَلَيْهَا بَقَايَا مِنْ حَدِيثٍ وَمِنْ دَمٍ
تَضِيعُ بِدُنْيَا مُجْرِمِينَ وَنُومٍ

وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا قِطْعَةٌ مِنْ رِداءِهَا
كَأَنَّكَ لَوْ أَصْغَيْتَ تَسْمَعُ صَيْحَةً

(١) أَيُّهُمْ : مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا فَهْمَ .

وَسَأَلَتْ دِمَاءً! فَالْتَقَى النُّورُ عِنْدَهَا
لِيَبْرُغَ مِنْهَا الْفَجْرُ يَنْشُرُ مِنْ هُدًى
وَدَوَى مَعَ الْفَجْرِ الْأَذَانَ وَأَوَّيْتُ
كَأَنَّهُمْ أَهْوَوْا إِلَى اللَّهِ سُجْدًا
وَقَدْ خَشَعَتْ كُلُّ الْبِطَاحِ وَرَجَعَتْ
وَدَوَّتْ بِهِ: اللَّهُ أَكْبَرُ! رَدَّيْ

وَعِطْرٌ وَأَنْدَاءٌ وَطَلْعَةٌ مُسْلِمٍ
وَيَجْلُو مَيْدَانَ الشَّبَابِ الْمَعْلَمِ
هَضَابٌ وَعَادَتْ بِالذُّعَا وَالتَّرْحُمِ
يُجِيئُونَ أَشْوَاقَ النَّدَاءِ الْمُحَوِّمِ
صَدَاهُ الرَّبُّبِي! يَا لِلنَّدَاءِ الْمَعْظَمِ
إِذْ يَارَوَابِي مِنْ هُدَاهُ وَعَلَّمِي

* * *

الرثاء

- أب يرثي ابنه ، رثاء ولدي إياد : بُنيَّ إياد .
- رثاء أخي نديم : نديم ! .
- رثاء الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا : غربة ودمعة .
- رثاء الشيخ الدكتور عبد الله عزام .
- رثاء الأستاذ عمر بهاء الأميري .
- رثاء والدة الأستاذ عبد العزيز الرفاعي وتعزيتة .
- رثاء الأستاذ عبد العزيز الرفاعي .

قصيدة
أب يزئي ابنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بُنَيَّ إِيَادَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ

إن الحمد لله نستغفره ونتوب إليه . أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . اللهم صلِّ على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .
في يوم الأربعاء الثامن والعشرين من جمادى الأولى عام ألف وأربعمائة واثنى عشر الموافق الرابع من كانون الأول «ديسمبر» عام ألف وتسعمائة وواحد وتسعين توفي ابني إياد رحمه الله رحمة واسعة وأدخله جنته . كانت الوفاة كما يبدو بعد الظهر، قبيل صلاة العصر .

في ذلك اليوم عاد إياد رحمه الله من جامعة الملك سعود، من كلية الهندسة قسم الكهرباء بحدود الساعة الواحدة بعد الظهر، حين كنت جالسًا مع بعض الأقرباء . لم يدخل ليسلم علينا، على غير عادته، وإنما دخل وجلس مع والدته وتناول طعام الغداء، وتوجه إلى غرفته ليستريح و ينتظر موعد صلاة العصر .

كنت رأيتُه صباحًا قبل توجهه إلى الجامعة، حين دخل عليّ وعندي ضيف فسلم علينا وذكرني الضيف بعد ذلك أنني عانقته بلهفة وحنان وشوق ودعوت له .

غادر الأقرباء بحدود الساعة الثانية إلا ربعًا . فذهبت أسأل عنه، فعلمت أنه في غرفته فتوجهت إلى غرفتي أستريح وأنتظر موعد صلاة العصر . وبعد قليل جاءت والدته، ووجهها خائف حزين، تقول حاولت إيقاظ إياد لصلاة العصر ولكنه لا يستيقظ، توجهت مسرعًا إلى غرفته، فوجدته مستلقيًا وشفته مزرقتان، وجسمه بارد . اضطربت، ناديتُه وناديتُه . . . ! اتصلت بالهاتف ببعض الأصدقاء، ثم نزلت أطرق أبواب بعض الجيران،

فاستجابوا سريعاً، فكلهم كانوا يستعدون لصلاة العصر. جزاهم الله عني خير الجزاء وضاعف لهم الأجر والثواب. وكان من الجيران: عبد الله محمد المدلج، وعبد الرحمن صالح العبيدان، وصالح صالح باحشوان، وكذلك السائق البنغلاديشي الذي يعمل عندنا: عبد الحميد محمد إسماعيل.

حملوه إلى سيارة جارنا الأخ صالح باحشوان فتوجهت معه إلى مستشفى «الشميسي» وانطلقت السيارة مع انطلاق أذان العصر: الله أكبر الله أكبر...! أسلمت أمري لله ومافارقني الأمل بنجاته إلا حين أبلغني أطباء المستشفى أنه متوفى منذ ساعتين تقريباً، وأنهم حاولوا تنشيط القلب وإعطاء الأكسجين دون جدوى.

قبلته ودعوت له مع الدموع الساخنة والحرقة اللاهبة والحسرة الشديدة. توضأت وصليت العصر، وعدت إليه أقبلة والعين تدمع والقلب يحزن. وبقي معي بعض الأهل والأصدقاء والجيران، منهم الأخوة الشيخ محمد بن سعد الهويمل وعبد الله بن مدلج المدلج وعبد الرحمن صالح العبيدان وحسين أبو عزب وصهري عبد المعطي الجوهري يلازموننا حتى إنهاء المعاملات القانونية في المستشفى وفي دائرة الشرطة، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

تم تغسيله في اليوم الثاني الخميس قبل الظهر، بعد استكمال الإجراءات القانونية، غُسل في المستشفى نفسه، وقام بالتغسيل جارنا الأخ بدر ناصر الدريهم وساعده جارنا الأخ عبد الله مدلج المدلج وصهري الأخ عبد المعطي الجوهري، وطيبوه وكفّوه. وقفت أثناء التغسيل أتأمل وجهه الطيب، أقبلة مع الدموع المتدفقة من الرحمة التي أودعها الله في عباده. ثم نُقل إلى المسجد القريب من المستشفى حيث انتظرنا صلاة الظهر فاجتمع عدد كبير من الأهل والأصدقاء وحضر من استطاع منهم من خارج الرياض. وصلينا عليه بعد صلاة الظهر، ثم نُقل إلى مقبرة «العود» في نهاية «البطحاء» حيث تمّ دفنه.

وأنزله في القبر جارنا السيدان بدر الدريهم وعبد الله المدلج وأهلّت عليه التراب وبللت قبره بالماء وتلقيت التعازي بدمع محبوس ولوعة مكبوتة، ودعاء ملحّ إلى الله

العليّ القدير.

يرحمك الله يا بُنيَّ إياد! كم كنت باراً رضيعاً، عاقلاً ذكياً، صابراً تقيّاً. اللهم إني عنه راضٍ فارضٍ عنه ورضه وغسله بالماء والثلج والبرد، ووسع له قبره واجعله روضة من رياض الجنة، واغفر له وارحمه أنت أرحم الراحمين.

أرثيك يا بني الحبيب بهذه الأبيات. ولكنها لا تحمل كل ما أحمله أنا وأمك وإخوتك وإخوانك من حب وتقدير ودعاء. فالحب الذي أحمله لك أكبر من الشعر. يرحمك الله يا إياد ويرحمنا ويرحم عباده المؤمنين.

ولد إياد في مدينة الرياض في ١/١١/١٣٩١ هـ الموافق ١٨/١٢/١٩٧١ م. وفيها أتمّ دراسته إلى الثانوية. وكان خلال دراسته هذه من الأوائل. نجح في التوجيهية بمعدل ٩٤٪ ودخل كلية الهندسة قسم الكهرباء. وكان في السنة الجامعية الثالثة حين توفي رحمه الله رحمة واسعة.

بُني إياد

يرحمك الله

وَشَوْقٌ إِلَى بَرِّكَ الطَّيِّبِ
وَعَطْرُ الْمَرَابِعِ وَالسَّنْبِ (١)
وَفَوْحُ الطَّفُولَةِ فِي الْمَلْعَبِ
تَقِيَّ الْمَسَالِكِ وَالْمَذْهَبِ

* * *

حَنِينَ الضُّلُوعِ وَشَوْقَ الْأَبِ
وَقَلْبِي وَطَرْفِي يُلْحَانِ بِي
فِيالوِثَابِ الْفَتَى الْأَنْجَبِ
يُيَلِّغُهَا اللَّهُ مِنْ يَجْتَبِي
فَجَلَّيْتُ فِي السَّبْقِ وَالْمَطْلَبِ

* * *

وَجَمْرٍ هُنَا فِي الْحَشَا مُذْهَبِي
تَفَجَّرُ مِنْ قَلْبِي الْمُلْهَبِ
تَصُبُّ الدُّمُوعَ وَلَمْ تَصْخَبِ
لَتَكْظَمَ مِنْ حُزْنِهَا الْمُنْصَبِ
أَلَا أَطْلُقِي الدَّمْعَ أَوْ سَرَّبِي (٢)

رَحَلْتُ! وَبِي لَهْفَةً مِنْ حَنِينِ
وَوَغْبَتًا! وَذَكَرُكَ عَطْرَ الْبِدَارِ
وَفَوْحُ الشُّبَابِ عَلَى جَدِّهِ
وَحَيْثُ نَزَلْتُ غَنِيَّ الْعَطَاءِ

رَحَلْتُ! وَمَا زِلْتُ أَهْفُو إِلَيْكَ
وَوَغْبَتًا! وَمَا زِلْتُ أُرْنُو إِلَيْكَ
رَكَضَتْ وَأَسْرَعَتْ! جُرَّتِ الْمَدَى
كَأَنَّكَ تَعْدُو إِلَى جَنَّةِ
كَأَنَّكَ فِي حَوْمَةٍ مِنْ سِبَاقِ

رَحَلْتُ، بُنِيَّ، عَلَى حُرْقَةٍ
عَلَى مُقْلَةٍ قَرَّحَتْهَا الدُّمُوعُ
وَحَوْلِي أُمَّكَ نَبْعُ الْحَنَانِ
تَعْضُ عَلَى شَفَتَيْهَا أَسَى
فَدَفَّقُ الدُّمُوعَ عَزَاءَ الْمُؤَادِ

(١) السَّنْبِ: الفلاة، الأرض البعيدة.

(٢) سَرَّبٍ: أطلق دفعة بعد دفعة.

تَهِيحُ بِإِخْوَتِكَ الذِّكْرِيَّاتُ
وَدَمْعًا يَفِيضُ عَلَى الْوَجْنَتَيْنِ
فِيخْفُونَ مِنْ لَوْعَةٍ فِي الْحَشَا
وَصَحْبٍ كَأَنَّكَ مِنْ مُهْجَةٍ
فَمَا جُؤَا! فَمِنْ مَوَكِبٍ مُقْبِلٍ

حَنِيتْنَا إِلَى الرَّحِمِ الْأَقْرَبِ
فِيحْبِسُهُ الْعَزْمُ مِنْ صُلْبٍ^(١)
يُوَاسُونَ مِنْ أُمَّهَمِ وَالْأَبِ
نُزَعَتْ وَمِنْ أَكْبَدٍ نُحْبِ
كَرِيمٍ يُوَاسِي إِلَى مَوَكِبِ

* * *

حَنِينُ الْأُمُومَةِ! شَوْقُ الْأَبْوِ
يَمْوِجُ عَلَى فِطْرَةٍ أودِعَتْ
فِيْمَتْدُ مِنْ عَالَمٍ ضَبِقَ
فَمَنْ يَسَعُ الْحُزْنَ! هَذَا مَدَاهُ
فَمَا يَسَعُ الْحُزْنَ إِلَّا يَقِينُ

ة! فَيَضُ مِنْ الْحَزَنِ الْأَضْعَبِ
وَنَبْعٍ مِنَ السِّرِّ لَمْ يَنْضَبِ
إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالغَيْبِ
مَدَى عَالَمٍ وَاسِعٍ أَرْحَبِ
وَصِدْقٍ مَعَ اللَّهِ لَمْ يُكْذِبِ

* * *

رَحَلْتَ! بُنَيَّ إِيَادًا! وَغَبْتَ
إِذَا مَا ذَكَرْتُكَ هَاجَتْ دُمُوعِي
تُنَازِعُنِي النَّفْسُ دَمْعُ يَفِيضُ
أَعُودُ إِلَى ذِكْرِ رَبِّي فَأَخْشُ

عَلَى لَوْعَةٍ وَأَسَى مُصْحَبِ
فَأَسْكُبُ مِنْ وَابِلِ صَيْبِ
عَلَيْكَ وَصَبْرٌ جَمِيلُ أَبِي
عَ لِلذِّكْرِ وَالْأَمَلِ الْأَرْحَبِ

* * *

رَحَلْتَ! بُنَيَّ إِيَادًا! وَغَبْتَ
فَأَنِّي التَّفْتُ أَرَى طَيْفَكَ الْحُلْدِ
وَطَلَعَةُ وَجْهَكَ إِشْرَاقَةُ
وَيَسْمَةُ وَجْهَكَ نُورُ يَفِيضُ

وَبِي مِنْ جَوَى هَائِجٍ مُنْصَبِ
وَ حَوْلِي يُخَاطِبُنِي يَا أَبِي
وَاقْبَالَ طَيْفَكَ لَمْ يَغْرُبِ
عَلَيَّ يَشْقُ دَجَى الْغَيْهَبِ

(١) صُلْب: الشديد، القوي.

وَلَهْفَةٌ صَوْتِكَ! كَمْ قَدْ حَنَوْتُ
فِيَجْلُو حَدِيثُكَ صَفْوَ النَّبَاهِ
تَضُمُّ جَنَاحِيكَ حَوْلِي بِيْرٌ

* * *

إِيَادًا! وَكُنْتَ تُجِيبُ النَّدَاءَ
فَمَا بِأَلْكَ الْيَوْمَ لَا تَسْتَجِيبُ
وَكَنْتَ تُجِيبُ نِدَاءَ الصَّلَاةِ
صَدَقْتَ! أَجَبْتَ نِدَاءَ أَجَلٍ
إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ! عُقْبَى التَّقِيِّ
إِلَى اللَّهِ! إِنَّا لَهُ رَاجِعُونَ
إِذَا حُمِّ فِينَا قَضَاءُ الْإِلَهِ
فَسُبْحَانَ مَنْ قَهَرَ الْخَلْقَ فِي

* * *

إِيَادًا! حَنَانِيكَ! كَيْفَ السَّلْوُ
فَهَذَا كِتَابُكَ! يَا وَيْحَ نَفْسِي
وَهَذَا قَمِيصُكَ حُلُو الشَّدَى
وَهَذَا السَّرِيرَا! كَأَنِّي أَرَاكَ
أَعُوذُ وَبِي حُرْقَةً مِنْ حَنِينٍ

* * *

عَلَى قَلْبِي الْخَافِقِ الْمُتَعَبِ^(١)
ةً بِالْأَدَبِ الْمُرْهَفِ الْأَعْدَبِ
نَدِيَّ الشَّمَائِلِ وَالْمَوْهَبِ

وَتُسْرِعُ رَكْضًا إِلَى مَطْلَبِي
وَعَهْدِي بِيْرِكَ لَمْ يَكْذِبِ
فَهَذَا النَّدَاءُ! فَكُمِّ وَارْغَبِ^(٢)
وَقُمْتَ إِلَى مَنْزِلِ أَطْيَبِ
إِذَا جَدَّ فِي السَّعْيِ وَالْمَذْهَبِ
فَمَا مِنْ مُجِيرٍ وَلَا مُعْقِبِ
فَمَا مِنْ سَبِيلٍ إِلَى مَهْرَبِ
قَضَاءِ وَسُبْحَانَ مَنْ يَجْتَبِي

وَطَيْفِكَ حَوْلِي لَمْ يُحْجَبِ
كَأَنَّكَ مَازَلْتَ فِي الْمَكْتَبِ
وَهَذَا الرِّدَاءُ عَلَى الْمَشْجَبِ
فَأُقْبِلُ وَالشُّوقُ قَدْ هَاجَ بِي
إِلَيْكَ، إِلَى وَجْهِكَ الطَّيِّبِ

(١) إشارة إلى العمليتين الجراحيتين اللتين أجرينا لي في القلب.

(٢) إشارة إلى أن حادث الوفاة كان قبيل أذان العصر، وقد تحركت السيارة بنا يقودها جارنا الأخ صالح

باحشوان إلى مستشفى الشمسي مع انطلاق أذان العصر من يوم الأربعاء ٢٨/٥/١٤١٢هـ

(٤/١٢/١٩٩١ .)

وَمَكْتَبَةٌ نَسَقَتْهَا يَدَاكَ
أَطُوفُ بِهَا وَرُؤَى الذِّكْرِيَاتِ
يُذَكِّرُنِي كُلُّ رُكْنٍ بِهَا

* * *

عَلَى فِطْنَةِ الْمَاهِرِ الْمُعْجَبِ
تَطُوفُ كَأَنَّكَ لَمْ تَذْهَبِ
حَنَانَ الْفَتَى الطَّيِّبِ الْأَحْدَبِ

وَأَقْرَأُ شِعْرِي وَنَثْرِي فَتُصْفِي
وَيَا لَبَّيْنِ الْفُؤَادِ الذَّكِيِّ
فَأُصْفِي إِلَى نَفْحَاتِ غَوَالِي

* * *

إِلَيَّ! فَيَا لِلْفَتَى الْأَنْجَبِ
وَيَا لِحَصَافَةِ مُسْتَوْعِبِ
كَوَاكِبٍ مِنْ حُسْنِهَا تُقْبِ

بُنَيَّ غَذَوْتُكَ صَفْوَ اللَّبَّانِ
كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ يُتْلَى وَنُورٌ
تُعَلُّ وَتَنْهَلُ مِنْ فَيْضِهِ
فَأَقْبِلْ عَلَى اللَّهِ! هَذَا هُوَ الرَّأ

* * *

وَعُلْتُكَ بِالْمَنْهَجِ الْأَصُوبِ
مِنَ الْحَقِّ يُجَلِي وَهَدْيِي النَّبِيِّ
غَنِيَّ السَّقَايَةِ وَالْمَشْرَبِ
دُ بِالصِّدْقِ وَالْعَمَلِ الطَّيِّبِ

إِيَادًا حَنَائِيكَ! وَاللَّيْلُ سَاجٍ
فَكَمْ كَانَ جَنْبُكَ يَجْفُو الْمَضَاجِدَ
فَتُحْيِي مِنَ اللَّيْلِ أَجْزَاءَهُ
أَمْرٌ فَأُصْفِي! وَأَنْدَاءُ صَوْتِ
إِذَا مَا سَمِعْتَ النِّدَاءَ أَجَبْتَ
نِدَاءَ الْبُكُورِ، نِدَاءَ الْغَدَاةِ
خُطَاكَ تُذَكِّرُنِي لَهْفَةً

* * *

عَلَى مَهْجَعِ بِالْهُدَى مُرْغَبِ
عَ مِنْ رَهَبٍ بِالتُّقَى تَحْتَبِي
فَرَعْتَ إِلَى اللَّهِ قُمْ فَاَنْصَبِ
كَ تَنْسَابُ بِالْعَبْقِ الْأَطْيَبِ
وَقُمْتَ إِلَى مَنْهَلٍ أَعَذَبِ
نِدَاءَ الْعَشِيَّةِ وَالْمَغْرَبِ
إِلَى مَسْجِدِ حَوْلِنَا أَرْحَبِ

نَدِيًّا عَلَى غُصْنٍ مُرْطَبٍ^(١)
 وَأَغْفَى عَلَى الْعِطْرِ فِي الْمَغْرِبِ
 وَإِطْلَالَةً مِنْ فَتَى أَهْيَبِ
 مُنْدَى عَلَى الْجَدَثِ الطَّيِّبِ
 فَيَا مُزْنَ صُبِّي هُنَا وَإِسْكُوبِي
 حَيْنِ الْأُمُومَةِ شَوْقَ الْأَبِ
 بِجُودِكَ فَضلاً لَهُ أَوْ هَبِ
 وَنُورِهِ! نَضْرُهُ أَوْ ثُوبِ
 بَّ! أَيُّ عِبَادِكَ لَمْ يُذْنِبِ
 عَلَى سَعَةِ الدَّارِ وَالْمَرْحَبِ
 نَعِيمًا عَلَى الْمَوْرِدِ الْأَعْدَبِ
 تَرَفُّ عَلَيْهِ وَفِي مَوَكِبِ

بُنَيَّ! سَنَذْكُرُ فِيكَ الشَّبَابَ
 وَنُورًا تَفْتَحُ عِنْدَ الصَّبَاحِ
 سَنَذْكُرُ طَلْعَةَ وَجْهِ صُبُوحِ
 فَسَكْبُ فَوْقَكَ عَطَرَ الْوَرُودِ
 مِنَ الْمُزْنِ أَوْ مِنْ حَيْنِ الضُّلُوعِ
 وَيَا قَلْبُ فَاسْكُبِ نَدِيَّ الْعُطُورِ
 وَنَدْعُو لَكَ اللَّهُ! يَا رَبِّ فَاْمَنْحِ
 وَوَسَّعْ لَهُ قَبْرَهُ رَوْضَةً
 وَغَسَّلَهُ بِالْمَاءِ وَالشَّلْجِ يَارِ
 وَيَذَلُّهُ أَهْلًا وَدَارًا أَعَزَّ
 وَهَبْهُ بِرِضْوَانِكَ الْمُرْتَجَى
 يُرْفُ إِلَى الْحُورِ فِي جَنَّةِ

* * *

رَفِيقَكَ فِي الْجِدِّ وَالْمَلْعَبِ^(٢)
 وَحَنَّ إِلَىكَ فَلَاتَعْجَبِ
 وَحَقُّ الْإِخَاءِ! فَقُمْ رَحْبِ
 فَتَى مَرَّ كَالطَّيْفِ لَمْ يَنْصَبِ^(٣)
 وَمَا نَعْلَمُ الْقَدَرَ الْمُخْتَبِي^(٤)

أَوَدَّعْتَ أَمْسَ الْفَتَى «بِاسْمًا»
 حَنَّتَ إِلَيْهِ! فَيَا لِلْوَفَاءِ
 فَيَا «بِاسِمٌ» انْهَضْ لِحَقِّ الْوَفَاءِ
 وَوَدَّعْتَ أَمْسَ «الرَّبِيعِ» النَّدِيَّ
 نَعَزِّي بِهِ أَهْلَنَا وَالصَّحَابَ

(١) المرطَّب: من أرطَب النَّخْلُ إذا حان أوان رطبه. إشارة إلى شبابه.

(٢) باسم محمود عثمان: صديقه الذي توفي قبله بأشهر قليلة بحادث سيارة. رحمها الله رحمة واسعة.

(٣) ربيع فتحي: توفي كذلك قبله بأشهر قليلة حين داهمته سيارة قرب منزله رحمهم الله جميعاً.

(٤) أهلنا: فأهله بمنزلة الأهل لنا.

يَاةٍ وَمِنْ ضَيْقِهَا الْمُجْدِبِ
وَمِنْ رِيِّهَا الدَّفَاقِ الْمُخْصِبِ
نَنَانٍ وَرُودًا وَنُورَ الرَّبِيِّ
مِنِينَ عَلَى أَمَلٍ مُوعِبٍ^(١)

* * *

حُنُوءُ الْمُعَزِّي حُنُوءُ الْأَبِ
تَقِي السَّجِيَةِ وَالْمَنْقَبِ
بَأَجْرِ غَنِيِّ الرِّضَا مُعَقِبِ

* * *

ن بِالْوَطَنِ الضَّائِعِ الْمُسْلَبِ^(٢)
كَ مِنْ حَزَنِ بِالْحَشَا مُنْشِبِ
بِلاءَ عَلَى الْقَلْبِ مَسْتَصَعِبِ
م ؟ أَيُّنَ الْمَدَامِعِ لَمْ تُسَكِّبِ !
وَعَصْفُ الْأَعَاصِيرِ بِالْمَرْكَبِ
وَعَابَتْ عَلَى فَرْقِ شُدْبِ^(٣)
ن ذَنْبِ تَوَائِبِ أَوْ ثُعْلَبِ
بِنَابِ يُقَطِّعُ أَوْ مِخْلَبِ
تِبَاعُ وَكَالرَّجْلِ الْأَعْضَبِ^(٤)

كَأَنَّكُمْ ضَفَقْتُمْ مِنْ غُرُورِ الْحَدِّ
فَأَثَرْتُمْ سَعَةً مِنْ جِنَانِ
كَأَنَّ يَدَ اللَّهِ تَخْتَارُ غَرَسَ الْجِدِّ
أَلَا لَكُمْ اللَّهُ نَدَعُو وَلِلْمَوْ

بُنَيَّ! يُخَفِّفُ مِنْ لَوْعَتِي
يَقُولُ الْمُعَزُّونُ نِعْمَ الْفَتَى
فِي جَزَائِهِمْ اللَّهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ

وَلَكِنْ عَجِبْتُ! وَأَيْنَ الْمُعَزُّو
بُنَيَّ! مُصَابِي فَجَعُ بِفَقْدِ
وَلَكِنْ فِتْنَةُ قَوْمِي امْتِدَادُ
فَأَيْنَ الْمُعَزُّونَ بِالْأَمَةِ الْيَوْمِ
فَأَمْتُنَا مَزَقَتْهَا الرِّيَّاحُ
رَمَتْهَا فَتَاهَتْ عَلَى مَهْمِهِ
فَتَلَقَى بِسُوقِ النَّخَاسَةِ مَا يَبِ
تَدُورُ! يُقَلِّبُهَا الْمُجْرِمُونَ
هُنَالِكَ أَمْتُنَا كَالْعَبِيدِ

(١) مُوعِبٌ: مَنْ أَوْعَبَ أَيَّ جَمْعٍ .

(٢) أَسْلَبَ الشَّجَرَ: ذَهَبَ حَمْلُهَا وَسَقَطَ وَرَقُهَا .

(٣) شُدْبٌ: جَمْعُ شَذَابٍ: الْمُنْتَحِي عَنْ وَطْنِهِ الْمَيْتُوسِ مِنْ صِلَاحِهِ .

(٤) الْأَعْضَبُ: الَّذِي لَا نَاصِرَ لَهُ .

فَتَرْجَى إِلَى كُلِّ مُسْتَرِخٍ
فَتَسْحَقُ بَيْنَ النَّعَالِ وَتُرْمَى
تُودَعُ بِالْأَفْقِ أَحْلَامَهَا
كَأَنَّكَ يَا أُمَّتِي مَتَّ مِنْ
كَأَنَّكَ لَمْ يَبْقَ مِنْكَ سِوَى
يَحَارُونَ أَيْنَ تُوَارَى الرَّفَاتُ
تَرَى ! أَمْ «بِوَأَشْنَطِينَ» أَمْ «بِمُوسِكُو»
يُسْمُونَ ذَلِكَ «حَفَلِ السَّلَامِ»
فَأَيْنَ الْمُعَزَّوْنَ بِالْأُمَّةِ الْيَوْمِ
وَبِالْقُدْسِ، بِالْمَسْجِدِ النَّازِفِ الدِّ
بَارِضٍ مُبَارَكَةٍ ضَيَّعَتْهَا
نَسُوهَا فَهَانُوا وَلَمْ يَذْكُرُوا
وَلَا ذَكَرُوا زَهْوَ تَارِيخِهِمْ
وَلَا لَهْفَةَ مِنْ هَوَى مَكَّةِ
فَهَبُّوا لِمُؤْتَمَرِ يَائِسٍ
يَظُنُّونَ أُمَّتَهُمْ أَفَلَسَتْ

لَيْسَ يَمُرُّ وَلَمْ يَرْعَبِ
لَقِيَ هَمَلَ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ (١)
تَغِيْبُ عَلَى بَرْقِهِ الْخُلْبُ
هَوَانٍ وَمِنْ كَمَدٍ مُعْطَبٍ
رَفَاتٍ شَرِيدٍ مَضَى، مُغْرَبٍ (٢)
«بِمَدْرِيدٍ» أَمْ «بِاللَّوَى الْأَقْرَبِ»؟ (٣)
تُوَارَى الرَّفَاتُ؟! أَلَا فَانْحَبِ!
و«مُؤْتَمَرَ الزَّمَنِ الْقَلْبِ»
مَ، بِالذَّارِ، بِالسَّاحِ، بِالْمَلْعَبِ
مَ، بِالذَّفَقِ مِنْ جُرْحِهِ الْمُتْعَبِ (٤)
حُشُودِ الْمُرَائِينَ وَالْهُيْبِ (٥)
سَخَاءِ الْمَرَابِعِ فَيَضَ الرَّبِّي
وَدَيْتَنَا هُوَ الْحَقُّ لَمْ يُغْلَبِ
وَلَا دَمَعَةً مِنْ هَوَى يَثْرِبِ
بِكُلِّ ذَلِيلِ الْمُنَى مُصْحَبِ (٦)
وَمَاتَتْ عَلَى هَمَّهَا الْمُنْصَبِ

(١) لَقِيَ : ما طرح . هَمَلُ : المتروك ليلاً ونهاراً .

(٢) مُغْرَبٍ : الذي ذهب بعيداً في الأرض .

(٣) اللَّوَى : ما التوى من الرمل ، إشارة إلى منطقة الشرق الأوسط كما يسمونها .

(٤) ثَعَبٌ : الجرح سال دماً ، والمتعب : الحوض أو المسيل . والمتعب من أتعب أي جعله يسيل .

(٥) الْهُيْبُ : الجبناء الخائفون .

(٦) مُصْحَبٍ : ذليل منقاد ، مصاحب ، وهنا بمعنى الذليل المنقاد .

مِنَ الدِّينِ تُجَلَّى وَلَمْ تُحَجَّبِ
وَعَزْمُ الْفَتَى الْمُؤْمِنِ الْمُنْجَبِ
تَحْطُّ الْجَبَانَ وَتُعَلِّي الْأَبِي
بِمَوْتِ عَلَى السَّاحِ مَسْتَعَذِبِ

* * *

تُجَاهِدُ فِي اللَّهِ لَمْ تَرْهَبِ
غَنِيَّ الْعَزِيمَةَ وَالْمَوْهَبِ
مُ بِالْعَبْدِ مِنْ أُمِّهِ وَالْأَبِ

الإثنين

* * *

الثاني من رجب سنة ١٤١٢ هـ

السادس من كانون الثاني «يناير» ١٩٩٢ م

أَلَا خَسَّوْا! لَمْ تَزَلْ عَزْمَةٌ
وَمَا زَالَ فِينَا الْكَمِيُّ الْأَبْرُ
سَتْنَهَضُ أُمَّتُنَا نَهْضَةً
نُودِّعُ بِالشُّوقِ أَفْلَادَنَا

بُنَيَّ! قَضَيْتَ وَأَنْتَ الْأَبِيُّ
حَمَلْتَ الرِّسَالَةَ وَضَاءَةً
سَيَرْحَمُكَ اللَّهُ! فَاللَّهُ أَرْحَمُ

غربة ودمعة (١)

رثاء الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا

كان الأستاذ الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا - رحمه الله - أيضاً من العزيمة والعتاء رغم مكابذته المرض، أثناء مؤتمر الندوة العالمية للأدب الإسلامي المنعقد في لكهنو- الهند سنة ١٤٠١هـ الموافقة ١٩٨٠م.

وكان رحمه الله من أوائل الدعاة إلى إحياء الروح الإسلامية في الأدب، وإلى إنشاء رابطة للأدباء المسلمين ليقدموا النظرة الإسلامية في الأدب والنقد، وفي الإنتاج والعتاء والنص، واصطُلمح على ذلك بـ «الأدب الإسلامي» وبرابطة الأدب الإسلامي. وقد بذل - رحمه الله - جهوداً كبيرة أثناء عمله في جامعة الإمام محمد بن سعود، حتى تكونت دراسات في هذا الباب وخصصت مادة له تولَّى تدريسها. لقد كان آخر لقاء لنا معه في استانبول، حيث كان ينعقد مجلس أمناء الرابطة

(١) لقد نشرت صحيفة الجزيرة هذه القصيدة كاملة بصورة كريمة في عددها رقم (٥١٠٣) وتاريخ ١٤/١/١٤٠٧هـ (١٨/٩/١٩٨٦م) السنة (٢٣). ثم فوجئت بعد أيام بأن الصحيفة خصصت صفحتين لمهاجمة القصيدة وصاحبها بصورة عنيفة، وذلك في عددها (٥١١٤) الصادر في ٢٥/١/١٤٠٧هـ (٢٩/٩/١٩٨٦م) في مقال لكاتب وضع اسمه المستعار «ابن جني». وقد ردَّ على هذا المقال عدد من الأساتذة الأدباء بعثوا إلي بصورة من ردودهم. إلا أن الردود لم تُنشر. وقد نشر الأستاذ الدكتور محمد مصطفى هدارة ردَّه القيم في كتاب صدر له مؤخراً: «دراسات في النقد الأدبي - بين النظرية والتطبيق» (ص: ٢٨١ - ٢٩٦). نشر الدار الأندلسية للأوفست سنة ١٩٨٩م. وكان من بين من بعثوا بردودهم التي لم تُنشر كذلك الأستاذ محمد حسن بريفش، والدكتور عبد الباسط بدر.

وحيث عقدت بعض المؤتمرات الأدبية خلال صيف ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م). وقد وصل
استانبول بعد انتهاء الأنشطة الأدبية بسبب مرضه الذي اشتد عليه. ولقد جمعنا لقاءات
تحت ظلال شجر التوت، وعلى ضفاف البوسفور، وبين آثار استانبول الإسلامية.
هناك في استانبول، بعد أن غادرتُها، وافته المنية يوم الجمعة ١١ ذي القعدة
١٤٠٦هـ (١٨ تموز - يوليو - ١٩٨٦م).

وحين بلغني خبر وفاته سكبتُ عليه هذه الدمعة وفاء لصحبة وعهد، رحمه الله
رحمة واسعة وأدخله جنته.

غربة ودمعة

أَيْنَ الشَّدَا والنَّدَى . . ! والأيك والشجرُ
وَعَادَ مِنْهَا لَنَا الأَصْدَاءُ والصُّورُ
تَلَقَّتْ الشُّوقُ فِيهَا والهَوَى خَضِرُ
حَنِّ النَّدِيِّ بِهَا والشَّدُو والسَّمَرُ
رَكَ الجِهَادُ بِهَا والصَّبْرُ والذِّكْرُ
فَرَقَ مِنْكَ عَلَيَّ أَشْوَاكِه السَّفَرُ
بَلَوَى عَلَيَّ وَطَنَ، يَمْضِي بِكَ القَدْرُ
مَاصِدَّهُ حَذْرٌ أَوْ رَاعَهُ خَطْرُ
كَمَا تَبَلَّغَ مِنْ أَيَّامِهِ الحَذْرُ
طِيئًا ففَوَّحَ مِنْهَا العُودُ والزَّهْرُ
فَطَابَ مِنْهُ وَمِنْ طِيبِ الهَوَى العُمُرُ
يُفْتَحُ الوَرْدُ أَوْ تَزْهُو بِهِ الغُرُرُ
أَهْلٌ إِذَا غَابَ عَن مِيدَانِهِم ذَكَرُوا

أَيْنَ الهَزَارُ وَأَيْنَ اللَحْنُ وَالوَتْرُ
كَانَتْ تَمُوجُ فَطَوَّأَهَا الرَّدَى فَنَاتُ
أَبَا يَمَانٍ . . . ! وَكَمْ خَلَفَتْ رَابِيَةً
هُنَا الرِّيَاضُ الَّتِي سَامَرْتَهَا زَمَنًا
وَكَمْ رَحَلْتَ إِلَى أَفْيَاءِ حَانِيَةٍ
وَكَمْ رَحَلْتَ عَلَيَّ شَوْكِ تَكَابِيدِهِ
عَزَمَ عَلَيَّ مَرَضٌ، صَبْرٌ عَلَيَّ مِحْنِ
تَكَادُ تَقْتَحِمُ الأَحْدَاثُ فِي لُجَجِ
حَتَّى بَلَغْتَ مِنَ الأَيَّامِ غَايَتَهَا
غَرَسْتَ فِي كُلِّ نَادٍ غَرْسَةً نَبَتَتْ
سَكَبَتْ مِنْ عُودِكَ الفُؤَاحِ دَفَقَ هَوَى
وَقَمَّتْ تَجْمَعُ مِنْ رَوْضِ الهُدَى أَدْبَا
وَإِنَّ أَطْيَبَ مَا يَلْقَاهُ مُرْتَحِلٌ

* * *

دُنْيَا وَمَاجَتْ عَلَيَّ مِيدَانِهَا البَشْرُ^(١)
وَيَبِينُ سَاحَاتِهَا الأَزْمَانَ تُخْتَصِرُ

يَا يَوْمَ «لَكُنُو» عَلَيَّ سَاحَاتِهِ ائْتَلَقْتُ
أَنْوَارَ فِتْيَانِهَا نُورَ الشُّيُوخِ بِهِم

(١) إشارة إلى لقاءاتنا في الندوة العالمية للأدب الإسلامي في لكةهنو سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م).

عَلَى رِعَايَتِهِمْ يُجَلِي الْبَيَانَ هُدَى
تَأَلَّقَ الْحَشْدُ حَتَّى كُنْتُ بَيْنَهُمْ
جَادَ الْبَيَانَ عَلَى مَا صُغِتَ مِنْ دُرَرٍ

* * *

وَنَفْحَةً مِنْ يَقِينِ الْحَقِّ تَنْشُرُ
صَفْوَ الْوَدَادِ أَخَا مَا مَسَّهُ كَدْرُ
وَمِنْ سَجَايَاكَ شَعَتْ بَيْنَهَا الدُّرَرُ

عَلَى ضِفَافِكَ يَا «بُسْفُورُ» رَابِيَةٌ
كَمْ مَجْلِسٍ ضَمَّنَا مِنْ قَبْلِ فُرْقَتِنَا
هُنَاكَ بَيْنَ ظِلَالِ التُّوتِ رِفْرَفَةٌ
رَفَّ الْهُدَى وَجَرَّتْ آيَاتُهُ وَدَنَتْ
نُطْلُ مِنْهَا عَلَى الْبُسْفُورِ نَفْحُهُ
حَتَّى مَضَيْتَ وَخَلَّفْتَ الدِّيَارَ بِهَا
هَلَّا رَجَعْتَ لَهَا؟ أَمْ هَلْ دَعَاكَ هَوَى
أَبَا يَمَانَ . . . ! كَأَنَّ الدَّارَ مَا بَرَحَتْ
هَلَّا تَلَفَّتْ لِلشَّهْبَاءِ تُودِعُهَا
أَمْ أَنْتَ كَفَكَفْتَ مِنْ عَيْنِكَ أَدْمَعَهَا
خَلَفْتَ فِي الشَّامِ أَهْلًا أَمْ تُرَى أَمَلًا
يَا رَبْوَةَ الشَّامِ أَيْنَ الْوَرْدُ نَقَطُفُهُ

حَنَّتْ وَأَوْفَتْ وَأَوْفَى عِنْدَهَا الْقَدْرُ^(١)
دَنَا عَلَيْنَا لِيَهْنَا بَيْنَنَا الْقَمَرُ
مِنَ الْبَيَانَ زَكَا مِنْ طِبْهَاءِ الثَّمَرُ
أَطْيَافُهُ وَحَلَّتْ فِي ذِكْرِهِ السَّيْرُ
شَوْقًا فَيَنْفَحْنَا مِنْ شَوْقِهِ النَّهْرُ
حَيْرَى مِنَ الْوَجْدِ يَطْوِيهَا وَيَعْتَصِرُ
أَعْلَى وَلَجَتْ بِكَ الْأَشْوَاقُ وَالْعَبْرُ
هُنَاكَ مِنْ وَلِهِ تَهْفُو وَتَنْتَظِرُ
لَمَحًا مِنَ الشُّوقِ أَمْ لَمْ يُمْهَلِ الْقَدْرُ؟
تَسْتَوِدُّعُ اللَّهُ مَا لَمْ يَبْلُغِ النَّظْرُ
وَدَمْعَةً لَمْ تَزَلْ تَهْمِي وَتَسْتَعِرُ
أَمْ جَفَّ عِنْدَكَ مِنْهُ الْعُودُ وَالزَّهْرُ

* * *

مَضَيْتَ فِي الدَّرْبِ! كَمْ ضَاقَتْ بِهِ سُبُلُ
تَلَقَى هُنَاكَ مِنَ الرَّحْمَنِ جَنَّتُهُ

فَوَسَّعَ الْمَوْتَ مَا قَدْ ضَيَّقَ الْبَشْرُ
وَتَلْتَقِي عِنْدَهَا الْأَجْيَالُ وَالْعُصْرُ

(١) إشارة إلى لقاءاتنا في استانبول سنة ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م) حيث ضممتنا ظلال شجر التوت، وزقزقة

الطيور، وعطر الزهور، والندى، والشجر الملتف هنا وهناك . . . !

تَمْتَدُّ حَتَّى كَأَنَّ الْكَوْنَ سَاحَتَهَا
مِنْ كُلِّ يَاقُوتَةٍ تَزْهُو بِسَاكِنِهَا

* * *

هِيَ الْحَيَاةُ مَمَرٌ لَا انْكَفَاءَ لَهُ
وَشَهْوَةٌ طَحَنَتْ أَنْبَاهُهَا جُنَّتَا
كُلُّ ابْنِ آدَمَ مَشْغُولٌ بِشَهْوَتِهِ
لَا يَطْمَئِنُّ بِهَا إِلَّا فَتَى صَدَقَتْ
فَكَمْ سُؤَالٍ عَلَى الْجَفْنَيْنِ مُخْتَبِيءٍ
يُفْتَحُ الْمَوْتَ مِنْهَا كُلُّ مُنْغَلِقٍ
رَخَارِفُ الْعُمُرِ أَشْبَاحُ، إِذَا نَشِبَتْ
هِيَ الْحَيَاةُ ابْتِلَاءٌ لَا نُجَاوِزُهُ
وَتَخْلُصَ النَّفْسُ فِي مِيزَانِ بَارِئِهَا

* * *

فَلَا تَضِيقُ عَلَى سُكَّانِهَا الْحُجْرُ
وَكُلِّ حَائِيَةٍ يَزْهُو بِهَا الْبَصْرُ

وَرَحْمَةٌ مَاجَ فِيهَا الشَّوْقُ وَالضَّجْرُ
أَوْ مَلْجَأٌ رَقَّ فِيهِ الْآيُ وَالسُّورُ
فَمِنْ صَرِيحِ هَوَى أَوْ فِتْيَةٍ ظَفِرُوا
لِللَّهِ هِمَّتُهُ وَالسَّعْيُ وَالْأَثْرُ
وَكَمْ مِنَ الظَّنِّ يُطَوَّى ثُمَّ يُبْتَدَرُ
نُورًا تَدْفُقُ يُجَلِّي عِنْدَهُ الْخَبْرُ
مَنْيَّةٌ وَلَّتِ الْأَشْبَاحُ وَالصُّورُ
حَتَّى تُمَحِّصَنَا الْأَيَّامُ وَالغَيْرُ
لِكُلِّ مَا كَانَتْ الْأَعْمَالُ تُدْخِرُ

١٤٠٦/١٢/١٦ هـ

١٩٨٦/ ٨/٢١ م

رثاء الدكتور الشيخ عبد الله عزام

الدكتور الشيخ عبد الله عزام، رحمه الله رحمة واسعة، قضى وهو في ذروة جهاده وقطوف النصر دانية والآمال واسعة. قضى وهو ماض لأداء صلاة الجمعة فانفجرت على الدرب ألغام وضعها المجرمون، فجرت السيارة ومن فيها فقضى هو وولداه في جريمة بشعة مدبرة.

كان ذلك يوم الجمعة ٢٦ ربيع الآخر ١٤١٠ هـ الموافق ٢٤ تشرين الثاني، نوفمبر ١٩٨٩ م.

سيرته أغنى من كلمات أو صفحات، وجهاده أوسع من أبيات من الشعر، ولكنها كلمات وفاء وذكري.

رحمك الله يا أخي عبد الله رحمة واسعة
وأدخلك جنته

رثاء

الشيخ الدكتور عبد الله عزام وولديه

ودفقت الدّم أم عطر الورود جرى
عزم على سبق أوفى وما خفرا
فحض إذن بهما الأهوال والخطرا

* * *

وغضبة أطلقت من وقدها الشررا
مزمجر وفتى ألوى وما انتظرا
صبيها غصصا تروي لنا الخبرا
حرى فتطلق من أثارها النذرا
هوى إلى السّاح بالأحزان فانفطرا

* * *

أين الكمي؟! فقالوا: عز وانتصرا
عيشاً أغرّ وعمراً نضّر العمرا
يداه ميتاً ومما كاد أو مكرا
من الحديد ولكن قلبه انفجرا
مع الهوى حمماً ألقته به سقرا
أما التقي فيلقى كل ما ادخرا

* * *

جلال موتك أم صدق الجهاد أرى
نور على عبق، هدي على خلق
ريحانتان على جنبيك أقبلتا

ميلوا إلى الدار! أنباء مروعة
أطوف في السّاح لا ألقى سوى رجل
ونسوة والدموع الغاليات بها
ودفقت من كبود الناس جارية
كأن كل فؤاد من تلوعه

سألت من حولي الفتيان، قلت لهم
ونال من ربه الحسنى ففاز بها
وعاد قاتله من هول ما صنعت
تفجر الحقد لا من قلب قبلة
كأنما غلت الأحقاد واشتعلت
يموت كل شقي في مكائده

وَقَالَ كُلُّ فَتَى: وَاهَا لِنَازِلَةٍ
 قَرَّبَ فَاجِعَةٍ مِنْ مُجْرِمٍ وَقَعَتْ
 اللَّهُ نَرَجِعُ أَوْابِينَ إِنْ نَزَلَتْ
 قَدْ كَانَ مَدْرَسَةً يُلْقِي بِسَاحَتِهَا
 أَبُّ يَعْلَمُنَا التَّوْحِيدَ فِي لَهَبٍ
 أَخٌ لَنَا وَأَبٌ! يَا طَيْبَ مَرْحَمَةٍ
 وَقَالَ كُلُّ كَمِيٍّ: إِنَّهُ رَجُلٌ
 أَخٌ يَجْمَعُنَا فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ
 مَعَ الْأَيْمَةِ أَشْيَاخَ الْجِهَادِ هُنَا
 كَأَنَّمَا طَلَعُوا مِنْ قَلْبِ دَاجِيَةٍ
 فِي أَرْضِ أَفْغَانِ آيَاتٍ مَبِينَةٍ
 عَهْدٌ مَعَ اللَّهِ، عَبْدَ اللَّهِ! قُتِمَ لَهُ
 تَرَكْتَ خَلْفَكَ أَشْتَاتًا يُمَرِّقُهَا
 مَا زَالَ يَطْحَنُهُمْ حُبُّ الْحَيَاةِ عَلَى
 وَجْهَتِ تَطْلُبُ أَشْوَاقَ الْجِهَادِ هُنَا
 أَتَيْتَهَا وَلَنَا فِي أَرْضِهَا نَسَبٌ
 وَثَقَّتْ فِي لَهَبِ الْمَيْدَانِ آصِرَةٌ
 وَفِي رُبَاهَا لَنَا ذِكْرَى مُعْطَرَةٌ
 صَحَابَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ يَحْمِلُهُمْ
 طُيُوفُهُمْ لَمْ تَزَلْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ

حَلَّتْ، وَيَا لِعَدُوٍّ بِالْأَدَى جَهْرًا
 وَطَعْنَةٍ مِنْ جَبَانٍ دُونَنَا غَدْرًا
 بِنَا النَّوَازِلِ عَزْمًا صَحَّ وَاعْتَبَرًا
 أَغْنَى الدُّرُوسَ وَيُلْقِي عِنْدَهَا الْعِبْرًا
 مِنَ الْمَلَاحِمِ تَتَلَوُ عِنْدَهَا السُّورَا
 مِنْهُ تَفُوحُ فِي مَيْدَانِنَا زَهْرًا
 ظَلَّتْ رُؤَاهُ تُنْقِي الْقَلْبَ وَالْفِطْرَا
 وَيَسْبُطُ الْأَرْضَ مَيْدَانًا لِمَنْ صَبْرًا
 بَنَوْا شَوَامِخَ أَوْ صَاغُوا لَنَا الدُّرْرَا
 مِثْلَ الْبُدُورِ فَسَالَ النُّورُ وَانْتَشَرَا
 وَمَلْحَمَاتُ تُعِيدُ الْمَجْدَ وَالْأَثْرَا
 عَزَمْنَا تَشَقُّ عَلَيْهِ دَرِيكَ الْوَعْرَا
 طُولَ الْهَوَانِ وَيَرْمِيهَا الْهَوَى زَمْرًا
 ذُلٌّ وَيَطْوِيهِمْ فِي جَوْفِهَا خَبْرًا
 دَمًا تَفْجَرُ فِي سَاحَاتِهَا فَجَرَى
 مِنَ التَّقَى وَحِبَالُ بَيْنِنَا وَعُرَا
 وَلِحْمَةٌ تَجْمَعُ التَّارِيخَ وَالْعُصْرَا
 وَأُمَّةٌ دَفَعَتْ أَفْلَادَهَا الْغُرْرَا
 شَوْقَ الْجِهَادِ وَدِينُ عِلْمِ الْبَشْرَا
 ذِكْرَى لَتَبَعَتْ فِي أَجْيَالِهَا الظَّفْرَا

* * *

أفني «قطاع جنين» ربوة طلعت
تلفتت وإباء العزم يمسكها
مع الشروق لها مما تكابده
كانها اليوم ما زالت تودعه
كأنه قال: هل أبقى على دعة
لي راية من كتاب الله أرفعها
لا أستظل برأيات وقد جمعت
ولا أساوم في حق رواه لنا
هناك ميداننا موج الدماء به
يا ربوة لم تزل تحنو فيدفها
تقول كل مساء وهي صابرة
تطالع الأفق! تهوى طيب عودته
وتسأل الليل: كم قد كنت تحمله
كم كان يضيئه طول الليل يقطعه
وتسأل الفجر: كم قد كنت تحمله
كم كنت تحمّل من أشواقه أملاً
حتى القبور التي في ساحها سألت
وكل ظل من الزيتون يعرفه
كأنما لهفة الأقصى لطلعت
كل يقول: أبطوي العمر مغترباً
فعاد من قم الأفغان رجع صدي
هذي الميادين دار المؤمنين فما

تخفي الحنين وتطوي السهد والسهرا
عن البكاء ودفق الشوق ما صبرا
ذكرى ترجع في ساحاتها الصورا
تقول: عد فعدا تلقى هنا الوطرا
حتى يفيق الذي أغفى وما شعرا
إلى الجهاد وعزم يصدق الخبرا
فتى يدهن دنيا أو فتى كفر
دم الجدود ودين عطر السير
يدعو له صدقا لله أو صبورا
طول الحنين فتشكو الهمة والكذرا
ألم يحن أوب من أوفى ومن بكر
وتسأل الناس من ولي ومن حضرا
على الدروب يجوز الكيد والحفرا
مع القيام وتلو الآي والسورا
إلى المساجد تجلو عندها الذكرا
إلى الجهاد غنى الشوق مستعرا
أين الفتى؟ غاب عن ساحاتها وسرى
لما نأى مال يطوي الشوق وانحسرا
دوت ترجع منها الشوق والنذرا
مهاجرا في سبيل الله مصطبرا
يوحى وينشر من أضدائه عبرا
ترى غريبا بها أو جاحدا أشرا

هُنَا لَنَا وَطَنٌ حَنَنْتَ لَهُ أَبَدًا
مَا كَانَ فِينَا غَرِيبًا فِي الدِّيَارِ أَبُو
لَنَا بِحِكْمَتِهِ جَمْعُ الْقُلُوبِ إِذَا
قَدْ كَانَ عَنْ خُلُقِي يَطْوِي نَوَازِعَنَا
نَطْوِي عَلَى شَرَفِ الذِّكْرَى مَحَاجِرَنَا

* * *

أَكْبَادُنَا وَجِهَادُ لَمْ يَزَلْ خَضِرَا
مُحَمَّدٍ وَهَوَانَا جَلٌّ وَازْدَهَرَا
ذَرَّ الخِلَافَ بَقْرِنِ بَيْنَنَا وَجَرَى
وَعَنْ هُدَى يَنْشُرُ الخَيْرَ الَّذِي ظَهَرَا
عِزًّا وَنَحْفَظُ فِي أَكْبَادِنَا الذِّكْرَا

للهِ دَرَكٌ، عَبْدَ اللهِ! مِنْ رَجُلٍ
شَمَّرَتْ عَنْ عَزْمَةِ اللهِ صَادِقَةٌ
عَلَى ذُرَا «هِنْدَكُوشِ» لَهْفَةٌ خَفَقَتْ
تَطَلَّعَتْ كَيْ تَرَى الأَبْطَالَ صَاعِدَةً
لَكِنَّهَا ذَهَلَتْ مَشْدُوهَةً وَرَأَتْ
وَثْبًا يَدُقُّ بِكَفِّهِه الجِنَانِ هَوَى
مَنْ ذَاكَ قَالَتْ؟ فَرَدَّتْ كُلُّ نَاحِيَةٍ
مَضَى لِيَلْحَقَ إِخْوَانَنَا لَهُ سَبَقُوا

* * *

ضَرَبَ مَضَى أَلْجَمَ الأَهْوَاءَ فَانْتَصِرَا
وَحُضَّتْ لُجَّةً مِنْ لَمْ يَعْرِفَ الحَذْرَا
وَفِي السُّفُوحِ هَوَى مَا زَالَ مُتَظَرَا
إِلَى ذُرَاهَا وَتَلَقَى شَوْقَهَا النَّضْرَا
وَثْبًا يُسَابِقُ مِنْهَا الأَنْجَمَ البِزْهَرَا
يُلِحُّ أَوْ يَطْرُقُ الأَحْدَاثَ وَالعِغِيرَا
هَذَا الَّذِي صَدَقَ الرَّحْمَنَ مَا نَذْرَا
طُوبَى لِمَنْ لِحَقَ الأَبْرَارَ وَالأَثْرَا

تَأَلَّقِي يَا جِنَانَ الخُلْدِ كَمْ بَطَلٍ
مُضْمَخًا بِزَكِيِّ الطَّيِّبِ يَنْشُرُهُ
يَحْفُهُ فِي جَلَالٍ مِنْ شَهَادَتِهِ
خَفَّتْ إِلَيْهِ طُيُوفٌ مِنْ مَنَائِرِهَا
كَمْ كَانَ قَبْلُ عَلَى الدُّنْيَا يَجُولُ بِهَا
مَا كَانَ يَخْطُو خَطَا إِلَّا يَهْزُ بِهَا
وَمَا خَطَا لِلْهُدَى إِلَّا أَنَارَ بِهِ

إِلَيْكَ فِي زَهْوَةِ الأَشْوَاقِ قَدْ نَفَرَا
مُجَلَّلًا بِهُدَى الإِحْسَانِ مُؤْتَرِرَا
نُورٌ وَيُلْقِي عَلَيْهِ سُنْدُسًا خَضِرَا
عَيْنٌ كَوَاعِبُ تَجَلُّو الحُسْنَ وَالعُورَا
مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللهِ مُتَّصِرَا
دَارًا مِنَ الظُّلْمِ أَوْ يَرْمِي بِهَا جُدْرَا
دَرِيًّا وَشَقَّ سَبِيلًا أَوْ جَلَا ظَفْرَا

كُلُّ الرِّيحِ مِنْ أَنْفَاسِهِ عَبَقَتْ
يَكَادُ يَسْكُبُ فِي كُلِّ الدُّرُوبِ دَمًا
إِنَّ الشَّهِيدَ حَيَاةَ النَّاسِ كُلَّهُمْ
يُعَلِّمُ النَّاسَ قَوْلَ الْحَقِّ أَيْنَ مَضَوْا
لَوْلَاهُ لَمْ يَبْقَ لِلْإِحْسَانِ مَنْزِلَةٌ
هِيَ الشَّهَادَةُ أَعْرَاسُ يُزْفُ لَهَا
تَزَاحَمُوا فِي دُرُوبِ الْحَقِّ وَاسْتَبَقُوا
تَنَافَسُوا فِي مِيَادِينِ الْهُدَى شَرْفًا
وَآيَةً اللَّهُ فِيهِمْ أَنَّهُمْ سَبَقُوا
وَحَلَفُوا فِي وَحُولِ الْأَرْضِ مَنْ عَلِقَتْ
تَنَافَسُوا شَهْوَةَ الدُّنْيَا فَمَا رَبِحُوا
لَمَا انْتَهَى أَجَلَ قَالُوا: إِذَنْ خَسِرْتُ

وَكُلُّ مِسْكِ عَلَى جَوْلَانِهِ انْتَشَرَ
يُرْوِي بِهِ الْأَرْضَ أَوْ يُرْوِي بِهِ الْعُصْرَا
فِيهِ وَكُلُّ رِوَاءِ الْأَرْضِ مِنْهُ جَرَى
وَيَجْتَلِي فِي مِيَادِينِ التُّقَى الْخَبْرَا
فِي النَّاسِ أَوْ صَادِقٌ يَقْفُو لَهُ أَثْرَا
رِجَالُهَا وَمَعَالِي الْمَجْدِ حَيْثُ تَرَى
إِلَى مَنَاهِلِهَا الْأَحْدَاثَ وَالْغَيْرَا
وَأَقْبَلُوا وَتَبَاتَ بَيْنَهَا زُمْرَا
رَاضِينَ، كُلُّ عَلَى إِحْسَانِهِ ظَفْرَا
قُلُوبُهُمْ بِهَوَى مِنْهَا وَمَنْ قَصْرَا
إِلَّا الْهَلَاكَ وَلَمْ يَلْقُوا بِهَا وَطْرَا
تِجَارَةً، وَيَلْهُمُ، يَأْذُلُ مَنْ خَسِرَا

* * *

لله دَرَكَ عَبْدَ اللَّهِ! جِئْتَ عَلِي:
وَجِئْتَ فِي عَجَلٍ بَيْنَ الرَّحَامِ إِلَى
أَتَيْتَ وَالِدَهُ دَفَاقُ بِلَهْفَتِهِ
عَلَى مُحَيَّاكَ مِنْهُ نُورٌ مَلْحَمَةٌ
كَأَنَّ دَرَبَكَ لَمْ تَتْرُكْ بِهِ أَثْرًا
وَأُورِقَ الصَّخْرُ مِنْ شَوْقِ أَلْحَ بِهِ
وَأَزْهَرَ الْأَفْئُقُ رِيحَانًا يَطُوفُ بِهِ
كَأَنَّمَا وَصَلَ الدُّنْيَا بِآخِرَةِ
عَجِبْتُ مِنْ عَبَقِ جَارِ الْمَدَى وَمَضَى

عَزِيمَةٌ لِسَبَاقِ جَدٍّ وَاسْتَعْرَا
شَهَادَةَ الْحَقِّ، هَاجَ الشَّوْقُ وَانْفَجْرَا
إِلَى السَّبَاقِ فَطُوبَى لِلَّذِي صَبْرَا
وَمِنْ عُرُوقِكَ جُرْحٌ لَمْ يَزَلْ غَبْرًا
إِلَّا وَأُورِقَ غَرْسًا فِيهِ أَوْ ثَمْرَا
وَمِنْ دَمٍ سَالَ فِي أَعْرَاقِهِ وَجَرَى
وَيَمْلَأُ الْكَوْنَ فَوَاحًا بِهِ عَطْرَا
وَعَادَ يَنْشُرُ عَنْهَا الْآيَةَ وَالْعَبْرَا
وَعَادَ أَغْنَى إِذَا مَا هَبَّ وَابْتَدْرَا

* * *

رَبِحَاتَانِ عَلَى جَنْبَيْهِ أَقْبَلْنَا
حَنًا إِلَيْهِ فَحَنًا لِلْأَبْوَةِ! كَمْ
مَا كَادَ يَلْقَاهُمَا حَتَّى مَضَى بِهِمَا
بُشْرَى مِنَ اللَّهِ! عُقْبَى الْمُؤْمِنِينَ رَضًا
وَفَوْحَ الدَّمِّ مَسْكًَا لَيْسَ يَعْدِلُهُ

* * *

وَضَمَّتَاهُ! فَصَبُّوا الشُّوقَ وَالْعَبْرَا^(١)
هَاجَ الْحَنَانُ لَهُ الْأَكْبَادَ وَالْبَصْرَا
رُكُضًا إِلَى اللَّهِ يَلْقَوْنَ الَّذِي قَدَّرَا
وَرَحْمَةً اللَّهُ تُوْفِي كُلَّ مَنْ صَبَّرَا
مِسْكَ وَلَا نَشَرَ الْمِسْكَ الَّذِي نَشَّرَا

بِالْأَمْسِ وَدَعَّتْ حَبًّا كُنْتُمْ أَبَدًا
مَضَى «تَمِيمٌ» إِلَى الرَّحْمَنِ مُرْتَحِلًا
عَلَى الْمِيَادِينَ صَبَّ الْعَزْمَ مُحْتَسِبًا
تَقْوَى تَشْقُ لَهُ دَرَبَ الْجِنَانِ وَهَلْ
حَتَّ الْخَطَا عَجَلًا اللَّهُ يَغْلِبُهُ
طَابَ التَّنَافُسُ فِي التَّقْوَى فَإِنْ سَبَقَتْ
وَاللَّهُ يَجْزِي جِهَادَ الصَّادِقِينَ عَلَى
أَبَا «أَسَامَةَ» يَا مَنْ مَاتَ مُرْتَحِلًا
وَتَجْتَلِي فِي فِضَاءِ اللَّهِ تَقَطَّعُهُ
كَمْ طُفَّتْ تَقَرُّعُ بَيْنَ النَّاسِ أَفْنِدَةٌ
حَتَّى عَلَوَتْ عَلَى سَاحِ الْوَعَى رَجُلًا

عَلَى سِبَاقِ تَحُثَّنِ الْخَطَا قَدَّرَا
وَزَادُهُ مِنْ جِهَادِ صَابِرٍ زَهْرَا^(٢)
وَرَاغِبًا فِي نَعِيمِ اللَّهِ مُصْطَبِرَا
أَعَزَّ مِنْ ذَاكَ زَادًا لِلَّذِي نَفَّرَا
شَوْقَ لِكُلِّ الَّذِي رَجَاهُ وَانْتَظَرَا
أَشْوَاقَهُ فَهُمَا عَدْلَانِ مَا صَبَّرَا
مِيزَانِ عَدْلٍ وَيُوْفِي كُلَّ مَنْ شَكَرَا
تَطْوِي مِنَ الْأَرْضِ بَحْرًا هَاجَ أَوْ نَهْرَا
تُغْنِي الْجِهَادَ عَطَاءً جَلَّ أَوْ وَفَّرَا
تَبْنِي وَتُوقِظُ مَنْ أَعْفَى وَمَنْ عَثَّرَا
أَشْمَ يَطْلُبُ عِنْدَ اللَّهِ مَا بَصَّرَا

(١) إشارة إلى ولديه: محمد (٢٠ عاماً) وإبراهيم (١٩ عاماً) رحمهما الله، كانا قد حضرا الزيارة والدهما من عمان يوم الخميس قبل حادث الاغتيال بيوم. وقد وقع الحادث الأليم وهم في طريقهم إلى صلاة الجمعة في بيشاور ٢٦ ربيع الآخر ١٤١٠ هـ (١٩٨٩/١١/٢٤م)، حيث فُجِّرَ عن بعد لغم حين مروا بسيارتهم بجانبه. رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة وتقبلهم شهداء في جنته.

(٢) الأستاذ تميم العدناني رحمه الله رحمة واسعة.

هِيَ الْجَنَانُ يَرَاهَا مُؤْمِنٌ وَيَرَى

سَبِيلَهَا ثُمَّ يَمْضِي يَطْلُبُ الْأَنْرَا

* * *

أَرْتِي إِذَنْ بِهِمَا أَبْطَالَ مَلْحَمَةٍ
مِنْ كُلِّ شَهْمٍ عَظِيمٍ بَاتَ مُشْتَهَرًا
كَمْ مُؤْمِنٍ جَالَ فِي سَاحَاتِهَا بَطْلًا
أَغْنَاهُمْ اللَّهُ عَنْ نَثْرِ وَقَافِيَةٍ

جُلَى قَضَوْا وَدَمًا فِي سَاحِهَا انْفَجَرَا
وَكُلُّ شَهْمٍ عَظِيمٍ ظَلَّ مُسْتَتِرًا
قَضَى هُنَالِكَ لَا تُرْوِي لَهُ خَبْرًا
طُوبَى لِمَنْ فَازَ بِالْحُسْنَى وَمَنْ ظَفِرَا

* * *

أَفْغَانُ! لَا زَلَّتْ فِي الظُّلْمَاءِ زَاهِرَةٌ
وَاهًا لِدَلَّتِنَا وَالغَافِلُونَ عَلَى
الغَافِلُونَ عَلَى طِيبٍ وَفِي فُرُشِ
الغَارِقُونَ بِلَهْوِ جُنٍّ مِنْ عَبَثِ
دَنَا العَدُوُّ وَأَضْحَى فِي مَنَازِلِهِمْ،
مَنْ لَمْ يُفِقْ وَلَهَيْبِ الحَرْبِ مُسْتَعِرٌّ

بَدْرًا أَطَلَّ وَكَفَأَ يَمْسَحُ الكَدْرَا
هُونٍ يَظُنُّونَ أَنَّ الفَجْرَ مَا ظَهَرََا
الشارِبُونَ عَلَى أهْوَائِهِمْ سَكْرَا
يَصُبُّ مِلءَ عُرُوقٍ مِنْهُمْ خَدْرَا
وَمَا صَحَّوَا، وَعَلَى أَعْرَاضِهِمْ قَهْرَا
تَوَلَّتِ النَّارُ مِنْهُ الذُّلَّ وَالخَوْرَا

* * *

الأربعاء ١ / ٥ / ١٤١٠ هـ

١٩٨٩ / ١١ / ٢٩ م

رثاء عمر بهاء الأميري

لا أستطيع أن أوفي حقَّ أخي «شاعر الإنسانية المؤمنة» كما كان يحبُّ أن يُدعى ،
فحقُّه كبير . ولكنها كلمات موجزة عن سيرته الغنية العطرة ، بقدر ما يناسب هذا الديوان .
رحمه الله رحمة واسعة وأدخله جنته .

توفي الأستاذ الأديب الشاعر عمر بهاء الأميري رحمه الله يوم السبت الموافق
١٩٩٢/٤/٢٥م عن عمر يناهز السابعة والسبعين ، قضى عمره في جهاد الكلمة والبيان
والعطاء الغني . وهو من عائلة كريمة معروفة في مدينة حلب في سوريا . درس في حلب
حيث أتم الدراسة الثانوية ، ودرس في جامعة السوربون في باريس الأدب وفقه اللغة ،
ودرس الحقوق في جامعة دمشق .

تولى مناصب دبلوماسية متعددة بمرتبة سفير ثم بمرتبة وزير . كما دعي للمغرب
للتدريس فتولى تدريس مادة الإسلام والتيارات المعاصرة في دار الحديث الحسنية
بالرباط ، ودرّس الحضارة الإسلامية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة محمد
الخامس . ولكن الدعوة الإسلامية كانت من أبرز ميادين نشاطه ، وقضايا العالم
الإسلامي محور فكره ونشاطه وشعره .

كان غنيَّ العطاء . نشر أكثر من ثلاثين مؤلفاً في الفكر والشعر . فمن دواوينه
«ألوان الطيف» ، «مع الله» ، «أشواق» ، «ملحمة النصر» ، «أب» ، «أمي» ، «أذان
القرآن» ، «نجاوى محمدية» ، «قلب ورب» ، وكثير غير ذلك .

جمعتنا لقاءات في مؤتمرات وندوات ، فكان فيها البسمة المشرقة والأخوة الحانية
والنعمة الغنية . أرثيه بهذه الأبيات وفاءً لذكراه العطرة .
رحمك الله يا أخي عمر رحمة واسعة وأدخلك جنته .

رثاء عمر بهاء الأميري

وَعَهْدٌ مَعَ الرَّحْمَنِ يُوفِيهِ أَنْجَبُ
فَعَادَ مِنَ الْأَحْزَانِ مَا هُوَ أَصْعَبُ
أَبْرَ مَضَى وَالْعَهْدُ ذَكَرُ مُطِيبُ
أَرَى كُلَّ يَوْمٍ صَاحِبًا لِي يُغَيِّبُ
تَوَارَتْ وَأَخْرَى لَمْ تَزَلْ تَتَاهَبُ
وَمَالُوا إِلَى زَادٍ وَهَمُّوا لِيَرْكَبُوا
فَبَرٌّ يُنَجِّي أَوْ شَقِيٌّ يُعَذِّبُ
ظُنُونٌ وَيُجَلِّي كُلُّ مَا كَانَ يُحْجَبُ
أَمَانٍ وَأَشْوَاقٌ تَضَجُّ وَتَصْخَبُ
خِيَالٌ مَضَى أَوْ لَهْفَةٌ تَتَرَقَّبُ
فَحَقُّ مُجَلِّي أَوْ غُرُورٌ يَكْذَبُ

* * *

عِظَاتٌ وَأَشْوَاقٌ هُنَاكَ وَمَأْرَبُ
جِهَادًا وَأَوْفَيْتَ الَّذِي كَانَ يُطَلَّبُ
فَنُخْشَعُ لِلرَّحْمَنِ مِنْهَا وَنَرَهَبُ

* * *

وَحَشْدُ الْقَوَافِي مِنْ حَوَالِيكَ نُحَبُّ
بِجُودِكَ وَالنُّشْرَ الَّذِي هُوَ طِيبُ

لَيْالٍ نَذَارِيهَا وَسَعْيٍ وَمَطْلَبُ
إِذَا مَا كَفَفْتُ الدَّمْعَ قُلْتُ أَنْتَهَى الْأَسَى
أَحْنُ وَمَا أَصْفَى الْحَنِينَ لِصَاحِبِ
أَحْنٍ إِلَى بَرِّ الرَّجَالِ لِأَنْبِي
تَلَفْتُ لِلسَّاحَاتِ حَيْرَانَ: ثَلَّةُ
وَشَدُّوا عَلَى ظَهْرِ الْمَطِيِّ رِحَالَهُمْ
وَمَا اخْتَلَفَ الْغَادُونَ إِلَّا بِزَادِهِمْ
وَمَا الْعُمُرُ إِلَّا رَحْلَةٌ تَنْتَهِي بِهَا
وَمَا الْعُمُرُ إِلَّا لِمَحَةٍ تَنْقُضِي بِهَا
فَتَهْدَأُ عِنْدَ الْمَوْتِ حَتَّى كَانَهَا
وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا يَقِظَةٌ بَعْدَ غَفْوَةٍ

تَهِيحُ بِي الذُّكْرَى فَيَا لَجَلَالِهَا
جَلَالُ حَيَاةٍ قَدْ قَضَيْتَ حُقُوقَهَا
وَهَذَا جَلَالُ الْمَوْتِ حَوْلَكَ آيَةٌ

أَخِي عُمَرُ! يَا وَيْحَ نَفْسِي! أَرَا حِلُّ
وَقَدْ كَانَتْ الْأَشْعَارُ جَذْلِي غَنِيَّةً

وقد كنت غيّت الأماني ورهوة
 وغنيت آمال النفوس وضعتها
 وما زالت الأذان تُصغي وتتشي
 فما بالها التاعت! فيا لمصايبها
 كأن صدّي «نجواك» في كل منزل
 رحلت وفي جنبيك أنات أمة
 رحلت وفي كل الميادين صرخة
 أنام بنو الإسلام؟! يا ويحهم! ألم
 أخي عمر! غنيت أمس لنا المني
 وفي كل ساح جولة لم يزل بها
 وفي كل دار حسرة ومجازر
 فهذا هو الأتقى أسير وأهله
 خداع يباد الناس في غمراته
 أيترك أطفال الحجارة وخدمهم
 فذلك أدنى أن تدار موائد
 فيركع مهزوم على كل صفقة
 وهذي هي «الصومال» أشباح أمة
 وهذي هي البوسنا وهرسك مجازر
 وهذي ديار الشام أين ودوها؟!
 يباد بنو الإسلام في كل موطن

من الشوق والعز الذي تترقب
 روائح تزكي من حنين وتلهب
 وما زالت الأكباد تهفو وتطلب
 وقد غاب عن أفق البلاغة كوكب
 خشوع وفي الساحات رحف مدرّب
 وفي الصدر صيحات ثور وتغضب
 تردّد أين الفارس المتوثّب
 يعدّ فيهم إلا غفاة وغيب
 فماذا تغني اليوم والهول أقرب
 دوى على الأفاق دام مخضب
 توالّت وزلزال يمور وسنكب
 أسارى وآمال هناك تغيب
 وتطوى شعارات به وتقلب
 يصفق لاه أو يراوغ ثعلب
 يفاوض فيها الشاة ناب ومخلّب
 تباع بها دار وتطوى وتنهب
 تهاوت على جوع يعض وتذهب
 تفجر أو نار تجن وتضرب
 دماء! وأين الأهل! قيدوا وغيبوا
 وللهو شقي عن أساهم ويلعب

* * *

تطيب به الذكري لنا وتحبب

أخي عمر! كم منزل فيه صعبة

كَأَنَّ مَعَ الذُّكْرَى نَدَى رَقٍّ فَانْتَشَتْ
إِذَا مَا ذَكَرْنَا فِي الرِّيَاضِ مَنَازِلًا

دِيَارٌ وَهَبَ العِطْرُ يَزُكُو وَيُعْجِبُ
تَدَاعَى عَلَى ذِكْرَاكَ شَرْقٌ وَمَغْرِبُ

* * *

فِيَا يَوْمَ «لِكُنْوَ» وَالْأَزَاهِيرُ فَوَحَتْ
يَمُوجُ بِهَا الخِلَانُ حَتَّى كَانَهُمْ
أَفْضَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ سَجَايَاكَ رِقَّةً
وَمَنْ خُلِقَ الإِيمَانِ نَجْوَى غَنِيَّةً
هُنَاكَ لَنَا ذِكْرَى! فَيَا لَجَلَالِهَا
حَنِينٌ إِلَى عَهْدِ «الجزائري» لَمْ تَزَلْ
أَبَاةً نَرَاهُمْ أَنْزَلْنَا قُلُوبَهُمْ
أَعْرَاءَ آمَالٍ! فَكُنْتَ لَهُمْ أَخًا
نَشَرْتَ القَصِيدَ الحُلُوَ وَرَدًّا مُفْتَقًا
بَسَطْتَ كَرِيمَ النُّصْحِ دِينًا وَعِبْرَةً
وَحُضَّتْ أَمَانِي النَّفُوسَ كَأَنَّمَا

شَدَى لَمْ يَزَلْ يُغْنِي الزَّمَانَ وَيُوهِبُ^(١)
كَوَاكِبُ فِي قَلْبِ الدِّيَاجِيرِ تُقَبُّ
وَمِنْ شِعْرِكَ الدَّفَاقُ تُعْطَى وَتُطْرَبُ
وَمَنْ لَهْفَةَ الأَشْوَاقِ تَحْنُو وَتَحْدُبُ
عَلَى عَبَقِ مِنْهَا نَجُولٌ وَنَدَابُ
قَسْنَطِينَةَ فِيهِ هَوَى لا يُكْذِبُ^(٢)
وَصِيدُ أَشْدَاءٍ وَوَدٌّ مُحَبَّبُ
فَنِعْمَ الأَخُ الوَافِي الكَرِيمُ المَهْدَبُ
فَفُوحٌ نَادٍ مِنْ قَصِيدِكَ أَرْحَبُ
تُجَمِّعُ مِنْ أَهْلِ التَّقَى وَتُقَرِّبُ
عَرَفْتَ الَّذِي يَهْوَى الأَبِيَّ وَرَعْبُ

* * *

أَخِي عَمْرًا! هَلَّا تَلَفَّتْ لِلرُّبَا
فَمَا زَالَ فِي السَّاحَاتِ أَنَا تُضْلَعُ

وَلِلْعَبَقِ الفُوحِ يَزُكُو وَيَعْدُبُ
وَمَا زَالَ دَمْعٌ فِي المَرَابَعِ يُسْكَبُ

(١) ذكرى الندوة العالمية للأدب الإسلامي في لكهنؤ - الهند ١١-١٣/٤/١٤٠١هـ (١٧ - ١٩/٤/١٩٨١م).

(٢) المؤتمر الأول لرابطة الأدب الإسلامي (٢٥ - ٢٧/٤/١٤٠٦هـ - ٧ - ٩/١/١٩٨٦م).

(٣) إشارة إلى الملتقى الدولي الأول للفن الإسلامي في جامعة الأمير عبدالقادر في قسنطينة في الجزائر

(٢٧ - ٣٠/١١/١٩٩٠م).

أبِيَّ وَمَا زَالَتْ تَحِنُّ وَتَرْقُبُ
 فَلِلدَّارِ حَقٌّ مِنْ وَفَائِكَ مُوجِبُ
 وَمِنْ عُرْوَةِ الْإِيمَانِ عَهْدٌ وَمَذْهَبُ
 لَضَاقَ بِكَ الصَّبْرُ الَّذِي هُوَ أَرْحَبُ
 وَقَدْ مَكَّرُوا مَكْرًا هُنَاكَ وَأَوْعَبُوا
 لَقَدْ شَقَّ وَاسْتَعَصَى لِدَلِكِ مَرْكَبُ
 تُظَلُّ وَتُوفِي مِنْ وَدَاعٍ وَتُعْرَبُ
 وَكَنْتَ لَهَا نِعَمَ الْوَفِيِّ الْمَجْرَبُ

* * *

وَعَيْنَاكَ أَسْرَارُ وَتَغْرُكُ يُعْرَبُ
 فَيُشْرَقُ وَجْهُهُ بِالْهِنَاءِ طَيِّبُ
 كَأَنَّكَ تَتَلَوُ مِنْ عِظَاتٍ وَتَخْطُبُ
 وَمَا عَادَ لِي مِنْكَ الْجَوَابُ الْمَحَبُّ
 وَزَادَكَ إِيْمَانٌ وَشَوْقٌ يُقْرَبُ

* * *

ثَرَاهُ بِأَنْدَاءِ الْوَفَاءِ وَطَيِّبُوا
 فَيَجْلُوهُ طَهْرٌ مِنْ هَوَاهُ وَيَجْلُبُ
 أَمِيرٌ وَلَكِنَّ الْبَهَاءَ لَهُ أَبُ
 بَعْفُوكَ يَارَبِّي وَعَفُوكَ أَقْرَبُ

* * *

١٤١٣/٢/٢٠ هـ

١٩٩٢/٨/١٨ م

وَمَا زَالَتْ الشَّهْبَاءُ تَهْفُو لِشَاعِرِ
 تَلَفَّتْ إِذْنٌ قَبْلَ الرَّحِيلِ مَوْدَعَا
 وَفِيهَا مِنَ الْأَمْجَادِ تَارِيخُ أُمَّةٍ
 وَفِيهَا رِيَاضٌ لَوْ عَرَفْتَ حَيْنَهَا
 أَبِي لَكَ حَشْدُ الْمَجْرَمِينَ لِقَاءَهَا
 وَسَدُّوا دُرُوبًا كَمْ أَرَدْتَ اقْتِحَامَهَا
 تَلَفَّتْ فَهَاتِيكَ الْأَزَاهِيرُ كُلُّهَا
 سَلَامٌ عَلَى دَارٍ عَرَفْتَ وَفَاءَهَا

رَأَيْتَكَ فِي إِشْرَاقَةِ الْمَوْتِ بِاسْمًا
 كَأَنَّكَ تَلْقَى الْبُشْرِيَّاتِ بِمَا تَرَى
 مُسَجِّيَّ حَوَالِيكَ الْأَجَبَةَ خُشَعُ
 دَعْوَتِكَ حَتَّى غَابَ صَوْتِي مِنَ الْأَسَى
 شَغَلْتَ بِمَا يَلْقَى التَّقِيَّ إِذَا قَضَى

أَلَا فَاثْنُرُوا أَحْلَى الْوُرُودِ وَيَلْلُوا
 فَقَدْ كَانَ يَهْوَى الْحُسْنَ وَالْوَرْدَ وَالشِّدَا
 لَهُ نَسَبٌ بِالْحُسْنِ وَالْمَجْدِ: جَدُّهُ
 سَلَامٌ عَلَى بَرٍّ قَضَى! فَارَوْ قَبْرَهُ

أخي نديم (١)

وغيبت! وأعلم طول الغياب
على حُرقة من جوى واغتراب
وصلنا الحنين وشوق الإياب
غني الحوار جميل الخطاب
ك معنى الحياة! ويوم الحساب
هناك، وحلوا أمانى العذاب
وكان غني الرؤى واللباب
فيا عز من تاب أو من أناب

* * *

وكنعان والمجتى والهضاب
نجول ونقطف ما يستطاب
وباليت «رمانها» كان أب
أحاديثنا والخطى والوثاب
كأننا نمر مرور السحاب

* * *

قضيت! ولم أدر أنى قضيت
قضيت هناك! بعيد المزار
لقد فرقتنا الحدود ولكن
ويئني ويئناك كان الحديث
وحضنا ميادين شتى لنذر
لقد قطع الموت فيض الحديث
وغاب على شفتي الكلام
خشعت إلى الله! يقضي بحق

أتذكر من صفة قلعة
كان البساتين ميداننا
فبالت «عناها» راجع
نمر فنلقي عليها الندى
نمر فنلقي هوانا ونمضي

(١) أخي نديم علي رضا النحوي توفي في دمشق.

أَتَذْكُرُ عَكًّا وَشُطَّانَهَا
إِذَا مَا وَثَبْنَا إِلَيْهِ أَحَاطَ
يَضُمُّ عَلَى صَدْرِهِ فِي حَنَانٍ
فَقَالَيْتَ ذَاكَ الْحَنَانَ يَعُودُ

وَلَهْفَةَ أَمْوَاجِهَا وَالْعُبَابُ
بِنَا شَوْقُهُ وَالْحَنِينُ الْمُذَابُ
عُرَامَ صَبَانَا وَعَزَمَ الشَّبَابُ
وَتِلْكَ الظَّلَالِ وَتِلْكَ الشَّعَابُ

* * *

أَخِي نَدِيم! فَذُنِيَا الطُّفُولُ
كَأَنَّ طِفُولَتَنَا جَنَّةُ
حَمَلْنَا مَعَ الْعُمُرِ مِنْهَا الْجَنِّي
وظَلَّتْ لَنَا شَيْمُ الْمَكْرُمَاتِ
وَكَانَ لَنَا زَادُنَا مِنْ يَقِينِ
نَرُوحُ وَنَعْدُو إِلَى مَسْجِدِ
غَذَّتْنَا الطُّفُولَةَ مِنْ رَيْهَا
فَقَالَيْتَ تِلْكَ الظَّلَالِ تَعُودُ

هَلَّا ذَكَرْتَ وَحُلُوقَ اللَّعَابِ
جَنَاهَا الصَّفَاءِ وَحُلُوقَ الرُّطَابِ
غَنِيًّا فَلَذَّ جَنَاهَا وَطَابِ
غِرَاسَ الْوَفَاءِ وَزَهْوِ الْطَّلَابِ
حَدِيثُ الرَّسُولِ وَأَيُّ الْكُتَابِ
غَنِيَّ الظَّلَالِ وَعَذْبِ الرُّضَابِ
وَبَرْدِ الظَّلَالِ وَبَرْدِ الشَّرَابِ
وَتِلْكَ الْمَآذِنِ، تِلْكَ الْقَبَابِ

* * *

ذَهَبْتَ إِلَى الْقُدْسِ، يَا لَلْمُنَى!
هُنَاكَ «الرَّشِيدِيَّةُ» الْمَتَدَى
وَكَُنْتُ هُنَاكَ عَلَى رَيْوَةِ «الْمُ
هُنَاكَ إِلَيْنَا يَصُوعُ الْعَدُوُّ

لِتُدْرِكَ مَا قَدْ ظَنَّنَا اللَّبَابُ
تَمَوْجُ بَطْلَابِهَا وَالصَّحَابُ (١)
كَبِيرُ» أَطْلُبُ نَفْحَ الْمَلَابِ (٢)
إِذَا شَاءَ شَهْدًا وَإِنْ شَاءَ صَابُ

(١) الكلية الرشيدية التي كان يدرس فيها وأنهى فيها الدراسة الثانوية «المترك».

(٢) إشارة إلى الكلية العربية بالقدس القائمة على جبل المكبر حيث كنت أدرس وتمتد الدراسة فيها سنتين بعد الدراسة الثانوية.

وَمَكْرُ مَكْرًا عَلَى هَوْلِهِ
وَعُدَّتْ مِنَ الْقُدْسِ فِي نَشْوَةِ
وَجِئْتَ لِعَكَّا وَقَدْ مَدَّ فِيهَا الـ
أَحَاطَ الْفُتُونُ بِزَهْوِ الشَّبَابِ
وَمَدَّ مِنَ الشَّرِكِ أَلْوَانَهُ
وَعُدَّتْ تَشْقُ الدَّرُوبَ وَلَكِنْ
فَكَمْ أَوْقَعُوا بِالشَّرَاكِ الضَّحَايَا
وَعَرَّتْ زَخَارِفُهُمْ أَنْفُسًا

* * *

يَطِيشُ أَخُو الْحِلْمِ أَوْ يُسْتَرَابُ
يَهِيحُ بِأَهْلِكَ طَوْلَ الْغِيَابِ
عَدُوُّ الْمَخَالِبِ أَوْ مَدَّ نَابُ
وَعَرَّ الشَّبَابِ هَوَى أَوْ كِذَابُ
صَرِيحَ الْعِدَاءِ وَقَهَرَ انْتِدَابُ
أَحَاطَ بِنَا الْمُجْرِمُونَ الذَّنَابُ
وَشَدُّوا الْوَثَاقَ وَذَلَّتْ رِقَابُ
فَهَبَّتْ لِتَلْهَتْ خَلْفَ السَّرَابِ

لِتَنْهَلَ عِلْمًا وَتَطْرُقَ بَابُ
بَيْنَ اجْتِهَادٍ وَبَيْنَ صَوَابِ
يَعُضُّ بِضُرْسِ عَلَيْنَا وَنَابِ
كَرِيمِ السَّجَايَا نَدِيَّ الشَّبَابِ
أَحَاطَ بِكَ الْمُجْرِمُونَ الذَّنَابِ
سَوَادُ اللَّيَالِي وَمَدُّوا الْحِجَابِ
بِ هَذَا الْمَرِيضِ وَذَلِكَ الْمُصَابِ
وَتُسَعِفُ مَنْ أَجْهَدْتَهُ الصُّعَابِ
سِسْ عِطْرَ النَّوَادِي وَزَهْوِ الصُّحَابِ
حَيَاةَ وَقُرْتَ بِحُسْنِ الثَّوَابِ

* * *

عَلَى كَبِدٍ مُرْهَقٍ أَوْ مُصَابِ
وَأَيْنَ الطَّبِيبُ الَّذِي لَا يُرَابِ

فَمَا زِلْتَ حَتَّى رَحَلْتَ لِمَضْرٍ
وَحُضَّتْ هُنَالِكَ شَتَى الْمِيَادِي
وَذُقْتَ هُنَالِكَ مَرَّ اللَّجْوِ
وَعُدَّتْ طَبِيبًا غَنَى الْعَطَاءِ
وَعُدَّتْ تَشْقُ الدَّرُوبَ وَلَكِنْ
وَسَدُّوا الْمَنَافِذَ حَتَّى طَغَى
وَلَكِنْ مَضَيْتَ فَتُعْطِي مِنَ الْقَلْبِ
وَتُغْنِي الْفَقِيرَ وَتُؤْوِي الشَّرِيدَ
وَأَصْبَحَ ذَكَرُكَ فَيْضَ الْمَجَالِ
فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ فُزْتَ بِبِشْرَى الـ

أَلَمْ بِكَ الْمَرَضُ الْمُسْتَبْدُ
تُصَارِعُ! مَهْلًا! فَأَيْنَ الدَّوَاءُ

وَأَيِّنَ الْأَمَانِي وَحُلُو الرُّغَابِ
فَيَا عِزَّ مَنْ تَابَ أَوْ مَنْ أَنَابَ
— هِ حَسْبِي فَذَلِكَ فَضْلُ الْخَطَابِ

وَأَيِّنَ زَخَارِفُ هَذِي الْحَيَاةِ
هُوَ اللَّهُ يَقْضِي الْقَضَاءَ وَيُؤْمِضِي
وَقُلْتَ بِأَنَّكَ تُؤْمِنُ بِاللَّ—

* * *

١٤١٣/١١/٢٦ هـ

١٩٩٣/٥/١٧ م

إلى أخي الأديب الشاعر الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي .
توفيت والدته رحمها الله رحمة واسعة، فبعثت له برسالة تعزية مع هذه الأبيات في رثائها.

وكنت لها الأبر فقراً عينا

أخي عَبْدَ الْعَزِيزِ فَقَدْتَ أَمَّا
عَذَّتْكَ مِنَ التُّقَى أَرْكَى لِبَانٍ
وَقَادَتْ مِنْ خُطَاكَ مَعَ اللَّيَالِي
فَمَا أَغْنَى الْأُمُومَةَ فِي رِضَاهَا
هِيَ الْأَمَلُ الْمُنَوَّرُ فِي الدِّيَاجِي
وَحُبُّ يَمَلًا الدُّنْيَا جَمَالًا
فَتَمَسَّحَ مِنْ مَدَامِعِنَا يَدَاهَا
كَأَنَّ بِهَا يَدَ الْإِحْسَانِ فَيَضُرُ
وَلَوْلَا فَقْدُ أَحْمَدَ، لَهَفَ نَفْسِي
لَمَا فَقَدَ ابْنُ آدَمَ مِنْ حَبِيبٍ
وَكُنْتُ لَهَا الْأَبْرَ فَقْرًا عَيْنًا
وَأُحْسِنُ بِالِدُّعَاءِ، أَلْحَ فِيهِ
لَعَلَّ اللَّهَ يُدْخِلُهَا جَنَانًا
إِذَا حُمَّ الْقَضَاءُ فَلَا عَزَاءَ
وَذَكَرٍ خَاشِعٍ لِلَّهِ يَمْضِي

تَحَوُّطُكَ بِالضُّلُوعِ وَبِالْمَيْوُونِ
وَعِزَّةَ أُمَّةٍ وَرَوَاءَ دِينِ
بِعِزْمٍ صَادِقٍ وَهُدَى مُبِينِ
وَفِي بَذْلِ عَلَى حَزْمٍ وَلِينِ!
وِظْلٍ وَارْفٍ وَنَدَى حَنِينِ
كَأَنَّ فَوَادَهَا صَفْوُ الْمَعِينِ
وَتَطْوِي بِالْحَنَانِ مِنَ الْأَنْبِينِ
عَلَى الدُّنْيَا يَجُودُ بِكُلِّ حِينِ
نَبِيِّ الْحَقِّ وَالْهَادِي الْأَمِينِ
أَعَزُّ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّ حَنُونِ
وَطِبُّ نَفْسًا وَكُنَّ حَسَنَ الظُّنُونِ
فَتُمَسِّكُ فِيهِ بِالْحَبْلِ الْمَتِينِ
وَفِرْدُوسًا بِرَحْمَتِهِ وَدِينِ
أَبْرًا وَلَا أَجَلَ مِنَ الْيَقِينِ
عَلَى رَهْبِ التَّوَسُّلِ وَالْحَنِينِ

١٤١٢/١٠/٢٢ هـ

* * *

١٩٩٢/٤/٢٥ م

رثاء عبد العزيز الرفاعي

ولد الأستاذ عبد العزيز الرفاعي في مدينة مكة المكرمة ونشأ فيها وتعلم في مدارسها وحضر دروس بعض علمائها في المسجد الحرام وتخرج من المعهد العلمي السعودي سنة ١٣٦١هـ / ١٩٤١م .

شغل مناصب عدة: فقد كان مدير الإدارة السياسية بديوان رئاسة مجلس الوزراء، ومستشاراً في الديوان الملكي، وعضواً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي وعضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة، وفي عدد من المجالس والجمعيات الأدبية والخيرية والرسمية، وعضواً في مجلس الشورى .

أنشأ دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع سنة ١٤٠٠هـ، وأصدر من خلالها سلسلة المكتبة الصغيرة وسلاسل أخرى ثقافية وإسلامية .

اشترك في عدد غير قليل من المؤتمرات الفكرية والأدبية محلياً وخارجياً، وكان موضع حفاوة النوادي الأدبية، وكان له حضور واسع في الميدان الأدبي والثقافي .

له مؤلفات عديدة من بينها: أعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام (تحقيق مشترك)، أم عمارة الصحابية الباسلة، الرسول (ﷺ) كأنك تراه، رحلتي مع التأليف .

كان شاعراً مجيداً . وكان له ندوة فكرية أدبية تُعقد كل يوم خميس . وكان يحضر هذه الندوة إخوانه وأصدقائه ونخبة من رجال الأدب والفكر والصحافة والسياسة، وعدد غير قليل من ضيوف المملكة . وامتدت هذه الندوة أكثر من ثلاثين عاماً، ومازال أجباهه يحيونها كل يوم خميس توفي رحمه الله يوم الخميس في ٢٣/٣/١٤١٤هـ الموافق ٩/٩/١٩٩٣م .

رثاء عبد العزيز الرفاعي

جَامِحَاتٍ يَجْزَنُ كُلَّ خِيَالِ
حَ قُلُوبٍ، رَوَائِعِ الْأَمَالِ
لِجِنَانِ غَنِيَّةٍ بِالْجَمَالِ
قُ، لِدَارٍ مِنَ الرُّضَا وَالْجَلَالِ
دِ وَأَغْنَى مِنْ جَوْهَرٍ وَلَالِي
قِ إِلَى طَلْعَةِ الْفَتَى الْعَالِي
بَسْمَةِ الصَّدِّقِ أَوْ كَرِيمِ الْخِلَالِ
كَ وَتَسْمَى «لِنَدْوَةِ» وَمِثَالِ (١)
حَمَلِ الْأَفْقِ مِنْ نَذِيرِ اللَّيَالِي

حَسْبُنَا الْيَوْمَ أَنْ رَأَيْنَا الْمَنَايَا
يَتَخَطَّفَنَ زَهْوَةَ الشُّوقِ، أَفْرَاحِ
يَتَخَيَّرَنَ وَرْدَةَ بَعْدَ أُخْرَى
لِجِنَانِ الْخُلُودِ فِي عَالَمِ الْحَا
يَا لَعَبْدِ الْعَزِيزِ أَزْكَى مِنَ الْوَرْدِ
غَبَّتْ عَنَّا! وَلَمْ تَزَلْ خَفْقَةُ الشُّو
كُلُّ قَلْبٍ مَازَالَ يَهْفُو لِلْقِيَا
وَعُيُونُ الْأَضْحَابِ تَرْتُؤُ لِلْقِيَا
فُجِعَتْ كُلُّهَا بِفَقْدِكَ لَمَّا

* * *

وَالْمُنَى لَهْفَةُ الرَّجَا وَالنُّوَالِ
قُ وَتَدْعُوكَ خَافِقَاتِ الْمَعَالِي
فَارِسًا صَادِقَ الْعَزِيمَةِ عَالِي
لِكِبَارِ النَّفْسِ وَالْأَمَالِ

مَاتَ عَبْدُ الْعَزِيزِ! وَيْحِي! أَحَقًّا
يَا أَبَا عَمَّارٍ تُنَادِيكَ آفَا
لَهْفَةُ السَّاحِ وَالْجِهَادِ تُنَادِي
يُنْقِضِي الْعُمُرَ وَالْأَمَانِي كِبَارًا

(١) كان رحمه الله يقيم في منزله في حي الروضة في الرياض ندوة جامعة كل يوم خميس . وكانت تضم الندوة نخبة من رجال الأدب والفكر، ورجال الأعمال والسياسة والصحافة والإعلام.

وتظللُ الأَمالُ في النَّاسِ نَحِيًّا
قَدَّرَ غَالِبًا، وَحِكْمَةً خَلَا

وتَموتُ الرَّجَالُ بَعْدَ الرَّجَالِ
قِي، وَهذِي رُؤْيَى وَدُنْيَا زَوَالِ

* * *

غَبِثَ عَنَّا! وَلَمْ تَزَلْ نَدْوَةَ الْعِ
(نَدْوَةَ) مِنْ رَحَابِ جُودِكَ فَيُضُّ
وَصِحَابُ تَوَافُدُوا! تَسْكُبُ الْأَحْ
أَدَبٌ يَنْشُرُ الذَّكِيَّ مِنَ الْعِطْ
هَذِهِ «نَدْوَةُ الرَّفَاعِيِّ» جُودِي
نَدْوَةٌ تَجْعَلُ الْخَمِيسَ خَمِيسًا
وَصَلَّتْ مِسْكَهَا الْغَنَى بِمِسْكَ
وَيَظَلُّ الشِّذَا نَدِيًّا مَعَ الدَّمِ

لَمْ تَمُدِّ الْإِخْوَانَ مِنْ كُلِّ غَالِ
مِنْ غَنِيِّ الْعِطَاءِ وَالْأَمْثَالِ
نَاءٌ دَفْقًا مِنَ الْهُدَى وَالنَّالِ
رِ وَفِكْرٌ يَمْوجُ مَوْجَ الْجَمَالِ
بِقَصِيدِ زَكَا وَنَشْرِ حَالِي
زَاخِرًا بِالْفَوَارِسِ الْأَبْطَالِ
مِنْ يَدَيْهِ لَدَى وَدَاعِ الرَّجَالِ (١)
رِ وَذَكَرَى غَنِيَّةً بِالظَّلَالِ

* * *

عَالِمٌ رَقٌّ فِي تَوَاضُعِهِ الْحُلْدِ
وَإِبَاءٌ كَأَنَّهُ قِمَّةٌ تَعْفُ
وَوَقَارٌ كَأَنَّهُ الْجَبَلُ الرَّأِ
يَتَلَقَّى الْأَصْحَابَ بِالْأَدَبِ الْجَدِ
خُلِقَ لَمْ يَزَلْ يَفُوحُ كَأَنَّ الـ
شَاعِرُ طَوَّعَ الْقَوَافِي فَلَانَتْ

و، وَفِي صَمْتِهِ غَنَى الْمَقَالِ
لَوْ عَلَى أَجْبَلٍ وَفَوْقَ قِلَالِ
سِي، وَشَوْقٌ يَهْبِجُ صِدْقَ الْوَصَالِ
مَّ، بِشَوْقٍ، بِلَهْفَةٍ الْإِقْبَالِ
مِسْكَ مِنْهُ، مُضْمَخٌ بِالْغَوَالِي
ثُمَّ صَاغَتْ رِوَاةً فَيُضُّ الْجَمَالِ

* * *

(١) كان من عادته رحمه الله أن يودع إخوانه عند انتهاء الندوة حتى الباب، ثم يمسح من قارورة العطر الغني على كف كل واحد منهم.

يَا لَتَبِيدِ الْعَزِيزِ! غَبَّتْ فَهَاجَتْ
يَوْمَ «لِكُنُو»! وَكُنْتَ فِيهِ غَنِيًّا
وَنَوَادٍ كَأَنَّهَا تَفْتَحُ الصَّدَّ
كُلُّ نَادٍ يَمُوجُ فِي ذِكْرِيَاتِ
كُلِّ نَادٍ مَازَالَ يُحْيِي بِذِكْرَا

* * *

ذِكْرِيَاتٍ رَجَعْنَ مِلءَ خِيَالِي
بَيَانٍ وَجَوْهَرًا مِنْ خِصَالِ
رَفَلَقَاكَ فِي وَفَاءِ الرَّجَالِ
مِنْ بَيَانٍ قَدْ صُنِعَتْهُ أَوْ فَعَالِ
كَ نَدِيَّ الْأَشْوَاقِ وَالْأَمَالِ

وَيَحِ نَفْسِي! رَحَلْتَ! يَا لِرَحِيلِ
الذَّنَابِ الَّتِي تَزَاحِمُ فِيهَا
وَالرَّقَابُ الَّتِي تُطَاطِيءُ لِلدُّ
وَالنَّفُوسُ الَّتِي تَمُوتُ مِنَ الرَّعْدِ
لَمْ يَعُدْ فِي فَوَادِهَا خَشِيَّةَ اللِّ
فَتَحَتْ قَلْبَهَا لِكُلِّ هَوَانٍ
فَإِذَا بِالذِّيارِ تُفْتَحُ لِلْأَعْدَا
مَنْزِلٌ بَعْدَ مَنْزِلٍ يَتَهَاوَى
قَتَلَ الخَوْفُ أَنْفُسَنَا وَتَوَلَّتْ
هَلَعٌ يَنْزَعُ القُلُوبَ وَيَرْمِي

* * *

وَدِيَارُ الْإِسْلَامِ نَهَبُ الشَّعَالِي
وَالْأَنْعَاعِي وَعِضَّةُ الْأَغْلَالِ
لٌ وَتَهْوِي فِي الطِّينِ وَالْأَوْحَالِ
بِ، مِنَ المَوْتِ، مِنْ دَوَاهِي اللَّيَالِي
هَ فَمَاتَتْ عَلَى هَوَانِ الْأَمَالِي
وَهَوَى تَائِهٍ وَشَرِّ خَبَالِ
ءَ مِنْ كُلِّ مُجْرِمٍ مُحْتَالِ
ثُمَّ تَطْوِيهِ رِعْشَةُ الْإِذْلَالِ
شَهَوَاتُ النُّفُوسِ سُوءَ المَالِ
بِيقَايَا مَنْخُوزَةً مِنْ رِجَالِ

لَهْفَ نَفْسِي! رَحَلْتَ! يَا لِرَحِيلِ
لَكَ بُشْرَى أَمَامَكَ الْيَوْمَ فَاهْنَأُ
فَعَسَى أَنْ يَكُونَ قَبْرُكَ رَوْضًا

لَمْ تَزَلْ خَلْفَهُ أَمَانٍ غَوَالِي
فِي جَنَانِ رُفْرَافَةٍ وَنَوَالِ
زَاهِرًا طَيِّبًا نَدِيَّ الظَّلَالِ

هـ وَرِضْوَانَهُ وَحُسْنَ مَالٍ
عَوَّلَكَ اللَّهُ فِي وَفَا وَأَبْتِهَالٍ


الرياض

* * *

وَعَسَى أَنْ تَنَالَ عَفْوَاً مِنْ إِيْدِ
وَسَلَامٌ عَلَيْكَ مِنْ أَكْبَدِ تَدِ

الائنين ٢٥ ربيع الآخر ١٤١٤هـ

١١ تشرين الأول ١٩٩٣م



مع الأصدقاء
أفراح وأعراس

دعاني الأخ الدكتور محمد بن لطفي الصبّاغ لحضور زفاف ولده . فحال مرضي دون ذلك . فبعثت إليه بهذه الأبيات :

حَنَانِيكَ فِي يَوْمٍ أَطَلَّتْ بِشَائِرُهُ
يَزُفُ إِلَيْهِ بِالْهِنَاءِ وَالْمُنَى
فَتَى وَالشَّبَابُ الْحَرُّ مِلْ إِهَابِهِ
عَلَى عُرْسِ زَانَتِهِ مِنْهُ شَمَائِلُ
وَعَنَّتْ بِهِ الدُّنْيَا وَرَجَعَ لِحَنِّهَا
وَزَانَتُهُ مِنْهَا آيَةُ الْحُسْنِ وَالتَّقَاتُ
إِذَا التَّفَتَتْ هَبَّتْ مِنَ الْبِشْرِ طَلْعَةٌ
يَلْمُ مِنَ الْأُورَادِ أَحْلَى عَطُورِهَا
وَرَفَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ أَنْدَاءُ فَرْحَةٍ
يَضُمُّهُمَا الْإِيمَانُ وَالْهَدْيُ وَالتَّقَى
وَيَجْلُوهُمَا الْإِيمَانُ طَيِّباً وَجَوْهَرَا
وَتَمْضِي عَلَى صَفْوِ الْحَيَاةِ خَطَاهُمَا
وَمَنْ يَسْتَقِمَ لَهِ يَرْشُدُ سَبِيلَهُ
فِيَارِبٌ بَارِكٌ فِيهِمَا وَعَلَيْهِمَا
وَهَبْ لَهُمَا عَفْواً كَرِيماً وَرَحْمَةً

وَفَوْحٌ مِنْ طِيبِ النَّدِيِّ أَزَاهِرُهُ
بِشَائِرٌ أَوْ شَوْقاً أَلْحَتْ بِوَادِرُهُ
هَدْيٌ وَمِضَاءُ الْعَزْمِ وَالصَّدْقُ زَاهِرُهُ
رَكَتٌ وَنَمَتْ أَعْرَاقُهُ وَأَوَاصِرُهُ
دِيَارٌ وَهَاجَتْ بِالشَّبَابِ مَزَامِرُهُ
مَنَابِقُ وَاشْتَاقَتْ إِلَيْهَا خَوَاطِرُهُ
وَإِنْ خَطَرَتْ شَعَتْ عَلَيْهَا جَوَاهِرُهُ
فَتَسْكِبُهُ أَعْوَادُهُ وَمَجَامِرُهُ
وَأَشْرَقَ صَبْحٌ وَاسْتَفَاقَتْ بِشَائِرُهُ
عَلَى سَكَنِ حَانَ تَمُوجِ نَوَاصِرُهُ
كَرِيماً فَتَزَكُو مِنْ شِدَاهِ مَزَاهِرُهُ
رِضَا يَدْفَعُ الْعَزْمَ الْكَرِيمَ مَائِرُهُ
وَيَنْجُ وَتَصْدُقُ فِي الْحَيَاةِ مَصَادِرُهُ
وَهَبْ لَهُمَا رِزْقاً تَجُودُ مَوَاطِرُهُ
يَطِيبُ بِهَا مَعْنَى وَتَزَكُو أَزَاهِرُهُ

* * *

١٤ / ٤ / ١٤٠٦ هـ

٢٦ / ١٢ / ١٩٨٥ م

كذلك دعاني الأخ الدكتور محمد أديب الصالح لحضور حفل زفاف ولده . فحال مرضي آنذاك دون الحضور، فبعثت بهذه الأبيات :

فَاهِنَا بِنَجْلِكَ ذَاكَ يَوْمَ أَزْهَرُ
 فِيهِ مِنْ صَفْوِ الْهِنَاءِ مَسْفِرُ
 وَبَضْمُهُ شَوْقُ أَرْقٍ وَأَكْبَرُ
 تُجَلِي بِنُورِهِمَا وَمَغْنَى يَزْهَرُ
 خَيْرِ يَدُومَ مَعَ الرَّجَاءِ وَيُنْشَرُ
 تَغْشَى وَآيَاتُ نُعْمَى تَظْهَرُ
 سَكْنَا وَيَعْبِقُ مِسْكَهَا وَالْعَبْرُ
 وَزَكَا مَعَ التَّقْوَى وَطَابَ الْجَوْهَرُ
 بِالذُّكْرِيَّاتِ رُؤْيَى تَغِيْبُ وَتَظْهَرُ
 تَحْنُو وَرَابِيَةٌ هُنَاكَ وَمَنْظَرُ
 عَهْدُ الْحَيَاةِ وَذِمَّةٌ لَا تُخْفَرُ
 صِيدُ تَسَابِقِ وَالْجِيَادُ الضَّمْرُ
 وَظِلَالُهَا وَنَدَى وَغُصْنُ أَخْضَرُ
 وَنِدَاؤُهُ وَدَمٌّ يَسِيلُ وَمَنْبَرُ
 بَعْضًا وَيَسْحَقُهَا عَذَابٌ مُنْذَرُ
 وَهَجٌّ يَمُدُّ وَأَضْلَعُ تَتَفَجَّرُ
 فَتَعَطَّرَتْ دُنْيَا وَفَاحَتْ أَعْصَرُ
 يَزْكُو مَعَ التَّقْوَى لَدَيْهِ الْمَعْشَرُ
 دَمْعًا يَسِيلُ وَأَكْبَدًا تَتَفَطَّرُ

عِطْرُ الشَّبَابِ زَكَا وَطَابَ أَرِيحُهُ
 عُرْسُ تَمْوِجٍ بِهِ الْبَشَائِرُ، كُلُّ وَجْهٍ
 وَتَضْيِئُهُ مَهَجٌ وَتَحْنُو أَكْبَدُ
 بَدْرَانٍ قَدْ طَلَعَا فَهَذَا سَاحَةٌ
 وَيُبَارِكُ الرَّحْمَنُ جَمْعَهُمَا عَلَيَّ
 وَنَدَى الظَّلَالِ وَرَحْمَةٌ مَمْدُودَةٌ
 تَقْوَى وَعَابِدَةٌ يُظَلُّ بِرُهَا
 طَابَتْ نَفْسُكُمْ مَا وَطِيبَتْ هِمَّةٌ
 وَعَلَى جَفْوَانِكُمْ طُيُوفٌ حَوَمَتْ
 دَارٌ تُشَدُّكَ إِنْ نَأَيْتَ وَسَاحَةٌ
 وَمَلَا حِمُّ التَّارِيخِ فِي سَاحَاتِهَا
 وَمَلَاعِبُ وَتَبَّتْ عَلَى مِيدَانِهَا
 «فَالْغُوطَةُ الْخَضْرَاءُ» أَيْنَ دُرُوبِهَا
 «وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى» وَلِفْتَةٌ سَاحِهِ
 وَهُنَاكَ فِي «بَيْرُوتَ» يَأْكُلُ بَعْضُهَا
 وَمَنْزَلٌ مَازَالَ فِي سَاحَاتِهَا
 أَيْنَ الْوُرُودُ تَفْتَحَتْ أَكْمَامُهَا
 هَذَا بِلَادُ الشَّامِ أَيْنَ نَدِيَّتُهَا
 أَنَّى التَّفَتُّ رَأَيْتَ فِي جَنَابَاتِهَا

مهما نأيتَ فما تَزَالُ أخوَّةُ
والأهلِ والرَّحْمِ القريبِ وصُحْبَةُ
فانهضِ كَمَا نهَضَ الأبَاةُ وأُطْلِقْنَ
فَهُنَاكَ يَبْنِي العُرُومُ مِن أَبطَالِنَا

في الله صَادِقَةٌ تَعْمُرُ وَتَنْصُرُ
وَحَنِينُهُمْ صَفْوُ الوِدَادِ مُطَهَّرُ
عَزْمًا يَمْوِجُ عَلَى البَطَاحِ وَيَهْدُرُ
فَرَحًا وَتَأْتَلِقُ الرُّبَى وَتُنَوِّرُ

* * * ١٤٠٦/٩/١ هـ

١٩٨٦/٥/٩ م

وفي تهنئة الأخ محمود الفتيان :
بُشْرَى تُزَفُّ وَأَيَّةٌ مِن خَالِقِ
وَتَرْفُ فِي سَكَنِ نَدَاوَةِ رَحْمَةٍ
وَيُبَارِكُ الرَّحْمَنُ مَحْمُودًا وَإِسْدَ

تُجَلَى عَلَى عُرْسٍ وَطَيْبِ تَلَاقِ
وَمَوَدَّةِ مَوْصُولَةِ الْأَشْوَاقِ
سَلَامًا عَلَى لُقْيَا وَخَيْرِ بَاقِ

* * * ١٤٠٦/٥/٢١ هـ

١٩٨٦/٢/١ م

وفي تهنئة الأخ نضال الحنبلي :
أَخِي! هَذَا قُلُوبُ الْأَهْلِ حَانِيَةٌ
كَأَنَّهَا فِي لَيْالِي العُرْسِ لَوْلُؤَةٌ

زَفَّتْ إِلَيْكَ الْمَهَا بُشْرَى مَعَانِيهَا
وَأَنْتَ مِن جَوْهَرٍ تَجْلُو مَعَانِيهَا

* * * ١٤٠٧/١٠/١٢ هـ

١٩٨٧ ٦/ ٨ م

وفي تهنئة الأخ أيمن الصفدي :

زُهْرُ المَنَازِلِ إِيْمَانٌ تُزَفُّ بِهَا
وَأَيْمُنُ نَشَرَتْ أَخْلَاقَهُ دَرًّا
عُرْسٌ يِبَارِكُهُ الرَّحْمَنُ فَرَحُهُ

بُشْرَى وَتَطْلُعُ بَدْرًا فِي لَيْالِيهَا
فَزَيَّنْتَ كُلَّ سَاحٍ مِن مَعَانِيهَا
نُعْمَى مِن الله تُجَلَى فِي نَوَادِيهَا

وَكُلَّ أُغْنِيَةٍ فِي الْعُرْسِ قَائِلَةٌ أَحْلَى الْأَغَانِي إِذَا مَا قِيلَ «آيِيهَا»^(١)

* * * ١٤٠٩/٩/١ هـ

١٩٨٩/٤/٧ م

وفي تهنئة الأخ رياض سعيد الحاج عيسى بمناسبة زفاف ولده:

عُرْسٌ يَظُلُّ عَلَى الزَّمَانِ جَدِيداً وَيَظُلُّ يَبْعَثُ كُلَّ يَوْمٍ عِيداً
بَدْرَانٌ قَدْ طَلَعَا وَطِيبُ شِمَائِلٍ نَثَرَتْ جَوَاهِرَهَا حَلِيٌّ وَعُقُوداً
فَاهِنَا يُبْشِرَى لَا تَغِيبُ وَنِعْمَةٌ مَا دُمْتَ تَحْفَظُ لِلإِلَهِ عُهُوداً

* * * ١٤٠٩/١٢/٤ هـ

١٩٨٩/ ٧/٧ م

وفي تهنئة الأخ سليم عبدالقادر البرادعي بمناسبة زفاف ولده:

هَذَا الزَّغَارِيدُ مَنْ غَنَى قَوَائِمَهَا وَمَنْ أَعَادَ لَنَا الْحَانَ نَادِيهَا
كَانَتْ هُنَاكَ لَنَا الْأَيَّامُ نَاعِمَةً تَحْنُو عَلَيْنَا وَتَجْلُو مِنْ مَغَانِيهَا
حَتَّى رَمَتْنَا اللَّيَالِي رَمِيَةً عَجَباً مُشْرِدِينَ بِدَانِيهَا وَقَاصِيهَا
مَنْ ذَا يَعِيدُ لَنَا أَحْلَامَ سَاحَتِنَا طَيِّباً وَيُنْشِدُنَا أَحْلَى أَغَانِيهَا
عُرْسٌ يُعِيدُ لَنَا ذِكْرِي مَرَابِعِنَا شَوْقاً وَيُرْجِعُ لِلْأَفْرَاحِ مَاضِيهَا
بَدْرَانُ: هَذَا عِصَامٌ نُورُهُ خُلِقَ مِنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ يَجْلُو غَوَالِيهَا
وَنَضْرَةٌ مِنْ شَبَابِ كُلِّهَا عَبَقُ مِنَ الْهُدَى وَزَكِيِّ الْمِسْكِ يُبْدِيهَا
و«نَارِيْمَانُ» وَصَفُو الْحُسْنَ طَلَعْتَهَا زَهَتْ بِهَا الدَّارُ مِنْ أَفْرَاحِهَا تِيهَا
يَارَبِّ بَارِكْهُمَا أَنْتَ الْوَلِيُّ فَمَنْ سَوَاكَ يَحْفَظُ لِلنُّعْمَى غَوَادِيهَا
غَنُوا كَمَا شِئْتُمْ فَالْعُرْسُ أُغْنِيَةٌ أَحْلَى الْأَغَانِي إِذَا مَا قِيلَ «آيِيهَا»^(٢)

* * *

١٤١١/٣/٧ هـ

(١)، (٢) «آييها» كلمة تقال في الأعراس عند الزغردة.

ولالأخ سليم بمناسبة زفاف ولده أيضاً:

فَوَحَ الْعَيْبِرَ بِهَا أَوْ طَلَعَةَ الْقَمَرِ
تُجَلَى بِهَا خَطَرَاتِ الدَّلِّ وَالْخَفَرِ
وطلَعَةُ الْيَمْنِ شَوْقُ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ
يَبَارِكُ اللهُ فِي رِزْقِي وَفِي عُمْرِ
هِنَاءِ الْعَيْشِ مَنْ جَنِي لَهُ خَضِرِ

عبدالعزیز لك الأفراح قد حَمَلْتُ
بُشْرَى تُطَلُّ وَأَشْوَاقُ تَحْفُ بِهَا
وَأَنْتِ كَالْبَدْرِ وَالْخِلَانُ هَالَتْهُ
عُرْسٌ أَعْرُ وَأَيَّامٌ مُنْعَمَةٌ
نُعْمَى مِنَ اللهِ فَاخْشَعْ كَيْ تَنَالَ بِهَا

* * *

٩ / ٧ / ١٤١١ هـ

٢٤ / ١ / ١٩٩١ م

مع الأسرة
مع الأبناء والأحفاد
حبٌ ووفاء
وأفراح وأعراس

حب ووفاء

الزفاف الميمون

لبنى

لينة

لميس

حازم

بلال

رزان

عمار

ماجد

محمد

آية

رسالة وعتاب

مداعبات وفوازير

حب ووفاء

إِذَا نَشَرْتَهُ مُهَجَّةً وَسَرَائِرُ
حَنَانٍ وَأَشْوَاقُ زَهَتْ وَيَوَادِرُ
يُمُوجُ بِهَا بَرٌّ غَنِيٌّ وَطَاهِرُ
يَقِينٌ وَإِيمَانٌ جَلَّتْهُ الْمَائِرُ
نُفُوسٌ وَتُرُوى لَهْفَةٌ وَمَشَاعِرُ
إِذَا صَحَّ رَوَى الْكُونَ وَالنَّبْعُ زَاخِرُ
وَتُرُوى بِأَجْوَاءِ الْفَضَاءِ الْعَشَائِرُ
وَيُنْشَرُهُ فِي سَاحِرِ اللَّحْنِ طَائِرُ

* * *

وَلُحْمَةٌ أَرْحَامٍ نَمَتْ وَأَوَاصِرُ
وَعَدْلٌ مَعَ الْإِنْسَانِ مَاضٍ وَقَادِرُ
لَهَا سَكُنٌ حَانَ عَلَيْهِ وَنَاشِرُ
وَيَحْفَظُهُ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ عَامِرُ
فَتَنَشَأُ فِتْيَانٌ بِهِ وَحَرَائِرُ
مِنَ النُّورِ صُبْحُ مَشْرِقِ الْأَفْقِ ظَاهِرُ
فَتَنَشَأُ فِيهِ حَانِيَاتٌ نَوَاصِرُ

* * *

حَنَانِيكَ! مَا أَحْلَى الْوَفَاءَ وَعِطْرَهُ
وَمَا أَجْمَلَ الْأَيَّامَ زَهُوُ عَطَائِهَا
وَمَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا إِذَا الْحُبُّ نَفْحَةٌ
وَمَا أَعْظَمَ الْحَبِّ الْغَنِيِّ وَتَبِعُهُ
هُوَ الْحَبُّ نَبْعٌ لَا يَغِيضُ فَتَرْتَوِي
هُوَ النَّبْعُ: حُبُّ اللَّهِ، حُبُّ رَسُولِهِ
فَتُرُوى بِهِ خُضْرُ الرِّيَاضِ وَوَرْدَةٌ
وَتَمْضِي بِهِ حُلُومُ النَّسَائِمِ وَالنَّدَى

حَنَانِيكَ! هَذَا الْحَبُّ بَرٌّ وَرَحْمَةٌ
وَصُحْبَةٌ إِخْوَانٍ تَدُومُ مَعَ التَّقَى
وَأَجْمَلُهُ بَيْتٌ عَرَاهُ مَوَدَّةٌ
تُظَلِّلُهُ الْأَنْدَاءُ رِيًّا وَرَحْمَةٌ
تَمُوجُ بِهِ الْأَنْوَارُ بَيْنَ رِحَابِهِ
شَبَابٌ أَشْدَاءُ كَأَنَّ وَجُوهُهُمْ
وَتَتَلَى بِهِ الْآيَاتُ نُورًا وَحِكْمَةً

وبيتاً وأجيالاً رَعَتْهَا المَفَاخِرُ
 ولِلأَبِ حَقٌّ بِالقَوَامَةِ ظَاهِرُ
 رَيفِ النَّدى ظِلُّ هِنِيءٍ وَوَاغِرُ
 يَمُوجُ بِهَا قَلْبٌ وَفِي وَخَاطِرُ
 غَنِيٌّ كَدَقِّ النُّورِ، فِي القَلْبِ عَامِرُ
 مِنَ العَبَقِ الفَوَاحِ وَرَدُّ وَزَاهِرُ
 وَرَفُّ النَّدى مِنْهُ غَنِيٌّ وَنَاصِرُ
 لَهَا فِي مَيَادِينِ الحَيَاةِ البِشَائِرُ

هي الأُمُ يَرَعَى لَهْفَةَ الشُّوقِ بَعْلِهَا
 هُوَ الأبُ قَوَامٌ مَعَ الرَشْدِ بَدْلُهُ
 وَيَجْمَعُهُمْ فِي البَيْتِ حُبٌّ كَأَنَّهُ
 هُوَ الحُبُّ أَشْوَاقٌ هُنَاكَ وَلَهْفَةٌ
 نَقِيٌّ كَأَنفَاسِ الصَّبَاحِ رَيفُهُ
 كَأَنَّ فِتِيَّتِ المِسْكِ مِنْهُ، أَوْ أَنَّهُ
 كَأَنَّ النِّسِيمِ الحُلُوِّ خَفَقُ حَنِينِهِ
 هُوَ البَيْتُ! إِنْ أُعِدَّتْهُ كَانَ أُمَّةً

* * *

صُخُوراً وَنَمْضِي دُونَهَا وَنُغَامِرُ
 وَتَدْمِي بِهِ أَكْبَادُنَا وَالنَّوَاطِرُ
 وَأَفئِدَةٌ تُجَلِي بِهِ وَبِصَائِرُ
 تَدَقُّ فَانزَاحَتْ بِذَاكَ الدِّيَابِرُ

مَضِينَا نَشَقُّ الدَّرْبَ شَقًّا وَنَعْتَلِي
 يَعْضُ عَلَيْنَا الشُّوكُ تَدْمِي بِهِ الخَطِي
 يَقُودُ خَطَانَا مِنْ هُدَى الحَقِّ دِينُنَا
 وَعَهْدٌ مَعَ الرَّحْمَنِ أَبْلُجُ نورهُ

* * *

دِمَاءٌ عَلَى سَاحَاتِهَا وَمَجَازِرُ
 ذَنَابٌ عَلَيْهَا أَوْ وَحُوشٌ كَوَاسِرُ
 وَأَشْلَاؤُهَا فِي الخَافِقِينَ تَنَاطِرُ
 وَأَهْوَاءٌ قَوْمٍ لَوْتَتَهُمْ مَعَايِرُ
 يُطَارِدُ أَشْبَاحَ الهَوَى وَهُوَ سَادِرُ
 لِأَلِيءٍ مِنْ صَفْوِ الوَفَاءِ جَوَاهِرُ

تَدُورُ بِنَا الأَفَاقُ حَيْرَى يَرُوعُهَا
 فَتَلِكُ دِيَارُ المُسْلِمِينَ تَوَاتِبَتْ
 تُمَزَّقُ أَرْضاً أَوْ تُمَزَّقُ أُمَّةً
 تَنَوَّعَتِ الأَلَامُ: أَحْزَانُ أُمَّةٍ
 فَكَمْ غَادَرَ الدَّرْبَ السَّوِيَّ أَخُو هَوَى
 وَظَلَّ عَلَى العَهْدِ النَّقِيِّ أَجَلَّةً

* * *

حَنَانِيكَ! هَذَا الدَّرْبُ نَحْمَلُ دُونَهُ
سَنَمْضِي بِإِذْنِ اللَّهِ نُوفِي بِعَهْدِنَا
يُضِيءُ لَنَا نُورَ اليَقِينِ سَبِيلَنَا
هُوَ الحُبُّ مِنْ نَبْعِ الصِّفَاءِ رُوَاؤُهُ
فَهَذَا جَمَالُ الحُبِّ هَذَا جَلَالُهُ
فَمَا العُمُرُ إِلَّا رَوْضَةٌ وَغَرَّاسُهَا

* * *

رِسَالَةٌ تَوْحِيدَ جَلَّتْهَا المِقَادِرُ
مَعَ اللَّهِ مَهْمَا رَوَعْتَنَا المَخَاطِرُ
فَتَنَزَّاحُ عَنَّا غَمَّةٌ وَعَوَائِرُ
تَمْوِجُ بِهِ أحنَاؤُنَا وَالضَّمَائِرُ
رِعَاةٌ وَزَكَاةُ الجِهَادِ المَثَابِرُ
جِهَادٌ غَنِيٌّ بِالعَطَاءِ وَنَاشِرُ

حَنَانِيكَ! كَمْ جُرْحٍ ضَمَدَتْ وَأَنَّهُ
وَكَمْ كَانَ مِنْ رَأْيٍ رَشِيدٍ بَدَلْتَهُ
وَكَمْ لَيْلَةٍ قَدِ بَتِ أَرعى نَجُومَهَا
فَشَارَكْتَنِي هَمِّي حَنَانًا وَحِكْمَةً
ضَرَعْنَا إِلَى الرَّحْمَنِ سِرًّا وَجَهْرَةً
فَرَعْنَا إِلَى أَمَنِ الصَّلَاةِ وَأَمْنَهَا
مَضِينَا نَشَقُّ الدَّرْبَ وَالصَّخْرَ دُونَنَا
وَمَنْ يَتَّقِ الرَّحْمَنَ يَنْجُ وَمَنْ يَخُنْ
وَلَا يَصْدُقُ الإِيمَانُ إِلَّا إِذَا جَرَى
وَهَذَا جَلَالُ الحُبِّ يَمْضِي بِهِ الفَتَى

* * *

مَسَحَتْ وَهَمٌّ فِي الفَوَادِ يُدَاوِرُ
فَأَطْلَقَهُ قَلْبٌ ذَكِيٌّ وَخَاطِرُ
فِيطْرُقُنِي هَمٌّ وَهَمٌّ وَآخِرُ
وَقَمْنَا بِذِكْرِ اللَّهِ تُجَلَى الخَوَاطِرُ
فَقَلْبٌ يُنَاجِي أَوْ لِسَانٌ يُجَاهِرُ
خُشُوعٌ وَهَاتِيكَ الدَّمُوعِ المَوَاطِرُ
وَأَشْوَاكُهُ، وَاللَّهُ حَامٍ وَنَاصِرُ
مَعَ اللَّهِ عَهْدًا لَمْ تَدْعُهُ الفَوَاقِرُ
هُوَ لِيَرعى الحَقَّ وَالحَقُّ ظَاهِرُ
فَتُرَوَى بِهِ الدُّنْيَا وَتُرَوَى الضَّمَائِرُ

الثلاثاء

٤ / ١٢ / ١٤١٣ هـ

٢٥ / ٥ / ١٩٩٣ م

إلى ولدي الحبيب عبدالمعطي الجوهري وأروى النحوي .

الزفاف الميمون^(١)

لَفَتِي تَزِينُهُ الْهَدَايَةَ أُمَجِّدِ
وَعَلَى جَبِينِكَ لَفَتَةَ الْغَارِ النَّدِي
يَأْقُوتِ بِالْمَاسِ النَّقِيِّ بِعَسْجِدِ
حُسْنٍ وَفِي خَلْقٍ وَعِلْمٍ مُرْشِدِ
دَرَبِ الْهُدَى أَعْلَى وَأَشْرَفِ مَقْصِدِ
كَنَفِ الْأَبُوءِ وَالْأُمُومَةِ فَاسْعِدِ
نِ وَمَعْدِنُ يُجَلِّي بِدِينِ مُحَمَّدِ
زَكَا عَلَى طَهْرٍ وَصَفْوَةٍ مَحْتَدِ
مِنْ غُرَسَتَيْنِ وَمِنْ رِضَا مُتَجَدِّدِ
لَقِيَا الْهَنَاءَ بِالنَّعِيمِ الْمُرْفِدِ
لِلَّهِ فِي عُرْسِ الْحَيَاةِ وَفِي غَدِ
لِلَّهِ خَاشِعَةَ الْجَوَارِحِ وَاسْجُدِي
وَاجْمَعُهُمَا بِالْخَيْرِ مِنْكَ وَأَسْعِدِ
مَا زِلْتِ بَيْنَ ضُلُوعِنَا وَالْأَكْبَدِ
قَمْرَانِ مِنْ نُورِ الشَّبَابِ الْمُهْتَدِي
وَمِنْ الضُّلُوعِ وَخَاطِرِ مُتَوَقِّدِ

ضُمِّي السُّورُودَ إِلَى السُّورُودِ وَغَرْدِي
ضُمِّي عَلَي تَوْبِ الزَّفَافِ زُهُورُهُ
وَتَزِينِي بِاللُّوْلُؤِ الْمَثُورِ بِالـ
أَعْلَى الْجَوَاهِرِ نِعْمَةَ الرَّحْمَنِ فِي
أَعْلَى الْجَوَاهِرِ لَوْ عَلِمْتَ فِتَى رَأَى
الْجَوْهَرِيُّ . . وَقَدْ رَعَاكَ اللهُ فِي
أَبْنِي عَبْدَ اللهِ نِعْمَ الْوَالِدَا
أَبْنِي يَا جَوْهَرَ الْحُسْنِ النَّقِيِّ
أَرَوَى وَعَبَدُ اللهُ بُورِكَ فِيكُمْ مَا
نِعْمَ الْقَرِينَةُ وَالْقَرِينُ وَيُورِكْتُ
بُشْرَى تُسَاقُ إِلَى التَّقَاةِ فَهَلَّلَا
كُونِي كَمَا أَمَرَ الْإِلَهَ فَأَخْبِتِي
يَا رَبِّ بَارِكْ فِيهِمَا وَعَلَيْهِمَا
إِنْ كُنْتَ غَادَرْتَ الدِّيَارَ لغيرَهَا
قَدْ أَشْرَقَتْ دَارِي بِسُورِكَمَا مَعَا
نُضْفِي الْحَنَانَ عَلَيْنُكَمَا مِنْ مُهْجَةٍ

الرياض ٢٠/٤/١٤٠٤ هـ

٢٣/١/١٩٨٤ م

(١) كان الزفاف يوم الاثنين ٢٠/٤/١٤٠٤ هـ (٢٣/١/١٩٨٤).

لُبْنَى^(١)

صِرْتُ جَدًّا فَهَلَّلِي يَا جُدُودُ
 هِيَ لُبْنَى يَا بُشْرِيَاتُ أَطَّلِي
 غَرْسَةٌ مِنْ مَنَابِتِ الْخَيْرِ وَالطَّهْرِ
 غَرْسَةٌ شَهَدُهَا الْفَضَائِلُ وَالْبَشْرِ
 وَاسْعَدِي أَشْرَقَتْ عَلَيْكَ الْجُدُودُ
 وَأَنْهَضِي، أَقْبَلْتُ عَلَيْنَا السُّعُودُ
 رَ وَعِطَّرُ مِنَ التَّقَى مَشْهُودُ
 رُ وَحِظُ مِنْ رَبِّهَا مَمْدُودُ

* * *

هِيَ لَحْنٌ مِنَ الْجَمَالِ غَنِيٌّ
 قِيلَ هَذَا الْبُكَاءُ، قُلْتُ أَغَانِ
 أَيُّ لَحْنٍ مِنَ الْبَرَاءَةِ أَحْلَى؟
 مَهْرَجَانِ الْحَيَاةِ فِيهِ وَأَيُّ
 وَشَدًّا فَوَحَّتْ عَلَيْهِ الْوُرُودُ
 قِيلَ هَذَا الصُّرَاخُ قُلْتُ نَشِيدُ
 هُوَ عِنْدِي مَعْنَى وَلَحْنٌ وَعِيدُ
 تَبَدَّى لَنَا وَخَلَقَ جَدِيدُ

* * *

مَا أَحْيَلَاكَ حِينَ تَسْعِينَ حَبُورًا
 ثُمَّ تَسْعِينَ لِلنُّهُوضِ فَيَحْلُو
 ثُمَّ تَهْوِينِ، ثُمَّ أَنْهَضُ وَثَبًا
 حِينَ تَجْرِينِ فِي غَدٍ وَثَبَاتٍ
 فَوْقَ ظَهْرِي، عَلَى يَدَيَّ كَطَيْرٍ
 فِي غَدٍ حَوْلَنَا وَتَنَائِي الْمُهُودُ
 مِنْكَ سَعْيِي وَوَقْفَةُ وَقُعُودُ
 يَتَلَقَّاكَ سَاعِدِي وَالزَّنُودُ
 تَتَلَقَّاكَ أَضْلَعِي وَالْكُبُودُ
 نَقَلْتَهُ أَفْرَاحَهُ وَالنُّجُودُ

* * *

(١) ولدت لبني ابنة صهري المهندس عبدالمعطي الجوهري في ٨ شعبان ١٤٠٦هـ (١٧ نيسان ١٩٨٦م)، في مستشفى الملك خالد بالرياض الساعة الواحدة وخمسين دقيقة بعد ظهر يوم الخميس.

طَابَ مِنْكَ النَّدَاءُ وَالتَّغْرِيدُ
عَجَلًا هَزْنِي النَّدَاءُ الْفَرِيدُ
زَانِكَ الْحَسَنُ وَالتَّقَى وَالْبُرُودُ
دِ وَجَدَاتِ بِرُكِّ الْمَحْمُودُ

وتنادينني بأحلى نداءٍ
«إيه جدي» فأستجيبُ إليه
ثم ألقاك بعد ذاك عروساً
وحلا بين والدَيْك وأجدداً

* * *

الرياض ٢٣ شعبان ١٤٠٦هـ

٢ مايو ١٩٨٦م

لينة^(١)

يا وردةً بينَ الزُّهورِ تَفْتَحَتْ
يا نَسْمَةَ الصُّبْحِ النَّدِيِّ كَأَنَّهَا
يا «لِين»! يا بُشْرَى الحَيَاةِ أَلَا انْشُرِي
يا قُرَّةَ العَيْنِ اهْنِثِي! أَهْلُوكِ فِي
ياربِّ بَارِكْ «لِين» واحفظها على
عطراً يَمُوجُ عَلَى المِراجِ فاعْبُقِي
خَفَقُ الجَمالِ آيَةً مِنْ رَوْنِقِ
نُوراً يَفِيضُ عَلَى غَدِّ لَكَ مُشْرِقِ
هَدَى أَبْرَ وَعِزَّةَ الشُّوقِ التَّقِي
تَقْوَى وزِدْها مِنْ رِضَاكَ المَغْدِقِ

لميس^(٢)

طَلَعَ الصُّبْحِ فَيَا «لَمِيسُ» تَهَلَّلِي
حُسْنًا! جَمَعْتَ بِهِ مَخائِلَ حُلُوةً
يا طِفْلَتِي! يا جَوْهَرَ الحِسنِ انْشُرِي
أُبْنَيْتِي! إِنِّي أَرى أَمْسَى بَعِيدِ
ياربِّ فاحفظها بِفَضْلِكَ إِنَّها
بُشْرَى تُطَلُّ آيَةَ الصُّبْحِ النَّدِي
وبوادرِ التَّقْوَى وفِطْرَةَ مُهْتَدِي
ما شِئْتَ مِنْ عَبَقِ عَلَيِّكَ مُجَدِّدِ
نَيْها وَيَوْمِي أَوْ بِشائِرِ مِنْ غَدِ
أَمَلٌ أَغْرُ وَطَلْعَةٌ مِنْ فَرَقْدِ

الجمعة

٣ / ٦ / ١٤١٣ هـ

٢٧ / ١١ / ١٩٩٢ م

(١) لينة حفيدتي ابنة صهري المهندس عبدالمعطي الجوهري . ولدت في الرياض في ٢٦ ذي القعدة

١٤٠٧ هـ الموافق ٢١ تموز ١٩٨٧ م .

(٢) لميس حفيدتي ابنة صهري المهندس عبدالمعطي الجوهري . ولدت في الرياض في ٢٧ جمادى الأولى

١٤١٠ هـ الموافق ٢٥ / ١٢ / ١٩٨٩ م .

حازم^(١)

إِطْلَالَةَ الْبَشْرِ رَفَّتْ مِنْ مُحَيَّاهُ
لَمَّا أَطَلَّ أَطَلَّ الْفَجْرُ وَأَنْطَلَقَتْ
تَلَفَّتَ الرَّوْضُ: مَنْ هَذَا الَّذِي طَلَعَتْ
أَضْحَى يُنَافِسُنِي حُسْنًا وَيَغْلِبُنِي
فَإِنَّهُ «حَازِمٌ» تَمْضِي بِشَائِرِهِ
فَأَشْرَقَتْ بِالْهَنَا وَالسَّعْدِ دُنْيَاهُ
أَنْوَارُهُ وَالرَّبِيعُ الْحُلُوُّ حَيَّاهُ
أَنْفَاسُهُ عَبَقًا يُغْنِي وَرِيَّاهُ^(٢)
طِيْبًا! فَرَدَّدَ كُلُّ الرَّهْرِ إِيَّاهُ
وَبَارَكَ اللهُ مَغْنَاهُ وَسُقْيَاهُ

* * *

(١) حازم حفيدي ابن المهندس عبدالمعطي الجوهري. ولد في ٢٠/١١/١٤١٣هـ (١٠/٥/١٩٩٣م).
(٢) الرِّيَا: الريح الطيبة.

زفاف بلال

هذي المَنَارُ وَازدَانَتِ مَعَانِيهَا
بُشْرَى تُزْفُ وَأَفْرَاحٌ تُوَالِيهَا
جَوَاهِرًا، وَالتُّقَى يَجْلُو لَآلِيهَا
حَرُّ الْجَوَاهِرِ لَا تُخْفَى مَعَانِيهَا
نُورٌ يَمْوِجُ وَأَشْوَاقٌ تُنَادِيهَا
وَمَنْ تُقَى وَزَهَا بِالْأُنْسِ نَادِيهَا
ذَكَرَى تُرْجِعُ لِلْأَشْوَاقِ مَاضِيهَا
وَتُوصِلُ الْغَدَّ بِالذِّكْرِ فَتُحْيِيهَا
مِنَ الْهُدَى وَغَنَى الْمَسْكِ يُزَكِّيهَا
وَنِعْمَةٌ بِالتُّقَى جَاءَتْ عَوَادِيهَا
غُرَّ الْبَشَائِرِ فِي أَغْنَى مَجَالِيهَا
أَبْرٌ يَخْفُقُ تُغْنِيهِ فَيُغْنِيهَا
كَأَنَّهُ مِنْ حَنِينِ الْقَلْبِ يُجْرِيهَا
وَصَاغَهَا نَغْمًا يَجْلُو مَعَانِيهَا

غَنَّتْ إِلَيْكَ طُيُورُ الدُّوْحِ وَاتَّلَقَتْ
بَدْرَانٍ قَدْ طَلَعَا! أَنْوَارٌ عَرَسَهُمَا
يَجْلُو «بِلَالٌ» مَعَ الْأَيَّامِ مَعْدِنُهُ
نُورًا تَدْفَقُ أَوْ مِسْكًَا يَضُوعُ بِهِ
حَتَّى أَطَلَّتْ «مُنَى»! يَا حُسْنَ طَلَعْتَهَا
وَازْدَانَتْ الدَّارَ مِنْ حُسْنٍ وَمِنْ خُلُقٍ
لِلَّهِ دَرْكُهَا أَرْجَعْتُمَا أَبَدًا
وَتَنْشُرُ الْبَشَرَ فِي الْأَيَّامِ مَقْبَلَةً
كَأَنَّمَا الْعُمُرُ أَنْوَارٌ مُلَائِلَةٌ
فَتَنْعُمَانِ عَلَيَّ بَرٌّ وَفِي سَكَنِ
عُرْسٌ كَأَنَّ اللَّيَالِي حَمَلْتَهُ لَنَا
فَأَنْتُمَا فِي سُوبِدَاءِ الْفُؤَادِ هَوَى
عُرْسٌ تَمْوِجُ بِهِ الْأَلْحَانُ نَاعِمَةً
أَوْ أَنَّهُ جَمَعَ الْأَمَالَ زَاهِيَةً

(١) كان حفل زفافها يوم الخميس الأول من شوال ١٤١٠ هـ الموافق ٢٦ نيسان ١٩٩٠ م.

أَوْ أَنَّهُ مِنْ سُفُوفِ الْغَيْبِ أَطْلَقَهَا
 اللَّهُ دَرَكُمَا! كَمْ فَرَحَةٌ طَلَعَتْ
 فَرَجَعِي يَا مَغَانِي الْعُرْسِ أُغْنِيَّةً
 تُعِيدُ فِينَا حَنِينَ الدَّارِ نَحْمِلُهُ
 هُنَاكَ كَمْ زَهْرَتْ أَغْرَاسُنَا وَزَهَتْ
 فَمَا غَفَّتْ أُعْيُنُ حَتَّى تَوَائِبُ فِي
 وَأُطْبَقَتْ أُمَمٌ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ
 فَقَبِيلٌ طُوفُوا إِذَنْ فِي الْأَرْضِ وَانْتَشَرُوا
 تَتَابَعَتْ بَعْدَهَا الْأَفْوَاجُ وَانْطَلَقَتْ
 مِنْ كُلِّ أَرْضٍ مِنَ الْإِسْلَامِ قَافِلَةٌ
 هَذَا جِزَاءَ الَّذِي يَغْفُو وَيَتْرُكُ مِنْ
 لَا تَنْسِيَا أَبَدًا أَرْضًا مُبَارَكَةً
 يَهْزُ أَضْلَاعُنَا صَفُوفُ الْحَنِينِ لَهَا
 عَلَى مَحَاجِرِنَا أَطْيَافٌ مَلْحَمَةٍ
 هُنَاكَ نُحْمِي مِنَ الْأَغْرَاسِ أَزْهَرَهَا
 فِي كُلِّ رَابِيَةٍ أَصْدَاءَ وَشَوْشَةَ
 سَتَسْتَجِيبُ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ لَهَا
 تَمْضِي الْمَوَاكِبُ لِلرَّحْمَنِ خَاشِعَةً
 وَتُصْبِحُ الْأَرْضُ وَالدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
 وَحَسْبُنَا شَرَفًا دِينٌ تَقُومُ بِهِ

بُشْرَى وَقَالَ هُنَا تُجْرَى سَوَاقِيهَا
 فَكُنْتُمَا أَبَدًا أَحْلَى دَرَارِيهَا
 أَحْلَى الْأَغَانِي إِذَا مَا قِيلَ «آيِيهَا»
 عَلَى الدَّرُوبِ فَنُحْيِي مِنْ أَمَانِيهَا
 وَعِزَّةُ الدِّينِ تُحْيِينَا وَنُحْيِيهَا
 سَاحَاتِهَا مُجْرَمٌ يُذْمِي نَوَاحِيهَا
 تَغْزُو وَتَنْهَبُ مِنْ خَيْرَاتِ وَاذِيهَا
 مَعَ الْخِيَامِ بِقَاصِيهَا وَدَانِيهَا
 تَشْقُ تَيْهَا وَتَطْوِي مِنْ بَوَادِيهَا
 مِنَ اللَّجُوءِ تُنَادِي مَنْ يُوَاسِيهَا
 أَمَانَةٌ عَلَّقَتْ أُرُوحَنَا فِيهَا
 أَمَانَةٌ لَمْ تَزَلْ تَرْنُو لِمُوفِيهَا
 وَلَهْفَةٌ الشُّوقِ تُدْنِي مِنْ نَوَادِيهَا
 وَيَبِينُ أَحْنَائِنَا الْأَشْوَاقُ تُورِيهَا
 عُرْسُ الْفَتْوحِ حَنِينٌ لَمْ يَزَلْ فِيهَا
 تَقُولُ: عُودُوا! فَمَنْ يُضْغِي لِدَاعِيهَا
 وَتَسْأَلُ اللَّهَ عَوْنًا أَنْ يُوَالِيهَا
 يَجْلُو لَهَا النَّصْرُ أَفْرَاحًا تُوَفِيهَا
 عُرْسًا تَمْوجُ بِهِ أَشْوَاقُنَا تَيْهَا
 وَدَعْوَةٌ لَمْ تَزَلْ فِي النَّاسِ نُحْيِيهَا

رِسَالَةُ اللَّهِ لِلْإِنْسَانِ نَحْمِلُهَا
عَهْدٌ مَعَ اللَّهِ! مَنْ يَصْدُقْهُ عَزَّ بِهِ
أَمَانَةٌ وَنَظْلٌ الْعُمَرُ نُوفِيهَا
هُدَايَةٌ وَرَجَا أَعْلَى مَرَامِيهَا
* * *

الخميس ١ شوال ١٤١٠هـ

٢٦ نيسان ١٩٩٠م

« رزان »^(١)

رزان! يانسمة الصبح الندى سرت
يا طلعة النور رفّت في خمائلها
يا بسمة العمر! ما أحلى ابتسامتها
رزان! يأمنية الأشواق يحملها
يا نعمة نشرت ألعانها وسرت
أرى بعينيك آمالي مرفرفة
به ويا دفقة العطر الذي انتشرا
وفتحت بالشذا الأوراد والزهرا
رفّت عليّ بشوقٍ نضر العُمرا
عُمري فيرجع منها مورقا خضرا
ترجع الشوق والآمال والذكرا
وفي ابتسامتها بشرى النوال أرى

* * *

(١) رزان: حفيدتي، ابنة الدكتور بلال، وهي أول مولود يرزقه الله به. ولدت في كندا، أثناء دراسته التخصصية. ولدت في مونتريال يوم ٢٨ ربيع الأول ١٤١٢هـ، (٦/١٠/١٩٩١م).

وبمناسبة زفاف ابني عمّار^(١):

زفاف عمّار

طيبًا وينثرُ منه الوردَ والزَّهْرًا
حُرُّ الجواهرِ، نورٌ سألَ وانتشرًا
يزينُهُ، وهُدَى يجُلُو له الفطرا
رفَّتْ، وحسنُ تُقى أهدى لها الخفرا
نُعمى تدوم وتُغني الزَّادَ والعُمرا

عُرسٌ يزِفُ لنا البُشرى وينشرُها
كَانَ طَلَعَةَ «عمّار»، ومعدنُهُ
فتى أبرُّ، وعزْمٌ من مهابتِهِ
حتّى أطلت «ندى»! يا حُسنَ جوهرةِ
ياربِّ باركهُما واجمعْ إذنَ بهما

* * *

١٢/١٢/١٤١١هـ

٢٤/٦/١٩٩١م

(١) في يوم الاثنين ١٢/١٢/١٤١١هـ الموافق ٢٤ حزيران ١٩٩١م.

ماجد (١)

يَانْفُحَةَ الْعَبَقِ الْغَنِيِّ الْمُلْهَمِ
حَوْلِي الْحَيَاةُ بِشَفَرِهِ الْمَتَبَسِّمِ
يُجَلِّي بَطْلَعَةَ وَجْهِهِ وَالْمَبْسَمِ
وَاحْفَظْهُ فِي رَعْدٍ وَعَزَّةٍ مُسْلِمِ

* * *

وَنَقُولُ: يَا جَدِّي! أَقُولُ لَكَ: اسْلَمِ
أَوْ بَاكِئًا أَوْ شَاكِيًا لَمْ تَنْدَمِ
عِطْرُ الْحَيَاةِ وَفُوحُ مِسْكِ مُفْعِمِ

* * *

بِالْبُشْرِيَّاتِ وَبِالرِّضَا الْمَتَوَسِّمِ
نَمْضِي إِلَى «كُرَّة» نَدُورٍ وَنَرْتَمِي
وَأَرَاكَ مِثْلَ الْفَارِسِ الْمَتَقَدِّمِ

* * *

يَا طَلْعَةَ الصُّبْحِ الْمُنُورِ وَالنَّدَى
يَا مَاجِدًا! نُورٌ أَطْلُ فَأُشْرَقْتُ
حُسْنُ! كَأَنَّ الْبَدْرَ مِنْ قَسَمَاتِهِ
يَارَبِّ بَارِكْهُ! فَأَنْتَ وَلِيُّهُ

أَعْدَا أَرَاكَ تَهَشُّ نَحْوِي مُقْبِلًا
وَأَرَاكَ تَدْرُجُ نَمَّ تَهْوِي ضَاكِكًا
حَتَّى أَضْمَكَ! وَالْحَنَانُ كَأَنَّهُ

أَرَى ابْتِسَامَتَكَ الْغَنِيَّةَ أَشْرَقْتُ
وَتَشُدُّنِي بِيَدِي تَقُولُ تَعَالُ كِي
فَتُعِيدُنِي يَا مَا جَدِّي لَطْفُولَتِي

(١) ماجد حفيدي، ابن عمّار عدنان النحوي. كانت ولادته يوم الجمعة ٢٦/٥/١٤١٣هـ (٢٠/١١/١٩٩٢م)، في مستشفى الظهران في المملكة العربية السعودية، الساعة الرابعة والدقيقة والأربعين مساءً بتوقيت الظهران، مع انطلاق أذان المغرب.

أَرَاكَ فِي كِتْفِي تَجْلِسُ هَانِئًا
وَأَسِيرُ فِي مَرَحِ الْحَيَاةِ كَأَنَّمَا
لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ يَا بُنَيَّ بِأَنِّي
وَبِأَنِّي مَا قَادَنِي شَرُّ الضَّلَا
وَبِأَنِّي سَهْلَ الْقِيَادِ لِصَادِقٍ
لَعَرَفْتَ أَنَّ مِنَ الْحَنَانِ عَزَائِمًا
فَاسْأَلْ أَبَاكَ، بُنَيَّ، وَالْأَعْمَامَ عَنْ
كَمْ كُنْتُ أَحْمِلُهُمْ عَلَى كِتْفِي فِي

* * *

وَتَقُولُ: سِرًّا! فَأَقُولُ هَيَّا فَالزَّمِ
طَلَعْتُ عَلَىٰ بِذَاكَ بِهَجَّةٍ أَنْعَمِ
صَعْبُ الْقِيَادِ، فِدَاكَ؛ صَلْبُ الْمَعْجَمِ
لِ وَلَا نُوَازِعُ مِنْ هَوَىٰ مَتَحَكِّمِ
وَلِمُؤْمِنٍ وَطُفُولَةٍ لَمْ تَأْتِمِ
هِيَ بِهَجَّةِ الدُّنْيَا وَرَحْمَةُ مُسْلِمِ
مَرَحِ الطُّفُولَةِ! سَلُّهُمْ وَتَعْلَمِ
مَرَحِ وَدِفَاءِ حَنَانِهِ الْمُسْتَسْلِمِ

* * *

أَرَاكَ تَنْهَضُ فِي الْحَيَاةِ مُجَاهِدًا
وَاللَّهِ يَحْفَظُنَا بِرَحْمَتِهِ الَّتِي
وَرَجَاءُ كُلِّ مُجَاهِدٍ صِدْقِ يَدِ

لِللَّهِ تَمْضِي بِالسَّبِيلِ الْأَقْوَمِ
وَسَعَتْ رَجَاءُ التَّائِبِ الْمُتَنَدِّمِ
حُ عَلَى الْجِهَادِ بِعَزْمِهِ الْمُتَرَسِّمِ

الخُبْر

٣ جمادى الآخرة ١٤١٣هـ

٢٧ تشرين ثاني ١٩٩٣م

مُحَمَّد (١)

طَلَعْتَ لِتَزْهَرَ بِالْهَوَى الْمُتَجَدِّدِ
وَنَجَابَةِ تُجَلَّى بِعَزْمٍ مُرْفِدِ
تَزْكُو عَلَى فِكْرٍ لَهُ مُتَوَقِّدِ
مِنْ كُلِّ زَاهِرَةٍ وَمَنْ عَبَقَ نَدِي
وَعَلَى جَبِينِكَ طَلْعَةٌ مِنْ أَمَّجِدِ
بِالنُّورِ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

* * *

لِلْمَكْرُمَاتِ تَجُولُ جَوْلَةَ سَيِّدِ
مَدَدَ الْقَوِيِّ لِتَائِهِ أَوْ مُجْهَدِ
عِطْرًا لِيَمْلَأَ مِنْ رَبِّي أَوْ أَنْجِدِ
مَا دَامَ فِي هَدْيِ أَبْرٍ وَأَرْشِدِ

* * *

كَمْ غُرْفَةٍ شُغِلَتْ بِلَهْوِكَ وَالِدِدِ
كَسَّرَتْهَا أَوْ لُعْبَةً لَمْ تَحْمَدِ
وَأَرَى هُنَا «طِفْلاً» يَنَامُ بِلَا يَدِ

أَمَحْمَدًا! يَا بَهْجَةَ الْعَمْرِ الَّتِي
تَنْمُو كَمَا تَنْمُو الْمَخَايِلُ فِطْنَةً
وَتَقَى يُزَيِّنُ مِنْ شَمَائِلِ حُلُوةٍ
حَتَّى كَأَنَّكَ قَدْ جَمَعْتَ رَوَائِعًا
وَأَرَى بَعِينِيكَ الْحَيَاةَ نَقِيَّةً
فَانْهَضْ بِحِفْظِ اللَّهِ دَرِيكَ مُشْرِقًا

أَرَاكَ مُكْتَمِلَ الرَّجُولَةِ وَابْتِئًا
وَأَرَى عَزَائِمَكَ الْغَنِيَّةَ أَطْلَقْتَ
وَأَرَى خِلَالَكَ فَوْحَتْ مِنْ طِيْبِهَا
فَاللَّهُ يَرَعَى، يَا بُنَيَّ، خُطَى الْفَتَى

لِلَّهِ دَرِكَ يَا بُنَيَّ فَهَلْ تَرَى
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ أَرَى لَكَ لُعْبَةً
وَأَرَى هُنَا «سَيَّارَةً» مَهْجُورَةً

(١) ابني محمد يحفظه الله ويحفظ إخوته جميعاً على طاعة الله، ويحفظنا كلنا ويحفظ عباده المؤمنين على ذلك. وُلِدَ فِي مَدِينَةِ الرَّيَاضِ يَوْمَ ١٤٠٤/١/٥ هـ الْمَوَافِقِ ١٩٨٣/١٠/١١ م

عن سَكَّةٍ وَبَقِيَّةٍ «مِنْ مَشْهَدٍ»
نَسِيْتَهُ أَوْ نَسِيْتُ حُلُولَ الْمَوْعِدِ
بَيْنَ الْأَسْرَةِ، تَحْتَ كُلِّ مَنْضَدٍ
شَرٌّ وَمِنْ أَمْرِ هُنَالِكَ مُفْسِدٍ
وَحَوَائِجٍ نَثَرْتُ فِيهَا لِلْمُعْتَدِي
خَجَلًا! فَادَّبُهَا بِسَاقِكَ وَالْيَدِ

* * *

فِي صَالَةٍ أَوْ غُرْفَةٍ أَوْ مَقْعَدِ
جَبِّ، فَوْقَ كُرْسِيِّ! فِيهَا لِلْمَشْهَدِ
نَثَرْتُ كَمَا نَثَرْتُ عُقُودَ زُمُرْدٍ
وَعِغْنِيَّةً فَاهُنَا بِذَلِكَ وَاسْعَدِ

* * *

أَحْلَى الْأَمَانِي الزَّاهِيَاتِ «الْخُرْدِ»
دُرٌّ تَمُوجُ وَطَلْعَةٌ مِنْ فَرْقَدِ
أَلْحَانَهَا بَيْنَ الْوَرُودِ وَغَرْدِي
بَيْنَ الصُّرَاخِ وَبَيْنَ رَحْفٍ أَوْ دَدٍ^(١)

وَهُنَا بَقَايَا مِنْ «قَطَارٍ» تَائِهٍ
«وَعَرُوسَةٍ» أَغْفَتْ فِيهَا لِزَفَافِهَا
وَأَرَى هُنَا كُرَّةً وَالْمَحُ غَيْرَهَا
فَكَأَنَّهَا ارْتَاعَتْ لِمَا فَعَلْتَهُ مِنْ
كَمْ قِطْعَةٍ حَطَمْتُ وَأَنْيَّةٍ رَمْتُ
هَرَبْتُ تَوَارَى خَلْفَ كُلِّ ثَنِيَّةٍ

وَأَرَى حِذَاءَكَ عِنْدَ بَابِ الدَّارِ أَوْ
وَأَرَى ثِيَابَكَ فِي السَّرِيرِ عَلَى الْمَشَا
وَأَرَى دَفَاتِرَكَ الَّتِي دَبَّجْتَهَا
دُنْيَا الطَّفُولَةِ يَا بَنِيَّ جَمِيلَةٌ

وَأَرَى «العَفَارِيثَ» الَّتِي طَلَعَتْ بِهَا
«لُبْنَى» وَ«لَيْسَةَ» أَوْ «لَمَيْسُ» كَأَنَّهَمْ
و«رَزَانُ» تَصَدَّحُ! يَا بِلَابِلُ رَجْعِي
وَتَمُوجُ أَلْحَانُ وَيَهْدُرُ «مَاجِدُ»

(١) لَبْنَى وَلَيْسَةَ وَبَلَيْسَ حَفِيدَاتِي بَنِيَاتِ الْمُهَنْدِسِ عَبْدِ الْمُعْطِيِّ الْجَوْهَرِيِّ . وَهِنَّ الْخُرْدُ الزَّاهِيَاتِ وَ«العَفَارِيثُ» وَصَفٌ لِلْأَطْفَالِ حِينَ يَشْتَدُّ لَهْوَهُمْ وَضَجِيحُهُمْ .
وَحَازِمُ حَفِيدِي ، ابْنُ الْمُهَنْدِسِ عَبْدِ الْمُعْطِيِّ ، الَّذِي وُلِدَ فِي ٢٠/١١/١٤١٣هـ - (١٠/٥/١٩٩٣م)
وَأَضَيْفَ هَذَا الْبَيْتِ فِي ١٢/١٢/١٤١٣هـ - (٢/٦/١٩٩٣م) أَثْنَاءَ إِعْدَادِ الدِّيْوَانِ . وَرِزَانُ حَفِيدَتِي
ابْنَةُ الدُّكْتُورِ بِلَالٍ وَمَاجِدُ حَفِيدِي ابْنُ الْمُهَنْدِسِ عِمَارٍ .
حَفِظَهُمُ اللَّهُ وَهَدَاهُمْ وَرَعَاهُمْ .

دَوَى لِحَاجَتِهِ النَّبِيَّ لَمْ تُرْفِدِ
كَ تَقُولُ: دَعْ لِي لُعْبَتِي لَا تَعْتَدِي
كَبَلَابِلَ صَدَحَتْ بِرَوْضِ أَغْيَدِ
وَبِرَاءَةِ اللَّهْوِ الْغَنِيِّ الْمُسْعِدِ
لَهْ كَيَّ أَرَى مِنْ صَفْوَاهَا الْمَتَجَدِّدِ
وَعَنِيَّةً فَاهْنَأُ بِدَلِّكَ وَاسْعِدُ

الرياض

* * *

٢٧ شعبان ١٤١٣هـ

١٧ شباط (فبراير) ١٩٩٣م

وترى هُنَالِكَ «حازمًا» في مهده
هذي تُنادي إِيهِ يَا خَالِي وَتَدُ
حَتَّى إِذَا اجْتَمَعُوا وَدَارَ صُرَاخُهُمْ
حَبَّبْتُمْ الْفَوْضَى إِلَيَّ وَضَجَّةً
يَالَيْتَنِي يَوْمًا أَعُودُ إِلَى الطَّفْوِ
دُنْيَا الطَّفُولَةِ يَا بُنَيَّ جَمِيلَةَ

وقد رزق نسيينا الدكتور عناد خريس بمولودة أسموها آية :

آية

يا آية مَلَأَتْ دُنْيَايَ بِهَجْتِهَا
أرى بعينيك آياتٍ مَبِينَةً
وَفِطْرَةَ خَشَعَتْ لَهِ خَالِصَةً
وَأَشْرَقَتْ مِنْ سَنَاهَا طَلْعَةُ الْأُفُقِ
للهُ تَنْبِيءٌ عَنْ دِينٍ وَعَنْ خُلُقِ
تَقُولُ عُدْتُ بِرَبِّ النَّاسِ وَالْفَلَقِ

٢ / ١ / ١٤١٤ هـ

٢٢ / ٦ / ١٩٩٣ م

كنت أنتظر بعض الأوراق العائلية من أبناء ابن عمي حامد النحوي، خالد وماجد وأحمد مع رسالة منهم. فحمل البريد الأوراق دون أي رسالة. فبعثت لهم بهذه الأبيات:

رسالة وعتاب

يَقُولُونَ قَدْ جَاءَتْ إِلَيْكَ رِسَالَةٌ
هَرَعْتُ... وفي وجهي ابتسامة أمل
أمن خالد...؟ صفو المروءة عزمه
أمن ماجد؟ يمن البشائر سعيه
أمن أحمد؟ والسعد نور جبينه
عصام...؟ ونشر المسك منه سجيته
عجلت إلى تلك الرسالة كي أرى
عجبت...! فلم ألق الذي كنت أملا

* * *

تُصَوِّرُ مِنْ أَجْدَادِي الرُّقَعَاتُ
وَيَنْطِقُ أَجْدَادُ لَنَا وَرُقَاتُ
وَمَا مَأْمَلِي إِلَّا عُرَى وَصِلَاتُ
وَوَالِدَةٍ، نَصْحُ لَنَا وَعِظَاتُ

فَلَمْ أَلْقَ إِلَّا رُقْعَةً بَعْدَ رُقْعَةٍ
أَبْصَمْتُ أَحْيَاءً... إِذَا صَحَّ شَوْقُهُمْ
وَمَا عَتَبِي إِلَّا عَلَى قَدْرِ مَأْمَلِي
سَأَشْكُوكُمْ شَكْوَى الْمَحَبِّ، لِوَالِدِ

* * *

٢٣/١٠/١٤٠٤هـ

٢١/٧/١٩٨٤م

السبت

في جلسة مع أولادي ، ارتجلت لهم هذه «الفوازير» .

في الحساب

سَأَسْأَلُكُمْ سُؤَالًا فِي الْحِسَابِ لِأَعْدَادٍ مَنْسَقَةِ الْجَوَابِ
فَأَوَّلُهَا وَآخِرُهَا جَمِيعًا تَطَابِقُ وَسَطُهَا دُونَ ارْتِيَابِ
وَآخِرُهَا يَدُلُّ عَلَى مَدَاهَا وَإِنْ جُمِعَتْ فَعَشْرٌ مِنْ صِحَابِ
تَوَالَتْ أَرْبَعًا مَا زِيدَ فِيهَا فَكُنْ فِطْنًا بِمَعْرِفَةِ الصَّوَابِ
* * *

هـ ١٣٩٧ / ٩ / ٢٨

في اللغة

سَأَسْأَلُكُمْ سُؤَالًا فِي اللُّغَاتِ مَعَانِيهِ تَزِيدُ عَلَى الْمِثَالِ
وَأَحْرَفُهُ جَمِيعًا فِي لِطَافِ وَهَمْزُهُ تَقُومُ عَلَى عَصَاةِ
* * *

هـ ١٣٩٧ / ٩ / ٢٨

فهرس

ديوان مهرجان القصيد

- الإهداء ٥
- الافتتاح ٧
- المقدمة ٩
- موجز سيرة وتاريخ ١٣
- رحلتي مع الشعر ١٧
- ما هو الشعر؟ كيف يولد النصُّ الفنّي؟ ما هي العناصر التي تهبه الجمال ٢٩

فاتحة الديوان

- ابتهال يا إلهي! ٥٥
- رَسُولُ الْهُدَى مُحَمَّدٌ ﷺ ٥٧

فَوْحُ الشَّعْرِ

في ميادين الحياة

- * الشعر بين الجاهلية والإيمان ٦٢
- مع بيتين لامرئ القيس ٦٢
- أنا الغنيّ ٦٣
- مهرجان القصيد أو الأدب الإسلامي ٦٤
- مواكب بدر ٦٨

| | |
|-----|--|
| ٧٤ | رؤى في الجمال |
| ٧٥ | الجمال |
| ٧٨ | زُخرفٌ وحقيقة |
| ٨٠ | الجنى الحلو |
| ٨١ | الإنسان بين الذهب والنحاس |
| ٨٤ | بحيرة طبريا |
| ٨٥ | خضراء الدمن |
| ٨٨ | هوى وهوان |
| ٩٠ | القاعدون |
| ٩٣ | عندما غابت الشمس |
| ٩٩ | تحية إلى شباب الإسلام |
| ١٠٣ | ليميز الله الخبيث من الطيب |
| ١٠٦ | أرجُ الميدان |
| ١٠٩ | هي النجاة أدركيها! (النجاة من الحضارة الغربية) |

مع الأصدقاء بين الحوار

| | |
|-----|---------------------------------------|
| ١١٧ | والمعارضات والتهنئة والمداعبات |
| ١١٩ | * مع هارون هاشم رشيد : |
| ١٢١ | شاعر يافا (لهارون هاشم رشيد) |
| ١٢٤ | الأمل المنور والوحيد |
| ١٢٧ | إلى الشاعر النحوي (لهارون هاشم رشيد) |
| ١٣٠ | وما عتبي عليك بحُبِّ دارٍ |
| ١٣٢ | * مع الدكتور يوسف عز الدين : |

- ١٣٣ بأحمد الخيرات (للدكتور يوسف عز الدين)
- ١٣٤ أحلى العتاب
- ١٣٥ * مع الخليل النحوي :
- ١٣٦ ليلة في الدوحة (للخليل النحوي)
- ١٣٨ نَفْحَةٌ من موريتانيا
- ١٤٠ * تحية إلى حيدرآباد
- ١٤٣ * تحية إلى ندوة العلماء في الهند، وإلى الأستاذ الشيخ أبي الحسن الندوي
- ١٤٤ * تحية وكلمة وداع للدكتور مأمون فريز جرار بمناسبة مغادرته المملكة
- ١٤٦ إشراقه البشر
- ١٤٧ ندوة الرفاعي
- ١٤٨ تهنئة عبد العزيز الرفاعي
- ١٤٩ على الطائفة
- ١٥١ فذاك كما علمت هو السبيل
- ١٥٣ إلى شباب النادي الفيصلي بحرمه
- ١٥٤ جزى الرحمن إخواني

من الملاحم

- ١٥٧ الغرباء (من ملحمة الغرباء)
- ١٥٩ فتح القسطنطينية (من ملحمة القسطنطينية)
- ١٦١ لا تُقَلْ لي سياسة وسلام (من ملحمة الأقصى)
- ١٦٣ يا قُبَّة الأقصى (من ملحمة الأقصى)
- ١٦٥ بينون من أشلائهم شرف الهوى (من ملحمة الأقصى)
- ١٦٦ وقفة في تاج محل (من ملحمة الإسلام في الهند)
- ١٦٨

- ١٧١ الطائفة الظاهرة (من ملحمة الإسلام في الهند)
- ١٧٣ * على أبواب كابل (من ملحمة الجهاد الأفغاني)
- ١٧٥ (١) نجوى بين كابل وفلسطين
- ١٧٦ (٢) غضبة الزيتون وعتاب النسيم
- ١٧٧ (٣) طفل من فلسطين
- ١٧٩ فلق الصباح (من ملحمة فلسطين)
- ١٨٢ سرايفو (من ملحمة البوسنة والهرسك - الجريمة الكبرى)
- ١٨٥ فجر في موستار (من ملحمة البوسنة والهرسك - الجريمة الكبرى)

١٨٩

الرثاء

- ١٩١ أب يرثي أبنه - رثاء ابني إياد: بُني إياد
- ٢٠٤ غربة ودمعة - رثاء الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا
- ٢٠٩ رثاء الشيخ الدكتور عبد الله عزام
- ٢١٧ رثاء الأستاذ عمر بهاء الأميري
- ٢٢٢ رثاء أخي نديم!
- ٢٢٦ رثاء الأستاذ عبد العزيز الرفاعي

مع الأصدقاء

أفراح وأعراس

- ٢٣٥ تهنئة د. محمد بن لطفي الصباغ بمناسبة زفاف ابنه
- ٢٣٦ تهنئة د. محمد أديب الصالح بمناسبة زفاف ابنه
- ٢٣٧ تهنئة محمود الفتیان
- ٢٣٧ تهنئة نضال الحنبلي

- ٢٣٧ تهنئة أيمن الصفدي
- ٢٣٨ تهنئة رياض سعيد الحاج عيسى بمناسبة زفاف ولده
- ٢٣٨ تهنئة سليم عبد القادر البرادعي بمناسبة زفاف ولده
- ٢٣٩ تهنئة سليم عبد القادر البرادعي بمناسبة زفاف ولده

مع الأسرة

مع الأبناء والأحفاد

٢٤١

حب ووفاء

وأفراح وأعراس

- ٢٤٢ حب ووفاء
- ٢٤٥ الزفاف الميمون
- ٢٤٦ لبنى
- ٢٤٨ لينبة
- ٢٤٨ لميس
- ٢٤٩ حازم
- ٢٥٠ زفاف بلال
- ٢٥٣ رزان
- ٢٥٤ زفاف عمار
- ٢٥٥ ماجد
- ٢٥٧ محمد
- ٢٦٠ آية
- ٢٦٠ رسالة وعتاب
- ٢٦٢ مداعبات وفوازير مع الأبناء: في الحساب، وفي اللغة

٢٦٣ الفهرس

٢٦٩ كتب المؤلف

كتب للمؤلف

- دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية - الطبعة السادسة .
- الشورى وممارستها الإيمانية - الطبعة الثالثة .
- الشورى لا الديمقراطية - الطبعة الرابعة .
- لقاء المؤمنين - الجزء الأول - الطبعة الرابعة .
- لقاء المؤمنين - الجزء الثاني - الطبعة الرابعة .
- منهج المؤمنين بين العلم والتطبيق - الطبعة الرابعة .
- التوحيد وواقعنا المعاصر - الطبعة الثانية .
- المهمد والبيعة وواقعنا المعاصر - الطبعة الثالثة .
- النهج والممارسة الإيمانية في الدعوة الإسلامية - الطبعة الرابعة .
- النية في الإسلام وبعدها الإنساني - الطبعة الأولى .
- الولاء بين منهاج الله والواقع - الطبعة الثانية .
- الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام - الطبعة الثانية .
- نهج الدعوة وخطة التربية والبناء - الطبعة الأولى .
- منهج لقاء المؤمنين - الطبعة الأولى .
- «خطة الداعية The Caller's Plan» (باللغة الإنجليزية) - الطبعة الأولى .
- لقاء المؤمنين - الجزء الأول - (مترجم إلى اللغة التركية) .
- أضواء على طريق النجاة - الطبعة الأولى .
- الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته - الطبعة الثانية .
- الحداثة في منظور إيماني - الطبعة الرابعة .
- تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها - الطبعة الأولى .

● ديوان الأرض المباركة - الطبعة السادسة .

● ديوان موكب النور - الطبعة الرابعة .

● ديوان جراح على الدرب - الطبعة الثالثة .

● ديوان مهرجان القصيد - الطبعة الأولى .

● ملحمة الغرباء - الطبعة الثالثة .

● ملحمة القسطنطينية (فتحان) - الطبعة الثانية .

● ملحمة الجهاد الأفغاني - الطبعة الثالثة .

● ملحمة فلسطين - الطبعة الخامسة .

● ملحمة الأقصى - الطبعة الثانية .

● ملحمة الإسلام في الهند - الطبعة الأولى .

● ملحمة البوسنة والهرسك - الجريمة الكبرى - الطبعة الثانية .

● على أبواب القدس - الطبعة الثانية .

● فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع - الطبعة الرابعة .

● الصحوة الإسلامية إلى أين؟ - الطبعة الثالثة .

● فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع - (مترجم باللغة التركية) .

● عبد الله عزام، أحداث ومواقف - الطبعة الأولى .

● دراسة انتشار الموجات الإلكترونية ومغناطيسية المتوسطة (باللغة الإنجليزية) - الطبعة

الأولى .